مكتبة الدارة المئوية

المملكة العربية السعودية
K.S.A. 100 YEARS
توحيد وبناء

دارة الملك عبدالعزيز

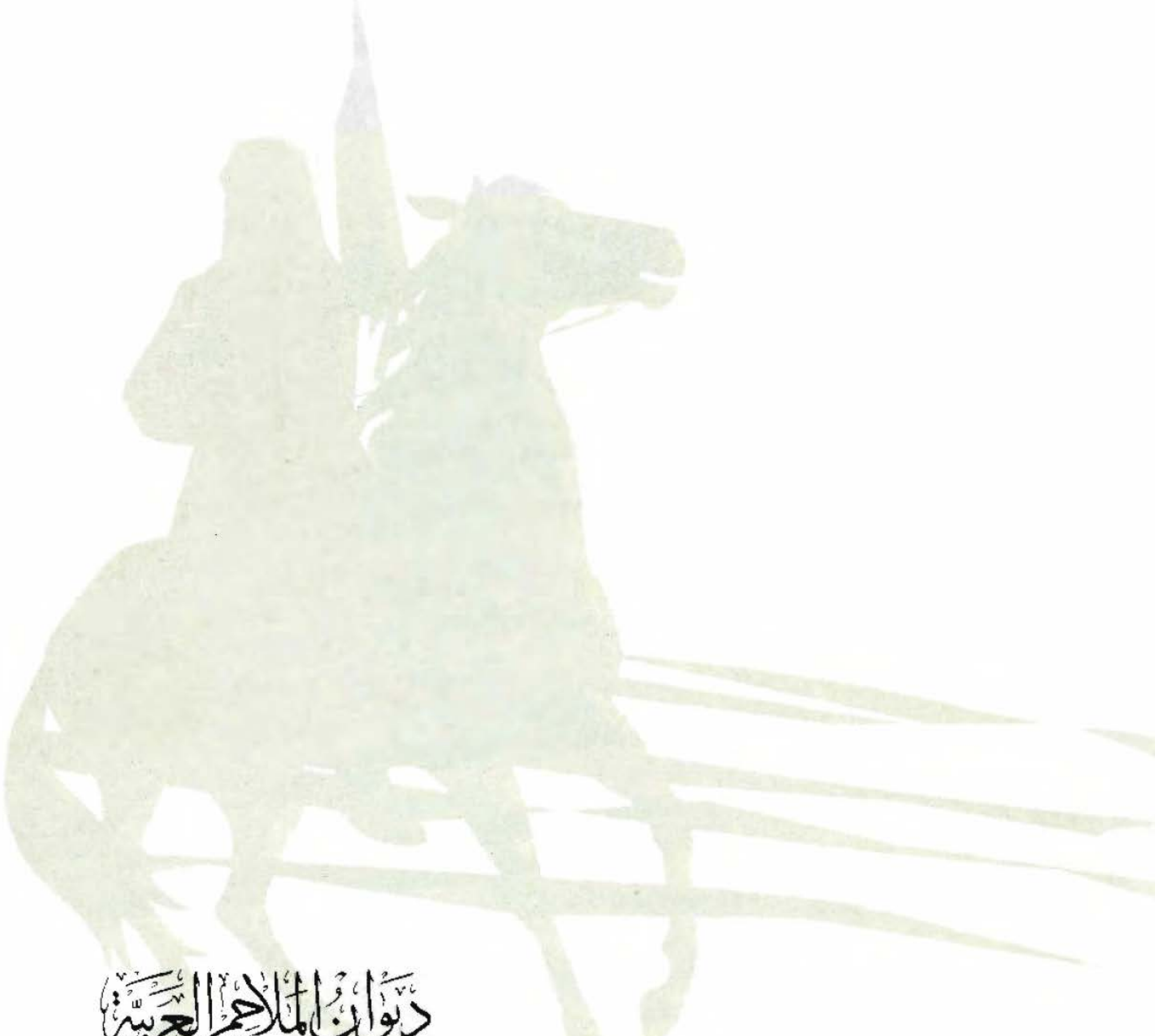
ديوان الملاحم العربية

ديوان الملاحم العربية

للشاعر الكويتي
محمود شوقي الأيوبي

تقديم ودراسة وتعليق
الدكتور محمد بن عبدالرحمن الربيع

صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية



ديوان الملاحم العربية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأيوبي، محمود شوقي

ديوان الملاحم العربية/تحقيق محمد بن عبدالرحمن الربيع .- الرياض.

٢١٦ ص ؛ ٢٠×٢٧ سم.

ردمك:٢ - ٣٣-٦٩٣-٩٩٦٠

١- الشعر العربي - الكويت ٢- عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ملك السعودية- شعر أ- الربيع، محمد بن عبدالرحمن (محقق)

ديوي ٨١١,٩٥٣٨ ١٩/٣٠٧٥

رقم الإيداع:١٩/٣٠٧٥

ردمك: ٣ - ٣٣-٦٩٣-٩٩٦٠

دارة الملك عبدالعزيز

المملكة العربية السعودية
K.S.A. 100 YEARS
توحيد وبناء

ديوان الملاحم العربية

محمود شوقي الأيوبي

١٣٢٠هـ - ١٣٨٥هـ

قدم له ودرسه وعلق عليه

الدكتور محمد بن عبدالرحمن الربيع

صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية
(١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد،

فإن الإسلام أكبر نعمة أنعمها الله على الأمة، واستحضار هذه الحقيقة في كل عمل مخلص هو قمة الوعي بها، ومن ثم الدفاع عن مقوماتها. ولقد أدرك الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود رحمه الله عظمة هذه النعمة الإلهية، وعمل على تمثلها في نفسه، فجعل الإسلام نبراسًا له في كل أعماله، وحقق أهدافه السامية المتمثلة في التمسك بالعقيدة وتطبيق الشريعة الإسلامية والدفاع عنها ونشر الأمن، وتأسيس مجتمع مُوحَّد يسوده الرخاء والاستقرار.

ولقد كان استرداد الملك عبد العزيز الرياض في الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م هو اللبنة الأولى في تأسيس المملكة العربية السعودية، في حين تعود جذور هذا التأسيس من مائتين واثنين وستين عامًا، عندما تم اللقاء التاريخي بين الإمام محمد بن سعود رحمه الله والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، فقامت بذلك الدولة السعودية الأولى على أساس الالتزام بمبادئ العقيدة الإسلامية، ثم جاءت الدولة السعودية الثانية التي سارت على الأسس والمبادئ ذاتها.

وعندما بدأ الملك عبد العزيز في مشروع البناء الحضاري لدولة قوية الأركان، كان يضع نصب عينيه السير على منهج آبائه، فأسس دولة حديثة قوية، استطاعت أن تنشر الأمن في أرجائها المترامية الأطراف، وأن تحفظ حقوق الرعية، بفضل التمسك بكتاب الله - عز وجل - وبسنة رسوله ﷺ. وامتد عطاؤها إلى معظم أرجاء العالمين العربي والإسلامي، وكان لها أثر بارز في السياسة الدولية بوجه عام، بسبب مواقفها العادلة والثابتة، وسعيها إلى السلام العالمي المبني على تحقيق العدل بين شعوب العالم.

وجاءت عهود بنيه من بعده: سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وخالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يحفظه الله امتدادًا لذلك المنهج القويم.

وفي الخامس من شهر شوال عام ١٤١٩هـ/ ٢٣ يناير ١٩٩٩م يشهد التاريخ مرور مائة عام على دخول الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرياض، وانطلاق تأسيس المملكة العربية السعودية، عبر جهود متواصلة من الكفاح والبناء، نقلت هذا الوطن وأبناءه من حال إلى حال. وصنعت بتوفيق الله تعالى وحدة حقيقية على أساس الإسلام، ملأت القلوب إيمانًا وولاءً، وجسدت معاني التلاحم التاريخي بين الشعب وقيادته في مسيرة تاريخية.

إن استحضار أحداث ذلك اليوم في نفوس أبناء المملكة عونٌ على شكر الله على نعمه، وتذكير بأن هذه البلاد التي قامت فيها الدعوة والدولة معًا لا تزال وفية لعهد أجيال التأسيس والتوحيد، مستمدة منهجها في الحياة من كتاب الله وسنة نبيه.

ومن أجل رصد الجهود المباركة التي قام بها المؤسس رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأبناؤه من بعده؛ عرفانًا بفضلهم ووفاء لحقهم؛ وإيضاحًا لمنهجهم القويم فقد قامت دارة الملك عبد العزيز بإعداد العديد من الدراسات والإصدارات التي تتناول بعض تلك الجهود في منجزات علمية موثقة لتدلل بذلك على ما أسبغه الله - عز وجل - على هذه البلاد وأهلها من تقدم علمي، ومن نهضة زاهرة. وهذا الكتاب ما هو إلا جزء من سلسلة **«مكتبة الدارة المئوية»** التي تقوم دارة الملك عبد العزيز بإصدارها بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، وهي سلسلة علمية تهدف إلى خدمة تاريخ هذه البلاد ومصادره المتعددة.

في الختام أسأل الله القدير أن يديم علينا نعمه، وأن يوزعنا شكرها، والحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سلمان بن عبد العزيز

رئيس مجلس ادارة دارة الملك عبد العزيز

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد، وبعد،

تعود معرفتي بشعر الشاعر الكويتي الكبير: محمود شوقي الأيوبي إلى الفترة التي كنت أعد فيها لإلقاء محاضرة في النادي الأدبي بالرياض عن [أدب المهجر الشرقي]، وكان الأيوبي من الشعراء الذين انتقيتهم لأتحدث عنهم في المحاضرة باعتباره من الشعراء الذين هاجروا إلى الشرق (أندونيسيا)، وعاشوا هناك مدة طويلة، وأنتجوا شعراً يحكي عن أهوال الغربة ومشاقها، ولم تنقطع صلتهم ببلادهم العربية من خلال مشاركتهم في الأحداث بشعرهم.

وأزددت اهتماماً بالشاعر بعد أن عرفت علاقته الوثيقة بالملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث هاجر الشاعر إلى أندونيسيا معلماً ومرشداً بناءً على مشورة الملك وبدعم منه ومساعدة مستمرة، مما جعل الشاعر ينظم القصائد الرائعة ويرسلها إلى الملك عبد العزيز لتنشر في جريدة (أم القرى) أحياناً أو في صحف ومجلات سعودية وكويتية أحياناً أخرى.

ثم تتبعت دواوين الشاعر المطبوعة في حياته وبعد مماته، فوجدت شاعراً فحلاً مكثراً قوي العبارة طويل النفس، ووجدت أن ماكتبه من قصائد طويلة أطلق عليها (الملاحم) عن الملك عبد العزيز وجهاده في توحيد الدولة ونشر مبادئ الإسلام والدفاع عن العروبة يستحق أن يفرد بدراسة مستقلة.

ثم رجعت إلى كتاب الدكتوره: نورية الرومي عن الشاعر (محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعري)، فوجدت دراسة عميقة رائعة بذلت فيه المؤلفة الفاضلة جهداً علمياً عظيماً يستحق الثناء والتقدير، ولاشك أن دراستها تلك هي أعظم وأوسع ماكتب عن الأيوبي حتى الآن.

وأثناء مراجعتي لكتاب (نورية الرومي) وجدتها تشير إلى ديوان مخطوط للشاعر بعنوان [الملاحم العربية] يضم عدداً من القصائد الطويلة كلها في الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأبنائه وبعض معاونيه وأتباعه، كما أشارت إلى أن الشاعر قد جمع هذا الديوان وكتبه بخط جميل وأرسله إلى الملك عبد العزيز بعد عودة الشاعر من أندونيسيا واستقراره في بلده الكويت.

كما أوردت الباحثة الفاضلة عناوين القصائد ونصوص بعضها، كما قامت بمقارنة بعض القصائد من خلال اطلاعها على الديوان المخطوط بنصوصها المنشورة في بعض الصحف السعودية والكويتية.

بعد ذلك ازداد اهتمامي وحرصي على الحصول على نسخة من هذا الديوان المخطوط [الملاحم العربية]، وكانت الدكتورة (الرومي)، قد أشارت إلى أن النسخة الوحيدة المخطوطة من الديوان موجودة لدى الأديب والكاتب الكويتي الكبير الأستاذ: عبد الله زكريا الأنصاري ابن اخت الشاعر الأيوبي، فبدأت أفكر في كيفية الحصول على صورة من الديوان فاستعنت بالعالم الجليل والأستاذ الكبير معالي الدكتور: عبد الله بن يوسف الغنيم وزير التعليم العالي الكويتي سابقاً ورئيس مركز الدراسات الكويتية بالديوان الأميري والذي تربطني به صداقة علمية عميقة منذ أن كان عميداً لكلية الآداب بجامعة الكويت ورئيساً لتحرير مجلة «دراسات الخليج والجزيرة العربية» فكان أن لبى طلبي وهبّ لنجدتي وتحقيق أربي فاتصل بالأستاذ (الأنصاري) وعرض عليه الطلب فاستجاب (الأنصاري) للطلب مرحباً به ومقدراً لصاحبه اهتمامه بالأيوبي وماكتبه من ملاحم في الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، وتكرم الصديق الدكتور: عبد الله المحارب بتنفيذ الطلب وتصوير المخطوطة وخلال مدة وجيزة كانت المخطوطة بين يدي في الرياض، واستفدت منها في المحاضرة التي ألقيتها في النادي الأدبي بالرياض.

بعد المحاضرة وما أثارته من تعليقات وتعقيبات وبخاصة مايتصل بعلاقة (الأيوبي) بالملك عبد العزيز وملاحمه فيه أزداد اهتمامي بالموضوع وبدأت أفكر في نشر ديوان [الملاحم العربية]، وتقديم دراسة أدبية نقدية عنه، فعرضت الأمر على الزميل العزيز الدكتور: فهد بن عبد الله السماري الأمين العام لدراة الملك عبد العزيز لتقوم (الدارة) بنشر الديوان فرحب بذلك، وتمّ عرض الموضوع على (اللجنة العلمية للدارة) فنال ترحيباً وتشجيعاً فشرعت في إعداده للنشر ليصدر في مناسبة غالية علينا جميعاً وهي الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.

وكنت قد فكرت في إعداد دراسة مطولة عن الشاعر والديوان ولكني رأيت تأجيلها إلى وقت آخر لتصدر في كتاب مستقل عن الأيوبي ولذا اكتفيت هنا بدراسة مختصرة لتكون تمهيداً وتوطئة

لقراءة الديوان واكتفيت أيضاً بتعليقات قصيرة على القصائد لبيان معنى كلمة أو مناسبة قصيدة أو مقارنة بين نص قصيدة نشرت في مكان آخر كالقصائد المنشورة في جريدة (أم القرى) وغيرها.

ولابد في نهاية هذا التقديم من تقديم الشكر الوافر الجزيل إلى الأستاذ الكبير: عبد الله زكريا الأنصاري الذي تكرمّ بتصوير الديوان لي ثمّ زاد كرماً ونبلاً عندما طلبت منه الأذن بنشر الديوان وفاتحه في ذلك أستاذنا الدكتور: عبد الله الغنيم، وصديقنا الدكتور: عبد الله المحارب فرحب بالطلب وأذن بالطبع لأن المهم عنده أن يصدر الديوان بعد أن ظل حبيس الأدراج منذ أن أعده الشاعر وكتبه بخطه الأنيق وبعثه للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله بتاريخ ١٠/ ٥/ ١٣٧١هـ.

كما أقدم الشكر لدارة الملك عبد العزيز التي قامت مشكورة بنشر الديوان ولأخي الدكتور: فهد بن عبد الله السماري الأمين العام للدارة الذي ظل يلحّ عليّ في سرعة إنجاز العمل مع مايعرفه من كثرة مشاغلي وارتباطاتي العلمية والعملية حتى تمّ المراد وانهيت العمل بحمد الله وفضله.

وقبل أن أختم المقدمة لا بدّ من الاعتراف بأن هذا الديوان [الملاحم العربية] يستحق دراسة أعمق وأكثر تفصيلاً ولعلي أوفق إلى الانتهاء منها في وقت قريب إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

محمد بن عبد الرحمن الربيّع
وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية للدراسات العليا والبحث العلمي

محمود شوقي الأيوبي

(١٣٢٠ ـ ١٣٨٥هـ) (١٩٠١ ـ ١٩٦٦م)

حياته وشعره، وديوانه «الملاحم العربية»

أولاً: حياة الأيوبي (١٣٢٠ ـ ١٣٨٥هـ) (١٩٠١ ـ ١٩٦٦م):

يقول محمود شوقي الأيوبي: «ولدت في الكويت عام ١٣٢٠هـ، أي بعد سنة «الصريف» بسنتين، وهي الوقعة التي حدثت في محل اسمه «الصريف» بين مبارك الصباح وعبد العزيز الرشيد، وبهذه الوقعة قُتل أخي عبد الوهاب»(١).

ورغم أن الشاعر نفسه يقول إنه كويتي ولد في الكويت(٢)، فهناك من يقول إنه عراقي الأصل، ومنهم الدكتور: أحمد الشرباصي الذي يقول: «وكان والد الشاعر يسمّى الحاج عبد الله الكردي، وهو عراقي الأصل نزح إلى الكويت وأقام فيها، ووالدة الشاعر عراقية أيضاً، وهي علوية من عرب المنتفك»(٣).

ويشير الشاعر إلى أصله الكردي في رسالة أرسلها إلى الشيخ: عبد الله السالم الصباح، يعتذر إليه بقوله:

لا تلمني على سخافة عقلي ... إن تيقّنتَ أنني كردي(٤)

وقد تلقى الشاعر تعليمه في مدرسة أولية بالكويت، هي «كتاب الملا زكريا الأنصاري» وكانت هذه المدرسة تعرف في الكويت «بكتاب المطبوع»، والتعليم بها على شاكلة التعليم الابتدائي، وهذا النوع من المدارس مدارس أهلية، بمعنى أن أصحابها هم الذين يقومون بتنظيم

---

(١) عبد الله زكريا الأنصاري: محمود شوقي عبد الله الأيوبي، ص: ٢٥.

(٢) محمود شوقي الأيوبي: رحيق الأرواح، ص: ٣٤٣.

(٣) د. أحمد الشرباصي: أيام الكويت، القاهرة، ١٩٥٣م، ص: ٢١٤.

(٤) د. نورية الرومي: محمود شوقي الأيوبي، حياته وتراثه الشعري، ط١، ١٩٨٢م ص: ٢٢.

التعليم فيها، واختيار البرامج التي يدرسونها لطلابها، دون أن يكون للحكومة عليها أي إشراف، وكانت تقوم بتحفيظ القرآن وتجويده، وتعليم التلاميذ القراءة والكتابة، ومبادئ الحساب، أي أنها كانت تعلمهم هذه الثقافة العامة التي يغلب عليها الطابع الديني[(١)].

وقد مات والده في هذه الفترة، فاحتضنه السيد عمر عاصم زوج شقيقته، وألحقه بالمدرسة المباركية حينما افتتحت، حيث درس بها ثلاث سنوات. ثم رحل إلى البصرة حيث تعلم فن الطباعة، «وعمل فترة من الزمن موزعاً بدائرة البريد، وفراشاً في المحكمة»[(٢)]. ثم ترك وظيفته والتحق بدار المعلمين العليا ببغداد، التي تخرج منها عام ١٩١٨م. وقد تحدث عن حياته بعد تخرجه من دار المعلمين فقال: «تخرجت من دار المعلمين في بغداد حاملاً شهادة (دبلوم) عام ١٩١٨م، ودرست في العراق، ثم رحلت بقصد السياحة إلى الموصل، ومنها إلى دير الزور مع قوافل العربات التي تجرها البغال، ومنها إلى الرقة ثم إلى حلب، ومن حلب خرجت ماشياً إلى المعرّة، فخان شيخون، ثم إلى حماة، فحمص، فأكلخ، فطرابلس الشام، فجبيل، فبيروت، فصيدا، فصور، ثم كررت راجعاً إلى بيروت، ومنها إلى عالية، فبحمدون، ومنها إلى دمشق، ومنها إلى النبك، ثم إلى دمشق كرة ثانية، ومنها إلى جبل الدروز، فالقنيطرة، ومنها عبرت حدود فلسطين ساحل «بحيرة طبرية» الشرقي حتى وصلت سمخ، ومنها إلى بيسان، ثم الفقوعة، فجنين، فنابلس، فالبيرة، فالقدس، فالخليل، ثم بيت لحم، فبيت جبرين، فغزة، فخان يونس، فرفح، فالعريش، ثم إلى مصر بعد أن عبرت قناة السويس فجزءاً من الصعيد، ثم رجعت إلى القناة، ومنها إلى غزة، ثم يافا، فقلقيلية، فطولكرم، فنابلس، ثم رجعت إلى حلب عن الطريق الذي أتيت منه ـ وقد صادفت في هذه الجولة مغامرات ومخاطر كثيرة ـ ومنها إلى بغداد عن طريق دير الزور على ساحل نهر الفرات إلى الرمادي، فهيت، فالفلوجة، فالمحمودية، فبغداد، ثم إلى البصرة، وكل رحلتي هذه على ضفاف نهر الفرات إلى القرنة، فالبصرة، ثم إلى الكويت، وعملت بالمدرسة المباركية في الكويت مدة، ثم رجعت إلى العراق، ودخلت الجيش العراقي قسم الخيالة الكتيبة الرابعة، ثم خرجت من الجيش وسافرت من بغداد إلى إيران عن طريق خانقين فقصر شيرين، فبيستون، فكرمان شاه، فهمذان فيزد، فطهران، ثم شاه عبد العظيم،

---

(١) د. نورية الرومي: محمود شوقي الأيوبي، ص: ٢٧.

(٢) السابق، ص: ٢٧.

فالقُمْ، فهمذان ثم إلى العراق وإلى البصرة، ثم إلى الكويت، ودرست في المدرسة الأحمدية وفي المدرسة المتوسطة، وفي المباركية مدة عشر سنوات، ومن الكويت سافرت إلى البحرين ومنها إلى العقير ثم الأحساء، وكان معي خالد الفرج الشاعر، وعبداللطيف النصف، ونزلنا ضيوفاً عند ولي عهد المملكة الأمير سعود بن عبد العزيز، ومنها سافرت على الجمال إلى الرياض، وقابلت المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود، ومنها إلى مكة المكرمة، ونزلت فيها ضيفاً عند الأمير فيصل آل سعود، وبعد أداء مناسك الحج سافرت إلى جدة، ومنها ركبت البحر في سفينة بخارية اسمها (هَلَنْس) إلى أندونيسيا إلى فلوفينغ، ثم سنغافورة، ثم جاكرتا، وبنافيا آنذاك، ثم باندونغ، فسور بايا، فاللاواغ، ثم درّست في مدرسة الإرشاد الإسلامية، وبعدها علَّمت في جاكرتا أولاد الحاج سالم مشرق النهدي، ثم دعيت إلى جزيرة مدورا وكان فيها مدرسة مغلقة ففتحتها ومكثت بها سنتين، وتزوّجت هناك بامرأة من مواليد العرب أنجبت لي ثلاث بنات وولداً ذكراً واحداً، ثم فتحت مدرسة على جبل في مدورا اسمها فاكوغ، ثم فتحت مدرسة التوفيق في برونداوان ومنها رجعت إلى فاكوغ أدرس أيضاً، ثم سافرت إلى سورابايا ومنها ذهبت إلى مدينة فاسروان وفتحت فيها مدرسة السلام في جناح من بيت السيد محمد بن طالب الكثير، ثم فتحت وأسست في مدينة فاسروان عام ١٩٤٠م مدرسة لي وحدي وسميتها مدرسة القرآن العظيم، ومنها سافرت إلى الصولو، ودرست في مدرسة الإرشاد هناك، ثم رجعت إلى فاسروان، ودرست مرة ثانية في مدرستي وزوجت ابنتيَّ ماوي وليلى، وبعد عشرين سنة قضيتها في أندونيسيا في التعليم لنشر اللغة العربية والآداب الإسلامية أذن الله بالفتح»[١].

ويذكر الشاعر في حوار أجري معه عن علاقته بالملك عبد العزيز: أنها علاقة طويلة، فنحن الشباب في ذلك الوقت كنا نتطلع إلى رجل يمدنا بالقوة لتحقيق آمال عروبتنا وقوميتنا، فالتجأنا إلى الملك عبد العزيز، وكان يسمى في ذلك الوقت (مارد الصحراء)[٢].

وقد وصل إلى الكويت بعد هذه الرحلة الطويلة مساء يوم ٢٢ من يناير سنة ١٩٥٠م، وأول ماقاله يوم وطئت قدماه أرض الوطن:

---

(١) عبد الله زكريا الأنصاري: محمود شوقي الأيوبي، ص: ٢، ٣.

(٢) لقاء مع الشاعر: محمود شوقي الأيوبي: مجلة الكويت ١/١/١٩٦٦م، ص: ٥١.

مــرج الــلآلــيء والــظِّــبــا وحِـمَـى (الـصـبـاح) الـمـبـتـهـجْ
روحــي تــشــيــر ظــبــاءه تــرنــو بــألــحــاظٍ رعــجْ
فــيــه الــنــشــيــد مــرخَّــمٌ يـحـيـي الـمـشـاعـرَ والـمُـهَـجْ
روحــي تــرفــرفُ تــبــتــغــي فـيـه مـن الـحـبِّ الـلـجـجْ
تــفــدي لــه الأعــمــار وال أرواح لاتــبــتــغــي الــعــوج
وطــنــي إلــيــك صــبــابــتــي وتــدلُّــهــي يــوم الــفَــرَج[1]

وبعد عودته إلى الكويت درَّس في المعهد الديني، ثم الشعيبة، ثم حولي، إلى تاريخ ١٩ نوفمبر سنة ١٩٦١م).

وقد توفي في الثاني من ذي الحجة١٣٨٥هـ الموافق ٢٣من مارس١٩٦٦م، «بعد أن أصيب بمرض عضال أشبه بالفالج، أفقده صوته وأثقل لسانه في النطق»[2].

ثانياً: دواوين الأيوبي:

أ ـ الدواوين المطبوعة:

١ ـ **الموازين**: طبع في دار المعارف بمصر عام ١٩٥٣م على نفقة البعثة الكويتية بالقاهرة، ويقع في (٤٥٠) صفحة، ويشتمل على (١٤٠) قصيدة.

يقول الأيوبي عن هذا الديوان: «قصائد قصيرة هي من وحي صباح الفردوس الاستوائي (أندونيسيا) المجاهدة تلك البلاد المحبوبة التي مكثت فيها نحو عشرين عاماً، وإن أفضل مايهدي المسافر سفراً طويلاً لأبناء وطنه هي عصاراته الروحية التي تمخضت عن تجارب قاسية فهي للشباب في عنفوان فتوته دروس، وللشيوخ في مجالسهم رياحين النفوس».

وقد تحدث في الديوان عن مكارم الأخلاق، وعظمة الخالق، ودقة نظام الكون، وقد نظم أغلبها ليحفظه طلبة المدارس العربية في أندونيسيا.

(١) محمود شوقي الأيوبي: أحلام الخليج، ص: ٥٠٦، ٥٠٧.
(٢) السابق، ص: ٢٥.

٢ ـ **رحيق الأرواح**: طبع في القاهرة في دار العهد الجديدة عام١٩٥٥م من منشورات رابطة الأدب الحديث، ويقع في (٣٥٢) صفحة، وقد طبع على نفقة د. محمد بن عبد المنعم خفاجي صديق الشاعر وكتب على صفحته الأولى: (أعذب الأناشيد الصوفية وأروع الألحان الروحية التي تمثل الشعر الصوفي في الأدب المعاصر أوضح تمثيل)، وقد نظمه في أندونيسيا في فترة من أحلك فترات حياته.

ومن عناوين قصائد الديوان: رحيق الأرواح، منبر النجوى. لحن الكروان، محراب الشاعر، شهوة الظلام، قلب الشاعر، دموع السلام، أخلاق الحب، طهر الحب، أحلام الشباب، مصباح الهوى، عروس البحر، الأمواج، برزخ الحيرة، المزامير، بين الأرواح والأشباح، المرايا، الغياهب.

٣ ـ **الأشواق**: طبع في القاهرة عام ١٩٥٥م من منشورات رابطة الأدب الحديث ويقع في (٣١٧) صفحة، ويشتمل على (٤٧) قصيدة.

ومن عناوين القصائد: أنغام الفجر، أمواج الفجر، نشوة الشروق، سحر الأصيل، ظلال الشفق، الناي المحطم، الفأل الحزين.

٤ ـ **هاتف من الصحراء**: طبع في القاهرة عام ١٩٥٥م على نفقة رابطة الأدب الحديث، ويحتوي على (٤٢) قصيدة.

ومن عنوانات القصائد: موسيقى الأمل، شعلة الخلود، رحيق الوفاء، أناشيد الطبيعة، ملحمة عالم الشعر، الإنسانية المعذبه.

٥ ـ **ألحان الثورة**: طبع في الكويت عام ١٩٦٩م على نفقة ابن أخته عبد الله زكريا الأنصاري، ويقع في (٤٤٨) صفحة، ويضم (٩٢) قصيدة في مناسبات مختلفة.

ومن عنوانات القصائد: فردوس الشهداء، المغاني والأغاني، ثورة الشعر.

٦ ـ **المنابر والأقلام**: أعده وقدم له عبد الله زكريا الأنصاري، وطبع في الكويت عام ١٩٨٢م، ويقع في (٢٢٦) صفحة، وينقسم إلى قسمين:

المنابر: وقد نظمه في أندونيسيا.

والأقلام: وقد نظمه بعد عودته إلى الكويت.

ومن عنوانات القصائد: مدرسة الإسلام، أمة الإسلام، الكفاح، إلى أبناء العرب في المهجر، تحية الشباب الأندونيسي، دموع حائرة، فتى الصحراء.

ب ـ الدواوين المخطوطة:

وهي كثيرة وترد بأسماء مختلفة وأشهرها:

١ ـ أحلام الخليج: يقع في مجلدين كبيرين بخط المؤلف.

ويقع الجزء الأول في (٤٤٥) صفحة، ويحتوي على (٢٥) قصيدة.

ويقع الثاني في (٦١٦) صفحة.

٢ ـ ديوان الملاحم العربية: يقع الديوان في (٥٦٧) صفحة، في كل صفحة مابين خمسة أبيات وسبعة أبيات، ويضم قرابة ثلاث آلاف بيت. أما عدد القصائد فهو (٢٧) قصيدة.

وقد نظم الديوان في فترات متباعدة؛ فقد أرسل بعضها من الكويت قبل زيارة المملكة والتقائه بالملك عبد العزيز رحمه الله، وبعضها نظمها أثناء الزيارة، ثم نظم بعضاً وهو في مهجره بأندونيسيا، وأخيراً نظم مجموعة من القصائد بعد عودته إلى الكويت من أندونيسيا.

ومن أهم قصائد الديوان:

١ ـ شذى الصحراء:

هو الإمام الحر مغوار الحمى ... عبد العزيز العبقري المرتضى

٢ ـ ملحمة الوثبات:

أعيدا مُنى نفسي لتلك المضاربِ ... بصبحٍ وإني في الهوى غيرُ كاذبِ

٣ ـ أريج الدهناء:

للحق سيف في الحمى مسلول ... وله على رأس العداة نزول

٤ ـ قبيل الحج:

فتقت كمائم زهرها الأشواق ... وإناء درياق النفوس دهاق

٥ ـ الكوكب الحائر:

على جمرات البين قلبي مزعزع ... وليلي بهيم بالخطوب ملفع

٦ ـ **العروس المهجورة:**

أمـن مـحـيـاك ريـا يـشـرق الـقـمـر   أم من سنائك ضوء الشمس يزدخر

٧ ـ **خمسون عاماً:**

مـواكـب الـعـز بـيـن الـقـفـر والـشـجرِ   تـتـرى مـرتـلـة أنـشـودة الـقـمـرِ

وقد نشرت بعض قصائد الديوان في جريدة (أم القرى)، ومجلة (الإصلاح)، ومجلة (الكويت)، وبعضها نشر في دواوينه الأخرى، وأكثرها لم ينشر من قبل.

وكان الشاعر قد جمع هذا الديوان وكتبه بخطه الجميل، وأهداه إلى الملك عبد العزيز، وبعثه بالبريد من قرية (الشعيبة) بالكويت، وانتظر طويلاً مجيئ رد من الملك يشعره بوصول الديوان، غير أن الرد لم يصل مما حز في نفسه، وربما يكون الديوان قد ضاع، وكدنا أن نفقد هذا الديوان لولا وجود صورة منه ضمن تراث الشاعر، وبعد جهود وتتبع وسؤال وجدنا النسخة المصورة لدى ابن أخته الأديب الكويتي الكبير: عبد الله زكريا الأنصاري، وقد سافرت إلى الكويت للقاء الأنصاري، والاطلاع على الديوان، لكني وجدت الأنصاري مسافراً فتكرم الصديق العزيز الأستاذ الدكتور: عبد الله بن يوسف الغنيم بإتمام المهمة والتوسط لدى الأنصاري للحصول على صورة من صورة الديوان المحفوظة لديه فرحب بذلك، وهكذا وصلت صورة الديوان كاملة إليّ ولله الحمد.

يقع ديوان (الملاحم العربية) في خمسمائة وسبع وستين صفحة من القطع المتوسط، ومعظم صفحات الديوان تحتوي على خمسة أبيات مكتوبة بخط النسخ المشكول الجميل، ولكل ملحمة عنوان: «وقد تم جمعه ونسخه في الكويت في جمادى الأولى، في قرية (الشعيبة) بالكويت ١٣٧١هـ»[١].

ويهدي الأيوبي ديوانه إلى الملك عبد العزيز، قائلاً في إهدائه: «يُرفع هذا السفر الشعري إلى ملك العرب الفخيم، وإمام المسلمين في الجزيرة العربية المقدسة الملك الإمام عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، الملك الإمام الموحِّد العربي الخالد، أطال الله عمره آمين»[٢].

---

(١) غلاف المخطوط.

(٢) صفحة: ١ من المخطوط.

وقد أرسل المخطوط إلى الملك عبد العزيز ـ غفر الله له ـ لنشره، يقول الأيوبي: «يا طويل العمر، ها أنا خادم دولتكم العربية المسلمة، الحبيبة إلى النفوس الطامحة، أتقدَّم إليكم بمجموعتي الشعرية، التي سميتها (الملاحم العربية)، وهي (٢٧) ملحمة ألهمتها في ظروف شتى من جهادكم المقدَّس، الذي دام ماينيف على نصف قرن، وهذه القصائد حَبرْتُها لمجدكم الأثيل، منذ وقعة (السبلة) الشهيرة، إلى ماقبل عام تقريبًا. الثقة بالله وحده ثم بكم يا طويل العمر أن تتكرموا متفضّلين بالنظر إلى هذا السفر الشعري الذي حَبَّرْتُه لمجدكم الخالد، وسيقرؤه أبناء الأجيال القادمة، وتتغنىَّ به الصحراء العربية وأمصارها، وإني أفوض لكم يامولاي سواء بإصدار أمركم بطبعه، أو بجعله ذخيرة ذكريات محبوبة في مكتبة ديوانكم الفخيم»[١].

ملامح موضوعية:

خصص محمود شوقي الأيوبي هذا الديوان الضخم لمدح الملك عبد العزيز آل سعود وولديه سعود وفيصل وبعض رجال دولته الذين وقفوا خلفه في توحيد الدولة السعودية، و«أهمية هذا الديوان تعود إلى أنه كله في مديح السعوديين مديحاً واكب فيه الشاعر صراعات الأسرة السعودية مع أعدائها في تلك الفترة التي قاد فيها الملك عبد العزيز جيوشه لتوطيد حكمه، والقضاء على الخارجين على سلطة الدولة الناشئة، وهو ماعبر عنه الشاعر في سبع وعشرين ملحمة طويلة. قالها بوعي سياسي مقصود، يرى في آل سعود عامة، والملك عبد العزيز من بينهم خاصة، بطلاً يخلص العرب من قبضة الاستعمار ويقودهم إلى الوحدة والتحرر، وقد عبَّر هو نفسه عن ذلك تعبيراً في قوله عن علاقته بالملك عبد العزيز: «إنها علاقة طويلة، وهي سياسية محضة، فنحن الشباب في ذلك الوقت كما نتطلع إلى رجل يمدنا بالقوة لتحقيق آمال عروبتنا وقوميتنا»[٢].

ونجد في ملاحمه التي يضمها هذا الديوان إعجاباً كبيراً بالملك القائد الموحِّد، الذي قضى على عبث العابثين، ونفاق المنافقين، وقد استطاع عبد العزيز ـ في احتمائه بالله ـ أن ينتصر على أعدائه، الذين هم أعداء دين الله:

(١) المخطوط، ص: ٢٩، ٣٠.

(٢) د. نورية الرومي: محمود شوقي الأيوبي: حياته وتراثه الشعري، عرض ونقد، الكويت ١٩٨٢م، ص: ٣٤١.

هو القائدُ الجردَ السَّلاهبِ في الوغى عليها كماةُ يحسنون به الظَّنَّا
يمزِّقُ رهط الغيِّ، باللَّهِ محتمٍ وفي اللَّه لم يطلب لفعلتهِ مَنَّا
مشى يبتغي للمجدِ صَرْحاً مؤثلاً بيوم الزعوف السودِ كم غارةٍ شنَّا
هو الضيغمُ الوثّابُ في ساحة الوغي بغير المعالي والمفاخِرِ لايهنا
خذوا حذركم يا أيُّها النَّفَرُ الألى يريغون ذحلاً زائغاً في الوغى غبْنا
خذوا حذركم من عارم البأس إنَّهُ إمامُ حمى الأوطانِ والبيت والرُّكْنَا[1]

إنه يصف الملك عبد العزيز هنا بالصفات التقليدية في الشعر العربي مثل «الضيغم الوثاب في ساحة الوغى»، و«هزبر الشرى» وغيرها. ولا نعدُّ ذلك من التقليد، لأنه نتاج البيئة التي شهدت بطولة الأقدمين، وهي البيئة نفسها التي شهدت بطولة الملك الموحِّد. الذي لم يبغ مجداً شخصياً، وإنما كان يريد نصر الإسلام وتوحيد العروبة؛ ومن ثم فالشاعر يعد نفسه جندياً في جيش الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يُعبِّرُ عن ذلك بقوله:

تلبّيك يا عبد العزيز نفوسُنا فها نحنُ في الهيْجا، فخُذْ عهدنا مِنَّا
نضحّي جسومًا لانريدُ لها هَنا إذا كانت العلياءُ في كفِّك اليُمْنى
إذا لم تكُنْ أرواحنا مُستفيقةً فلا خيْرَ في عيش نذوقُ بِهِ هَوْنا
نريد حياةً للعروبة حَقَّةً نريدُ حياةَ العزِّ، ها نحْنُ بادرْنا
فيا جنة الحرب الضروس نفوسُنا تفدّيك لم تنقُضْ عهوداً ولا خُنَّا[2]

والملك عبد العزيز ـ عند الأيوبي ـ لا يتصف بالبطولة في الحرب فحسب، بل يتصف قبل ذلك بسجايا خلقية نبيلة لعل من أبرزها الحنوَّ على رعاياه حنوَّ الوالدين، والحِلْم. وهو مخلص لرب العرش، ولدينه الذي ارتضاه لعباده (الإسلام): ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة، الآية: ٣].

حنوت حنوَّ الوالديْن ولم تزلْ من الحِلْم لم تُغمض بليل الرَّدى جَفْنا

(١) المخطوط، ص: ٨٦ ـ ٨٨.
(٢) السابق، ص: ٨٨، ٨٩.

وأخلصت للإسلام قلباً وفكرة — وأرضيت ربَّ العرشِ والإنسِ والجنَّا
وأنت لعزِّ المسلمين مجاهدٌ — ومن سعيِكَ المبرور مجدُ الحمى يُبْنى
أعدْتَ زمان الراشدين بعصرنا — وحكَّمْتَ دين اللَّه والشِّرْعةِ الحُسْنى
فهذي جموعُ العُرْب تهواك كلُّها — وضدُّكَ قد أضنى الأسى منه ما أضْنى(1)

وفي الأبيات السابقة: «اختلطت... صفات الملك عبد العزيز الإنسانية من الشجاعة والكرم والعدل بصفاته الدينية التي تتمثل في حرصه على القيام بواجبه من أجل الإسلام، كما اختلطت هذه المعاني الدينية بالمعاني القومية المتمثلة في حاجة العروبة إليه لدفع الشرِّ عنها، وردّها إلى الوحدة التي افتقدتها، فهو يرى في حياته حياة للعروبة، وفي إخلاصه نصرة للإسلام، وإرضاء لله، وعزا للمسلمين، وعودة لزمن الراشدين الذين أعزُّوا دين الله، ورفعوا من شأن المسلمين»(2).

ويرى الأيوبي أن الدولة السعودية التي شيَّدها عبد العزيز على أسس من الإسلام، إنما شيدها ـ بعد الله ـ بالقوة والعلم، وعلى هذا الهدْي يسير بنوه:

عليهم جلالُ الدين والصدق والنُّهى — وفَوْقَهمو ربُّ البريَّةِ راحِمُ
بِنَجْدٍ «إمامُ المسلمين»، وفي الحسا — «سعود» المرجَّى الأورعُ المتراحِمُ
وعَرْشٌ ببيْتِ اللَّه يحميه «فيْصَلٌ» — أخوك الذي للبيت والعِلْمِ خادِمُ
فأنت الذي تُزْجي الصَّواعِقَ للعدا — و«فيصل» للعلم الصحيح يُنادِمُ
كذا فارفعا مجد العروبة بالظُّبَا — وبالعلم، إن العلمَ للجهلِ هادِمُ
ولُمَّا فلولَ العُرْبِ سعياً وشيِّدا — فخاراً عليه كوكبُ الدينِ حائِمُ(3)
فما العُرْبُ إلا أمَّةٌ لو تجمَّعتْ — لسادتْ وحيَّتْها العُلاَ والعوالِمُ
بنو يعربٍ لا يصبرون على الأذى — وقد عَلَّمَتْهُمُ في الزمانِ المظالِمُ(4)

---

(1) المخطوط، ص: ٨٩، ٩٠.

(2) د. نورية الرومي: محمود شوقي الأيوبي، ص: ٣٤٩.

(3) القصيدة يخاطب بها ولي العهد في ذلك الحين، الأمير سعود بن عبد العزيز رحمه الله.

(4) الملاحم العربية، مخطوط، ص: ١٠٢، ١٠٣.

وقد يمزج الشاعر بين الفخر بالعروبة ومدح الملك عبد العزيز في مثل قوله في قصيدة «حول أبي قبيس»:

حِمىَ العُرْب دارٌ لايذل حماته ... ومنهم سما مَجْدٌ له وبهاءُ
هُمُ الصِّيدُ غُرٌّ لايُباحُ ذمارُهُمْ ... ودون أماني الكاشحين شقاءُ
كفى العرب فخراً بالسعودِ فإنهُمْ ... شموسٌ بأرجاء الحمى وسناءُ
إذا كنت من عدنان فاحفظ حقوقهمْ ... فما الحقد إلا نكبةٌ وعَنَاءُ
فَمَنْ رام عزًّا فالجزيرةُ موئلُ ... منيعٌ له عبد العزيزُ رجاءُ
وأبناؤه الشوسُ الميامينُ حوْلهُ ... عليهم من الخُلُق النبيل ثَرَاءُ[1]

وهو يمزج بين المدح والفخر أيضاً في قصيدته «مهر الظهران»، فيرى أن العرب كانوا منذ القدم قطب العالم، يقصدهم الناس من كل فج، يستنجدونهم أو يسترفدون كرمهم. وهذا الملك الموحِّد عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ قد شرب من نبع العروبة، فهو ابن بجدتها، وفارسها الذي لايثلم له سيف:

إذا ذكرت شعوب الأرض أجمعهم ... فأمة العرب كانتْ للورى قطبا
لها الجزيرةُ كهفٌ لايذلُّ بِهِ ... مستنجدٌ لاذَ أو مُسْتَرْفِدٌ رعبا
طلائع المجدِ تترى من مرابِطِها ... وفي الحمى من سناء المجدِ ماخلبا
فليعلم الناسُ أن العُرْب ماوَهَنُوا ... وفارس العرب من نبْعِ العُلاَ شربا
وليهنأ العرب إن السعد حالفهم ... وبالسعود سراجُ العزِّ قد نَتَبَا[2]

ويتسم مدح الأيوبي للملك عبد العزيز وأسرته بالصفات التالية:

١ ـ البطولة المنتصرة التي لايقف في طريقها شيء: وهو يصف البطل بالقوة والبسالة يقول في ملحمة «يوم الظفر الأخير»:

(١) المخطوط، ص: ١٢٣ ـ ١٢٥.
(٢) السابق، ص: ١٣٨، ١٣٩، ونتب بمعنى: نشأ.

تجلَّى سناءُ الحقّ وانبلج الصُّبْحُ ... ومُزّق جنحٌ للدُجى واختفى جُنْحُ
وأشرق مغنى العرب بالنور لاهجاً ... بفتحٍ لدين اللّه من بعده فتح[1]

ويقول في ملحمة «في مر الظهران»:

شمّر إلى الفاتح المنصور مبتهجاً ... وصافحن كفَّه واستلهم الأَدَبا
مزجي الكتائب أرتالاً يُحشّدُها ... للعزّ في حلبة الهيجاء ماغُلبا[2]

٢ ـ **الدين، والتقى، والإخلاص لله**: يقول في ملحمة «في مر الظهران» واصِفاً الملك عبد العزيز رحمه الله إنه صاحب دين وتقوى؛ فالله قبلته، والإخلاص رائده، وهو داعية من دعاة الله إلى الحق:

للّه، للوطن الميمون مربَعهُ ... تحمَّلَ الغبء والآلامَ والنَّصَبا
شعارُه الدينُ والإخلاصُ رائدهُ ... يدعو إلى الحقّ أنى حَل أو ذَهَبَا
يحيي الليالي يُحيك البُرْدَ أنمُلُه ... بُرْدَ العُلاَ، ويُعدُّ البيضَ والقُضُبا
ويرْجُمُ الزيغ بالرأي الحكيم وقَدْ ... يبيتُ ليلتهُ لايعرفُ التَّعَبَا[3]

وهو يجمعُ بين البطولة المنتصرة والدين والتقى والعفاف في مدحه للأسرة السعودية جميعاً، يقول مخاطباً الملك عبد العزيز:

فحولك أشبالٌ ميامينُ كلُّهمْ ... فوارسُ هيجاءٍ قساورةٌ سُمْحُ
فهذا الذي يُرْدي العِدَاة حُسَامُهُ ... «سعودٌ» وليُّ العهد والضَّيْغمُ السَّمْحُ
وحارسُ بيت اللهِ والعلِم والنُّهَى ... بأمّ القرى الشمَّاءِ، والفيصلُ الفَصْحُ
وآل سعود الأريحيين كُلُّهُمْ ... سما في ميادين الخلودِ لهُمْ لوْحُ[4]

---

(١) المخطوط، ص: ١٥٤.
(٢) السابق، ص: ١٤٠.
(٣) السابق، ص: ١٤١.
(٤) السابق، ص: ١٦٢، ١٦٣.

ويقول المعاني ذاتها في ملحمة «نسيم العيد»:

فـلـلـه فـي دار الـجـزيـرة غَـضَّـةٌ — مؤثَلَةٌ قد طاشَ عن حيِّها النَّجْسُ
بـهـا مـن حـمـاةِ الـمسـلمين أشاوسٌ — بسيِّدها الميمونِ قَدْ بُري القوسُ
هُـوَ الأروع الـداعـي لـكـلِّ فـضـيـلـةٍ — وفي أكْبُدِ الأعداءِ من عَضْبِهِ نَخْسُ(١)

وهذه العاطفة الدينية الصادقة، وإعجابه بالملك عبد العزيز الذي مثلها في عصره خير تمثيل، هي التي جعلته يرتبط به، ويكتب فيه وفي أسرته هذه الملاحم، يقول:

لـعـبـد الـعـزيـز الـشَّـهْـمِ مِـنّـي نَـشـائِـدٌ — مُـنَـضَّـدَةٌ فـي طـيِّـهـا الـحـبُّ يـنـدسُّ
لآلِ الـسـعـودِ الـصـالـحـين قـصـائـدي — أُدبِّـجُـهـا حـتّـى يـغـيِّـبـنـي الـرَّمْـسُ(٢)

٣ ـ حنوه على المسلمين وتوحيدهم: لقد وحّد الملك عبد العزيز هذا الكيان الضخم في دولة فتية، وما كان لهذه الوحدة الراسخة أن تتم إلا بقوته وجسارته، وأبوته للمسلمين وحنوّه عليهم، وتوحيده لشتاتهم لتكون نواة للوحدة العربية في ظلال الإسلام، التي كان يحلم بها الأيوبي، يقول في ملحمة «يوم الملحمة» التي نظمها على أثر وقعة «السبلة» المشهورة، مسجلاً فيها انتصار الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تـلـبـيـك يـا عـبـد الـعـزيـز نـفـوسـنـا — فها نحن في الهيجا فخذ عهدنا منا
نـريـد حـيـاة لـلـعـروبـة حـقـة — نـريـدُ حـيـاة الـعـزِّ هـانـحـن بـادرْنـا
حـنـوْت حـنـوَّ الـوالـديـن ولـم تـزلْ — من الحِلْم لم تغمض بليل الردى جفنا
وأخـلـصـت لـلإسـلام قـلـبـاً وفـكـرةً — وأرضيت ربَّ العرشِ والإنس والجنَّا
وأنـت لـعـزِّ الـمـسـلـمـيـن مـجـاهـدٌ — ومن سعيك المبرور مَجْدُ الحمى يُبْنى
أعـدْت زمـان الـراشـديـن بـعـصـرنـا — وحكَّمت دين الله والشِّرْعة الحَسْنَا
فـهـذي جـمـوعُ الـعـربِ تـهـواك كـلُّـهـا — وضدُّك قد أضنى الأسى منه ما أضنى

(١) المخطوط، ص: ١٨٦، ١٨٧.
(٢) السابق، ص: ١٨٨.

حمانا حِمى الإسلام والقوم يعربٌ ... وفي ذمّةِ الأوطانِ للغيرْ ما دِنّا[1]

الملامح الفنية

١ ـ الصدق الفني:

كان محمود شوقي الأيوبي محبًا للملك عبد العزيز، بإخلاص وتجرُّد، فهو قد كتب عنه وفيه إعجاباً ببطولته الفذة، وعروبته الأصيلة، وإسلامه الصادق. ويرى فيه أملاً للأمة العربية. يقول في مقطع «رجاء» من ملحمة (الإمام مطمح الآمال):

حنانيْك لم أقصد على رغم حاجتي ... نوالاً، ولو أنَّ النوال سحائحُ
ولست كمن يرجو على الشعر حاجةً ... إذا دفعتني للكرام المدائحُ
ولكنَّ حُبًّا قد تغلغل في الحشا ... وإني كماء المزن بالشعر سائحُ
فحبُّك يا «عبد العزيز» رجاءُ مَنْ ... له في سجلات الخلود مصالحُ
أُناغي بك الآمال آمال أمتي ... وأسكبها شعراً دَجَا وأُطارحُ[2]

لقد وجد في الملك عبد العزيز بطولة فذة، فانتدب نفسه للتعبير عن هذه البطولة، ولعله استدعى المتنبي حينما صور شخصية سيف الدولة الحمداني، فأراد أن يكون مسجلاً فنياً لبطولات الملك عبد العزيز العسكرية والأخلاقية، نلمح ذلك في ملحمة «يوم الملحمة» التي نظمها على أثر وقعة «السبلة»، حيث يقول في مطلعها:

لغير سجايا العُربُ لم أخضع القنا ... ولا عاود الأفكار إلاّ هوى المغنى
صبوت إلى غيل الصراغِم صبوةً ... تشاطرني وهْناً فتورثني الحُزْنا
فأهدأ في الظلماء والقلبُ ثائرٌ ... وفي الروحِ عيْنٌ لم تذُقْ ليلةً وَسْنا

❊ ❊ ❊

أنا البلبلُ الغرّيدُ تحنو منازعي ... إلى الوطن المحبوب والدَّوْحة الغَنَّا

---

(١) المخطوط، ص: ٨٨ ـ ٩٠.
(٢) السابق، ص: ٣٦٢، ٣٦٣.

أنا شيد شعرٍ محكم الوزن والمغْنى … على الرَّغم مني أن أراني مرتلاً
أرَدِّدُ ألحاني وأستوْعبُ الوزْنا[1] … لمجدِ أشمّ الأنف سَيِّرِ يعربِ

وهذا الصدق الفني هو الذي جعله يكتب هذه الملاحم جميعاً، مصوراً فيها البطولة الفذة التي أعجب بها، ووقف ديوانه الضخم هذا على التغني بخصالها.

٢ ـ بناء القصيدة:

لم يخرج الأيوبي في ملاحمه العربية عن الطريق المألوفة في الشعر العربي، فهو من الشعراء المحافظين الذين وقفوا بالفن الشعري عند مرحلة اتخاذ النماذج القديمة مثلاً أعلى، والذين حافظوا إلى حد كبير على التقاليد الشعرية المتصلة بمنهج القصيدة وأسلوب الشعر ومعانيه وصوره، ونحن نرى شاعرنا يتمسك بتلك المجموعة من التقاليد الفنية التي كان يسير عليها الشعراء الكبار الأقدمون، والشعراء الكبار من مدرسة الإحياء والبعث، مثل البارودي.

فهو قد يبدأ قصيدته ـ وهي في المديح للبطل عبد العزيز ـ في ديوان «الملاحم العربية» بالغزل، أو بالشكوى، أو بالوقوف على الأطلال، أو بوصف الطبيعة، ثم يتخلص إلى الغرض الأصلي لقصيدته.

ومن قصائده في «الملاحم العربية» التي توضح هذا المنحى «ملحمة الكوكب الحائر»، التي يبدؤها بقوله:

على جمرات البين قلبٌ مزعزعٌ … وليلٌ بهيمٌ بالخطوبِ مُلَفَّعُ
جيوش الهموم الداهمات كأنها … عقاربُ سوءٍ بين جنبيَّ تلسعُ
خوادعُ آمالي الحسان كأنها … سَرَابٌ على موْج الرِّمال مشعشعُ
فيا نفس صبراً إن دونك هِزَّةً … لدى الموت أقصى مايروم المُضَيَّعُ
ليالي النوى هل يجمعُ الدهرُ شملنا … وتشملُنا بالأنس والعطفِ أرْبُعُ[2]

والمقدمة طويلة تقع في ستين بيتاً[3]، وهي كما رأينا في شكوى الدهر.

(١) المخطوط، ص: ٨٢ ـ ٨٤.
(٢) السابق، ص: ٤٠٨.
(٣) انظر: د. نورية الرومي: محمود شوقي، ص: ٣٩٨.

وقد تكون المقدمة غزلية كمقدمته لملحمته «العروس المهجورة» حيث يقول في تلك المقدمة:

أمِن محياك ريا يشرق القمرُ ... أم من سنائك ضوءُ الشمس يزدخرُ؟
رتِّلْتِ لي من زبور العشق أغنيةً ... سالت على وَقْعِها الأذكارُ والعبَرُ
أُديرت الكأسُ تلو الكأسِ مترعةً ... من الرحيقِ الذي ماشابَهُ كَدَرُ
كأسٌ من النور لا لغوٌ لشاربها الـ ... أزكى العفيف ولا إثمٌ ولا هَذَرُ
من كف ريا كرعت الكأس مفعمةً ... بالحب والشِّرْب لا خَمْرٌ ولا سَكَرُ
تلفَّعَتْ بقميص النورِ في أفقٍ ... طافَتْ بأرجائه الأرواحُ والصور
ريَّانةٌ شفَّها الحبُّ القديمُ وفي ... شبابها هامتِ الأجيالُ والعُصُرُ
من عَالم الغيْبِ ماسَتْ لي معاطفها ... في لجة النور تطفو ثم تنغمرُ
جَرَّت على مهجتي ذيلَ الهوى فذوى ... جسمي وخَلَّدَ في حُبِّها القَدَرُ
تميسُ في حُلَّة تزهو مزركشة ... باللؤلؤ الرّطبِ لم تعملْ بها الإبَرُ
الشمسُ تخجلُ من إشراق مبسمها ... والبدرُ في كفِّها الدرَي مؤتمِرُ[1]

٣ ـ المدح بالمعاني التقليدية:

فهو حينما يصف شجاعة الممدوحين ويصور انتصاراتهم يستعير الأوصاف القديمة، «فيكثر من ذكر السيف، والرمح، والسهم، والقناة، والظُّبَا، والقواضب...»[2].

يقول في «الملحمة الكويتية»:

وفي الروح غايات لها كلُّ فترةٍ ... مثارات وجدٍ «بالظُّبا والقواضب»
نصيبي من الدُّنيا يراع وعفةٌ ... ورأسٌ غيورٌ أو «حسامٌ محاربُ»
يعز عزيز النفس «بالسيف والقنا» ... وما العزُّ إلاّ جولة في الكتائب[3]

---

(١) الملاحم العربية، ص: ٤٤٢، ٤٤٣.

(٢) د. نورية الرومي: مرجع سابق، ص: ٤٣٩.

(٣) انظر: «الملاحم الكويتية» في «الملاحم العربية»، ص: ٣٢ ـ ٥١.

ويقول في ملحمة «نشوة الأحساء»:

فما رجعت منك «القناةُ» كليلةً ... سوى أنها قد أشبعتها الجماجمُ

أولئك شُرَّابُ الحتوفِ إذا بَدَتْ ... مثاراتُ حربٍ هيجتها «الضياغِمُ»

هُمُ مزَّقت أسيافهم كلَّ خَاربٍ ... وآمالُهُمْ للأكرمين بلا سِمُ

دع «السيف» يارمز الشبيبة يرتوي ... من العصبة الأشرار، فالشرُّ ثالِمُ

ذر السيف يأخُذْ من أولي البغيِ حَظَّهُ ... وما «السَّيْفُ» إلا فاصلٌ وهو حاكِمُ[1]

وهو في ذلك يتفق مع شعراء البعث والإحياء للتقاليد الشعرية العربية.

إعجاب النقاد:

وقد أعجب كثير من النقاد بشعر الأيوبي:

١ ـ قال عبد الله زكريا الأنصاري في تقديمه لديوان (المنابر والأقلام): «إن الشعر عند المرحوم: محمود شوقي هو الطعام والشراب، وهو اليقظة والمنام وهو اللباس، وهو كل شيء، فلا شيء في حياته يعلو على الشعر، يتحدث إليك فيجرّه الكلام إلى الشعر، ويكتب فيتغلب الشعر على الكتابة، فحياته شعر في شعر».

٢ ـ يقول الدكتور: محمد عبد المنعم خفاجي في كتابه: (فصول من الثقافة المعاصرة)، ص: (١٣٣): «هو في شعره خصب الخيال، دقيق الشعور، عميق التجربة، متجدد الإحساس الفني المتصل بينابيع الإلهام الشعري الخالد، يكره التنقيح وتكلف التجويد الفني، ويضع الشعر ارتجالاً أو مايشبه الارتجال، عازفاً عن الصنعة، كارهاً للتعجل والإغراب».

٣ ـ ويقول أحمد الشرباصي في كتابه (أيام الكويت)، ص: (٢١٧): «ونحن مع شاعر مكثار ينثال الشعر عن خاطره انثيالاً في فيضان وإسهاب، فقصائده طوال، وقصائده متلاحقه متتابعة، ولعله أكثر شعراء الكويت نظماً وإنتاجا، وكأني بأبيات الشعر طوع يديه يتناول منها كما يشاء وحين يشاء، وهو في ذلك مسماح جواد يرسل الشعر بلا تجهل أو استعراض».

---

(١) الملاحم العربية، ص: ٩٣ ـ ١٠٤.

٤ ـ وتقول الدكتورة: نورية الرومي في كتابها عن الشاعر مبينة أهمية ديوان الملاحم: «وأهمية هذا الديوان تعود إلى أنه كله في مديح السعوديين، مديحاً واكب فيه الشاعر صراعات الأسرة السعودية مع أعدائها في تلك الفترة التي قاد فيها الملك عبد العزيز جيوشه لتوطيد حكمه، والقضاء على الخارجين على سلطة الدولة الناشئة، وهو ماعبر عنه الشاعر في سبع وعشرين ملحمة طويلة قالها بوعي سياسي مقصود، يرى في آل سعود عامة، والملك عبد العزيز من بينهم خاصة، بطلاً يخلص العرب من قبضة الاستعمار، ويقودهم إلى الوحدة والتحرر»[١].

* * *

(١) د. نورية الرومي: محمود شوقي الأيوبي، ص: ٣٤١.

ملحوظات على الديوان المخطوط

١ ـ يقع ديوان الملاحم العربية في (٥٦٧) صفحة بخط الشاعر.

٢ ـ كتب الشاعر الديوان بخط جميل جداً، وحلاه ببعض الصور للملك عبد العزيز وأبنائه.

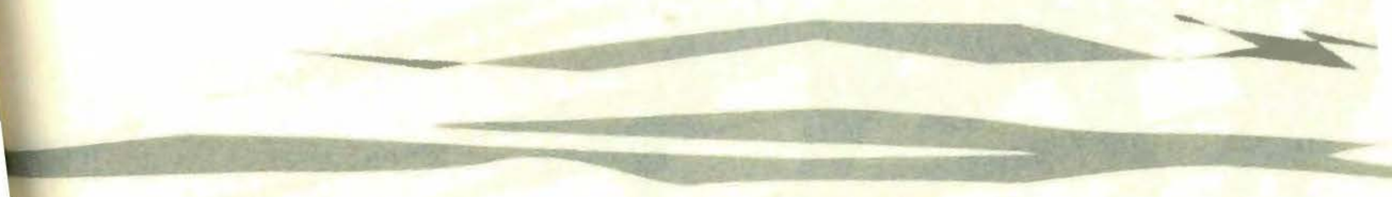
٣ ـ يشتمل الديوان المخطوط على تعليقات مهمة ومعلومات مفيدة عن دواوين الشاعر، كما يشتمل على مناسبات أكثر القصائد، وفهرس لقصائد الديوان.

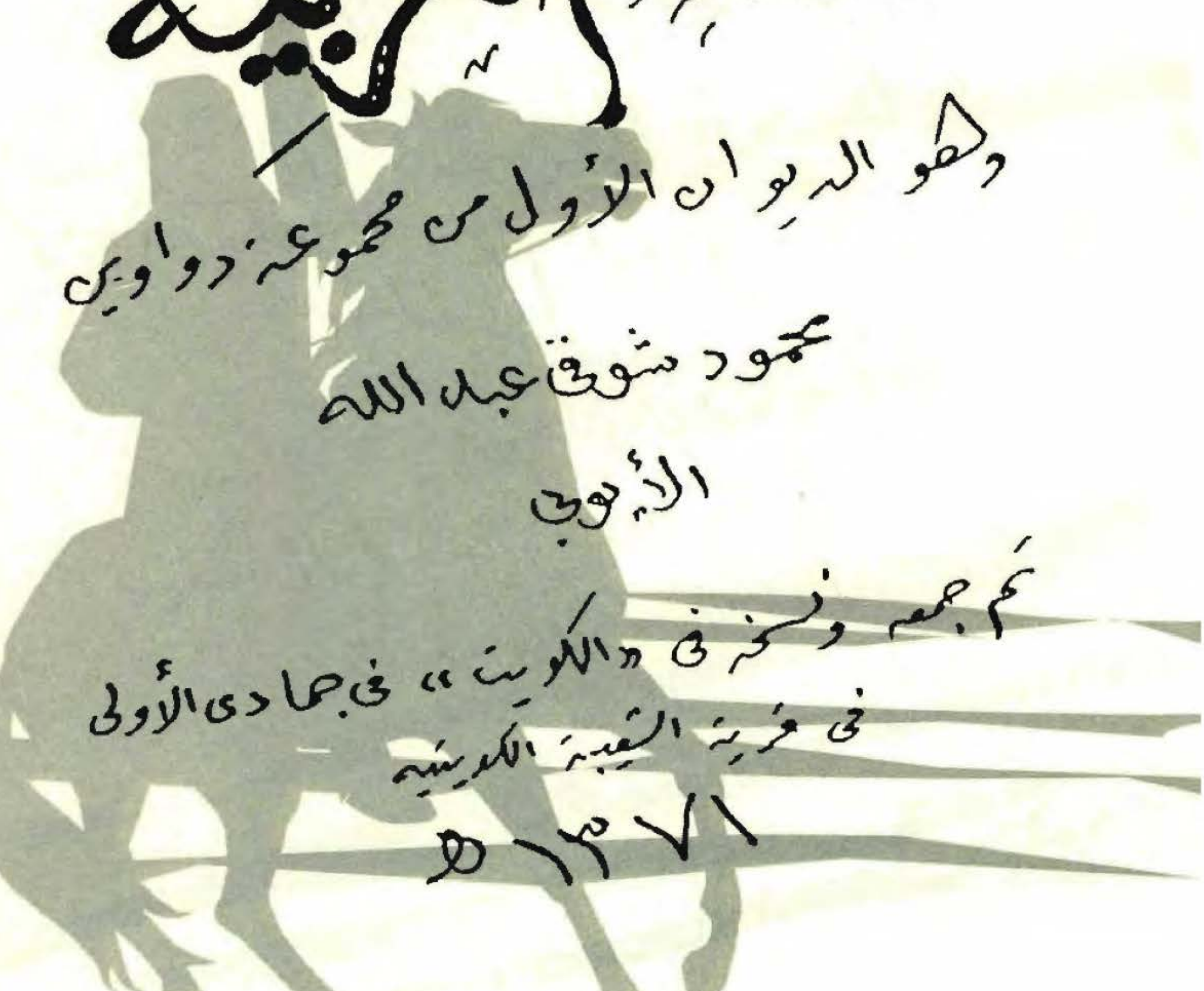
٤ ـ يقوم الشاعر ـ أحياناً ـ بشرح الكلمات الغريبة.

٥ ـ وضع للديوان مقدمة جميلة وخاتمة مفيدة، وقد رأينا تصويرهما بخط الشاعر؛ ليستفيد منها القارئ والدارس.

٦ ـ أورد تاريخ الانتهاء من نسخ الديوان وتجليده، وأنه يوم الإثنين الثامن من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧١هـ (٤ شباط ١٩٥٢م) في قرية الشعيبة بالكويت.

❊ ❊ ❊





ديوان

الملاحم العربية

وهو الديوان الأول من مجموعة دواوين

محمود شوقي عبد الله

الأيوبي

تم جمعه ونسخه في «الكويت» في جمادى الأولى

في غرفة الشعبة الكويتية

١٣٧١ هـ

الإهداء

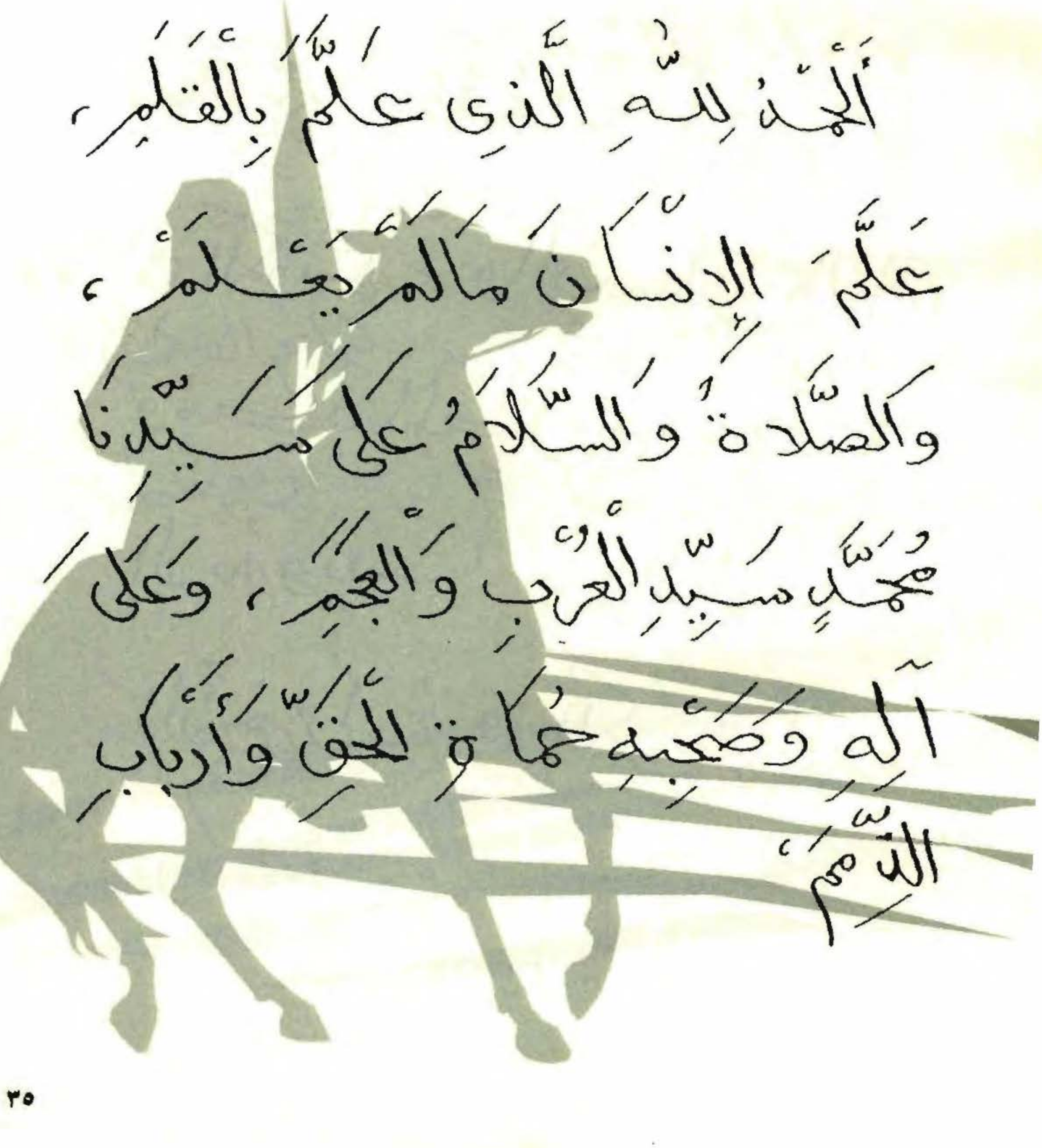
يرفع هذا السفر الشعري لملك
العرب الفخيم ، وإمام المسلمين
في الجزيرة العربية المقدسة

الملك الإمام
«عبد العزيز»

بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود
الملك الامام الموحد العربي
الخالد
أطال الله عمره
آمين







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ،
عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ،
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ حُمَاةِ الْحَقِّ وَأَرْبَابِ
الذِّمَمِ

وبعد : فهذه مجموعتي الشعرية

الأولى ، تحتوي على "٢٧" ملحمة

شعرية ، أهمها في ظروف شتى

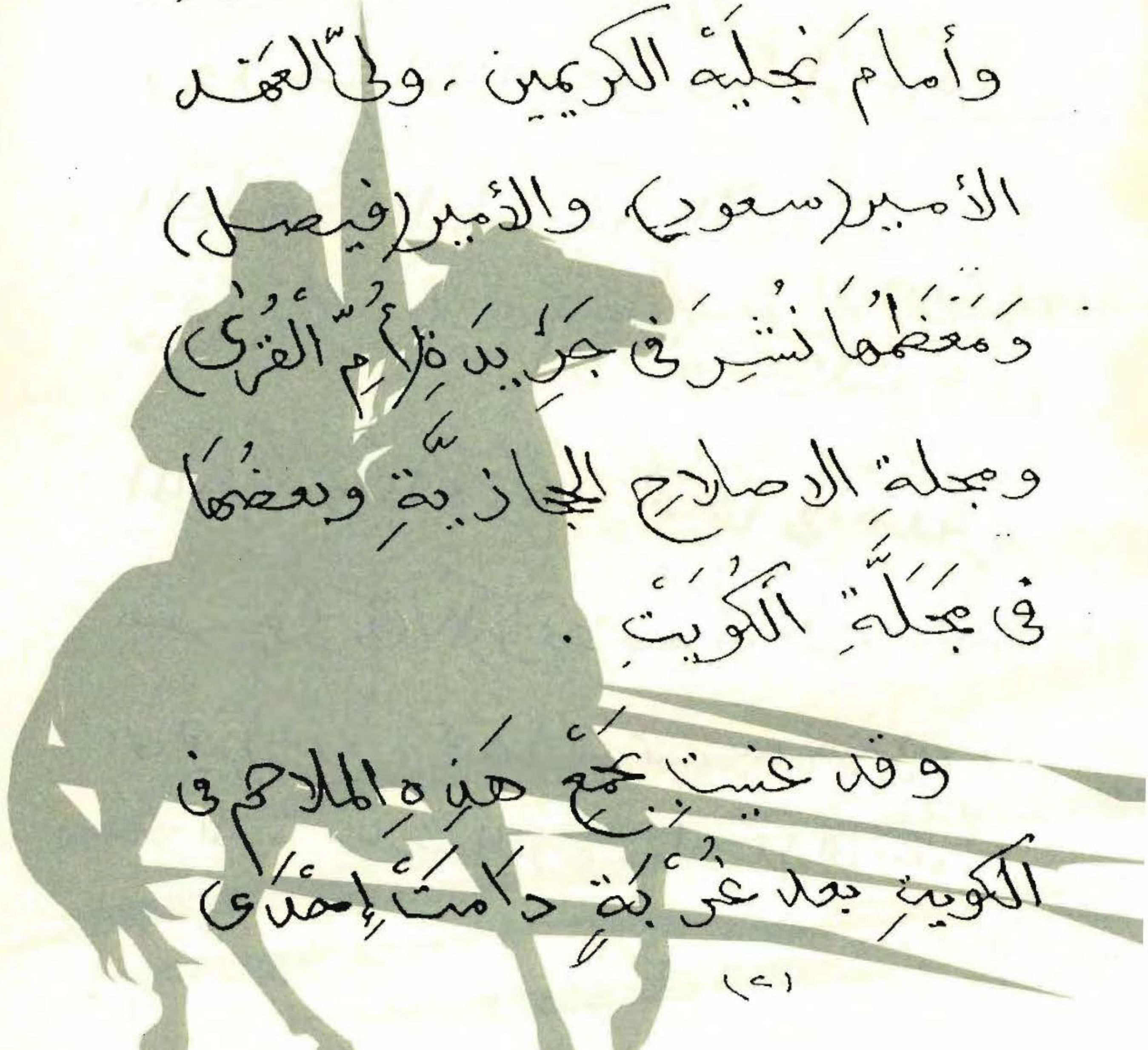
، في الكويت ، والأحساء ، والرياض ،

ومكة المكرمة ، ونمر في

إلاندونيسيا ، والثلاث

الأخيرات في الكويت !..

(١)



وهذه الملاحم بعضها أُلقي في الأحساء
وفي مكة المكرمة ، أمام (طويل العمر)
وأمام نجليه الكريمين ، وليّ العهد
الأمير (سعود) والأمير (فيصل)
ومعظمها نُشر في جريدة (أم القرى)
ومجلة الإصلاح الحجازية وبعضها
في مجلة الكويت .

وقد عُنيت بجمع هذه الملاحم في
الكويت بعد غربة دامت إحدى

(٢١)

وَعِشْرِينَ سَنَةً في (الشَرقِ الأَقْصى)

(أَإِنْدُونِيسِيا)

وقد كَانَتْ مفقودةً لدىَّ بِسبب

الظروفِ القاسيةِ التى مرَّتْ على

حَيَاتِي ، غير أَنِّي توكلتُ على

اللهِ ، وَبَادَرْتُ بِجَمْعِهَا في مَكَّةَ ،

سنتين فى الكويتِ « أى منذ وصولى للكويت

الى هذا اليوم » فبعضها استعنت ببعض الاخوان فى

مكة المكرمة والمدينة المنورة فأرسلها الى منقولة

من الصحف ، والبعض من أوراق مغلفكم باقية عندي !..
والبعض أرسلته الى اندونيسيا أطبعه .

هذه الملاحمُ العربيةُ هي
عُصارةُ روحٍ مُتطلِّعةٍ إلى المجدِ
العربيِّ الأثيلِ في هذهِ الأسرةِ
العربيَّةِ المجيدةِ الخالدةِ، الا وهي
الأسرةُ (السُّعوديَّةُ) الكريمةُ
وعلى رأسِها المؤسِّسُ العظيمُ

٤

لِدَوْلَةِ الإِسْلَامِ وَالعُرُوبَةِ

فِي وَطَنِ العَرَبِ المُقَدَّسِ

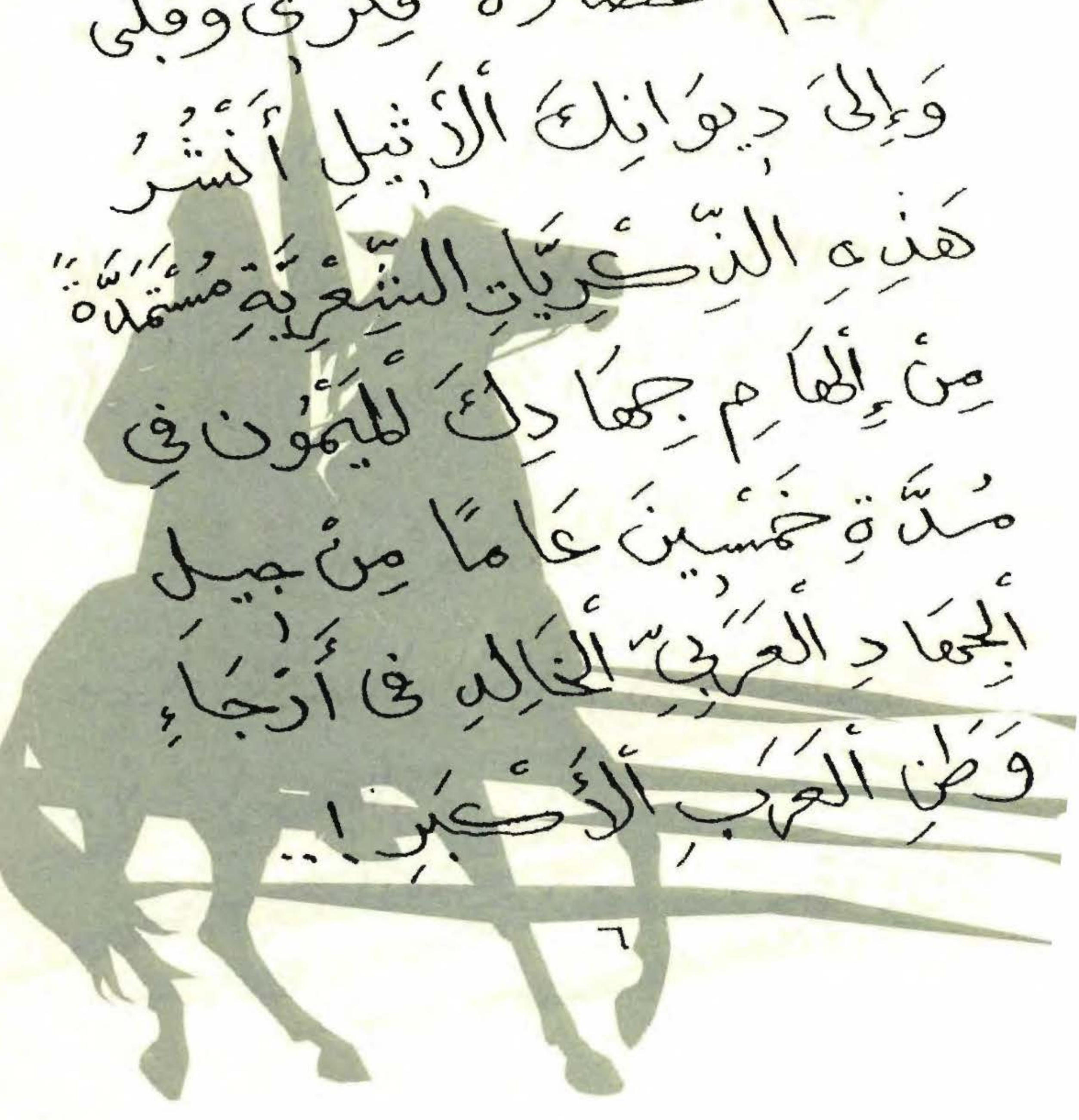
الأَكْبَرِ (شبه جزيرة العرب»

عَبْدُ العَزِيزِ وَمَنْ إِذَا ذُكِرَ الأُولَى

لِمَجْدِهِمْ، كَانَ الأَعَزَّ الأَرْفَعَا

٥

إليكَ يا طويلَ العمرِ !..
أُقدِّمُ عُصارةَ فِكري وقلبي
وَإلى ديوانِكَ الأثيلِ أَنشُرُ
هَذِهِ الذِّكرَيَاتِ الشِّعرِيَّةَ مُستَمَدَّةً
مِنْ إلهامِ جهادِكَ الميمونِ في
مُدَّةِ خمسينَ عاماً مِنْ جيلِ
الجهادِ العربيِّ الخالدِ في أرجاءِ
وَطنِ العربِ الأكبرِ !..

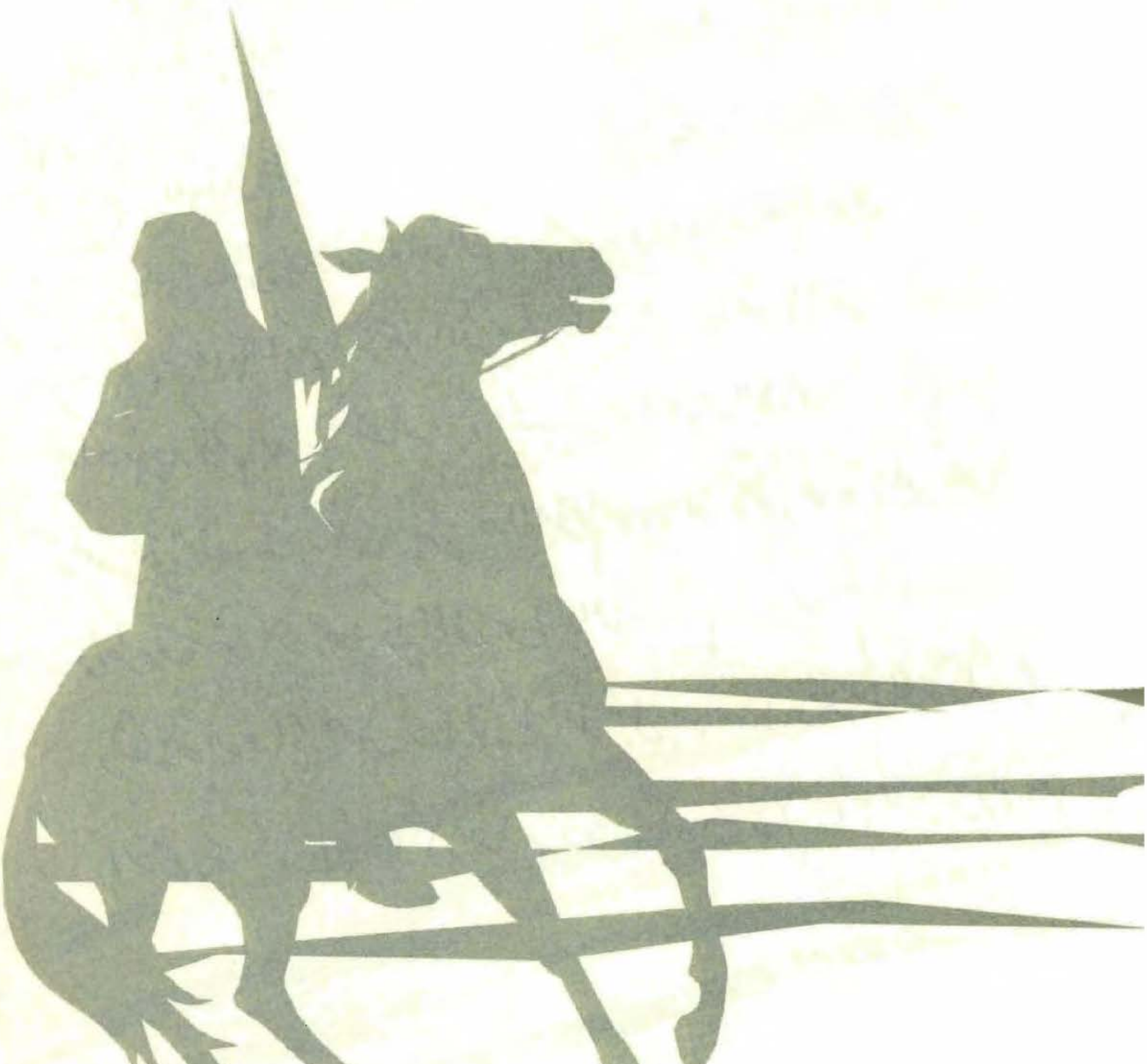


لَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى هَذِهِ الْمَلَاحِمِ
وَتَمْشِي صَدَاهَا فِي مُدَّةٍ تَقْرُبُ
مِنْ رُبْعِ قَرْنٍ أَيْ مُنْذُ قُبَيْلِ
وَقْعَةِ (السَّبَلَةِ) إِلَى وَفَاةِ أُمِّ
الْعَرَبِ الْخَالِدَةِ أُخْتِ الْمَلِكِ
الْعَزِيزِ حَفِظَهُ اللَّهُ !..

أَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ
سِجِلًّا لِلْأَجْيَالِ الْمُقْبِلَةِ لِنَصْرِ الْحَقِّ
وَالْإِسْلَامِ وَالْعُرُوبَةِ !...
وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ.

الأسعدي

٧



نقل الرسالة المبعوثة الى طويل العمر
مع هذا الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

قرية الشعيبة ـ الكويت ٦ .١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٧٠ هـ

الى امام المسلمين ، وملك العرب العظيم عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود حفظه

من أضعف الخالق الى ربه محمود شوقي بن عبد الله الأيوبي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته !.. يا طويل العمر ، ها أنا

خادم دولتكم العربية المسلمة ، الحبيبة الى النفوس الطامحة ، أتقدم اليكم

بمجموعتي الشعرية ، التي سميتها «الملاحم العربية» وهي ٢٧ ملحمة يجد

في ظروف شتى من جهاد ملككم المقدس ، الذي دام ما ينيف على نصف قرن ،

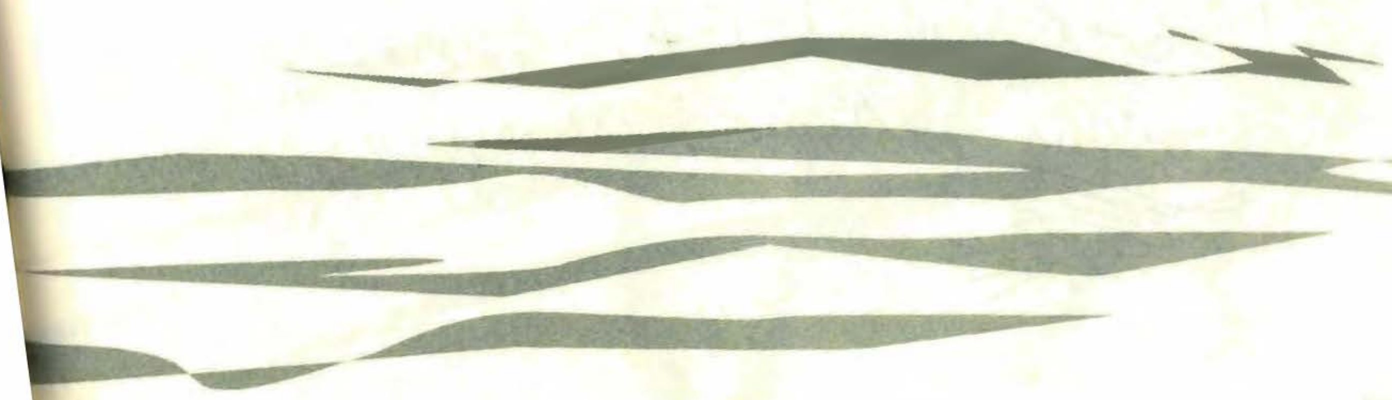
وهذه القصائد حبرتها لجدكم الأثيل ، منذ وقعة (السبلة)

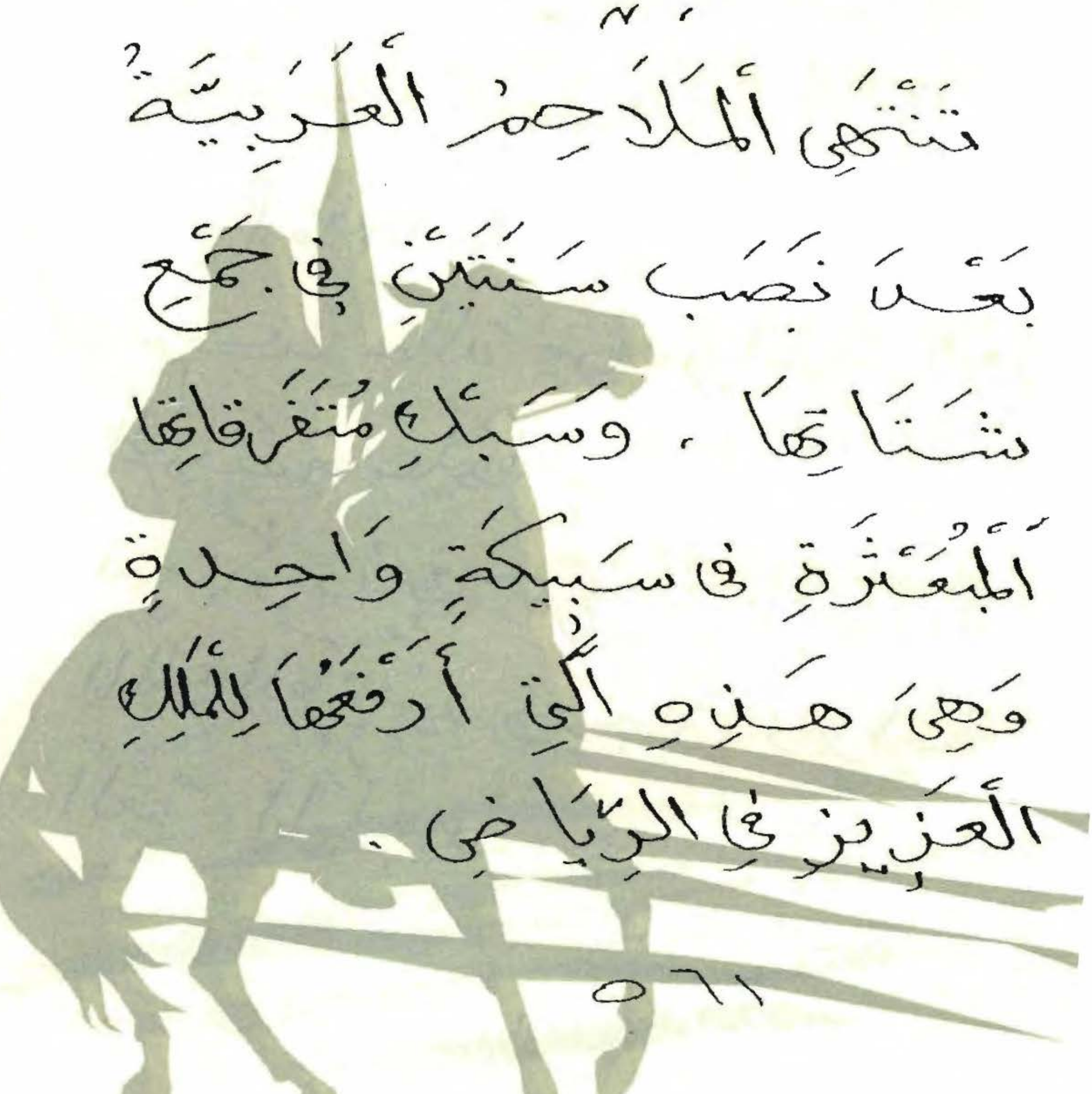
الشهيرة ، الى ما قبل عام تقريباً ، فمنها ما أنشد في المحافل

ومنها ما نشر . ومنها ما لم ينشد أو ينشر ، وقد كان العزم أن أتقدم
إليكم ، إلى معقل العروبة الأقعس ، بعد سفر دام عشرين عاماً في بلاد الأندونيسيا
لأنال الحظوة بتقبيل أنملكم الأكرم ، غير أن الظروف لم تساعدني على ذلك
حيث كثرة العيال ، والدأب على تحصيل النفقة لهم ، هذا وقد وهن
العظم مني واشتعل الرأس شيباً ، الآن الثقة بالله وحده ثم بكم يا طويل العمر
أن تكرموا متفضلين بالنظر إلى هذا السفر الشعري ، الذي حبرته لمجدكم
الخالد ، وسيقرأه أبناء الأجيال القادمة ، وتتغنى به الصحراء العربية
وأمصارها ، وإني أفوض الأمر لكم يا مولاي سواء بإصدار أمركم
بطبعه ، أو بجعله ذخيرة ذكريات محبوبة في مكتبة ديوانكم الفخم ،
ولدي ستة دواوين أخرى ، كم حاولت أن أطبع منها شيئاً ، ولكن
ماذا يستطيع أن يعمل المقل المجهود ذو العيال .

هذه يا طويل العمر عصارة فكري وقلبي ، أجعلها بين يديكم الكريمتين
وإني لضنين بحبكم ، وعزيزة علي هذه اللآلئ المحبرة لمجدكم العريق . وهي
النسخة الوحيدة الأثيرة ، وإني بانتظار قبولكم لها منكم سيدي
والله يطيل عمركم للباقيات الصالحات ، ويحفظكم ، والسلام   الخادم الأمين

[illegible]





الخاتمة

تنتهي الملاحم العربية

بعد نصب سنتين في جمع

شتاتها ، وسبك متفرقاتها

المبعثرة في سبيكة واحدة

وهي هذه التي أرفعها للملك

العزيز في الرياض .

٥٦١١

أَلْمَلَاحِمُ الْعَرَبِيَّةُ هَذِهِ هِيَ
النُّسْخَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي قَدَّرَنِي
اللهُ عَلَى نَسْخِهَا .
أَرْفَعُهَا إِلَى الْمَلِكِ الْعَزِيزِ وَكَأَنَّهَا
مَوْكِبٌ خَالِدٌ مِنْ مَوَاكِبِ الرُّوحِ
الْحَرِيصَةِ عَلَيْهَا . عِلْمًا مِنِّي بِأَنَّهَا
سَتَكُونُ فِي حِرْزٍ حَرِيزٍ مِنْ عِنَايَةِ
الْمَلِكِ الْعَزِيزِ وَرِجَالِ دَوْلَتِهِ
الْغُرِّ الْمَيَامِينِ .

٥٦٢

وَعِلماً مِنّي أَنَّ الظُّروفَ التي
تُحيطُ بِحَياتي الخاصَّة في الوَطن
هذا لا تُؤَهِّلُني لإِخراجِها لِلملأ
إلّا إِذا صَدَرَ الأَمرُ المَلَكي
بِخُصوصِها .

وَكانَ الفَراغُ مِن إِكمال
تَشكيلِها وَتَجليدِها بِيَدي
في يَوم الإِثنين في اليوم الثّامِن
من شَهر جمادى الأولى سنة
١٣٧١ هـ / ٤ شباط ١٩٥٢ م
٥٦٣

فِي قَرْيَةِ الشُّعَيْبَةِ إِحْدَى
قُرَى الكُوَيْتِ .

« عَلَى سَاحِلِ الشُّعَيْبَةِ »

والحمدُ للهِ وحْدَهُ على ما تفضَّلَ
وأنعمَ ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على
سيِّدِنا محمدٍ النبيِّ الأميِّ وعلى آلِهِ
وصحبِهِ أجمعين . هـ   نسخ بقلم
محمود شوقي عبد الله
الأيوبي

شوقي الأيوبي

٥٦٤

(١)

الْوَثَبَاتُ

أعيدَا مُنَى نفسي لتلك المضاربِ ... بصُبحٍ، وإنّي في الهوى غيرُ كاذب

مُنَىً هُنَّ لي بين الجوانح[١] لُمَّعٌ ... تَمازجنَ في الحَوْباءِ[٢] من كلّ جانبِ

بعيدٌ وما بيني وبين أحِبَّتي ... سوى سَبْسَبٍ[٣] يجتازه كلُّ راكبِ

حَنَانَيْكَ ذِي الأفكارُ تَبْدُو كأنّها ... مخالبُ لَيْثٍ مَزَّقتْ صدرَ كَاعِبِ[٤]

خُذَا من سُهاد العين ليلاً كأنّهُ ... وجَادٌ[٥] ضئيلُ الضوءِ بينَ الخرائب

وَقفتُ أعُدُّ النجمَ والليلُ كالحٌ ... وأهرِقُ تَهْتَانَ[٦] الدُّموعِ السَّواكِبِ

عَلى مَفْرقٍ في القفرِ للطُرقِ واقفٌ ... بعيدُ كَرىً والقلبُ مَرمَى الرغائب

أُزَخْرِفُ من نفسي أماني كأنها ... غوانٍ ـ متون السّحبِ كانت ركائبي

لبحر الدواهي السّودِ مالت مَطِيَّتي ... وكانَ لها من عَزْمِهَا بأسُ راغِبِ

يَدَ البَيْن..! ما أعْيَتْ حجايَ مُلِمَّةٌ ... وما خامَرَتْني خمرةٌ لِلنَّوائِبِ

أُخُوهِمَّةٍ، والقلبُ لَهْفَى كُلُومُهُ ... لآسٍ يُدَاوى بالرُّقى والعَصَائِبِ

ألا إنَّ ما بالنفس أشْجَى مِنْ الشَّجى ... وأنكى من الآلام.. فعلُ المصائِبِ

يَهونُ على جسمي الجروحُ إذا انْتَشَتْ ... بنفسِي بَنَاتُ المَكْرُمَاتِ الكَوَاعِبِ

وإنِّي فتىً ما للعراقيل مَنْزعٌ ... بهِ في الرَّدى والعزمُ ليس بذَاهِبِ

---

(١) الجوانح: الأضلاع.
(٢) الحوباء: النفس.
(٣) السبسب: القفر ـ المفازة.
(٤) كاعب: هي من استدار نهدها.
(٥) وجادٌ: مأوى أو حجر الضبع أو الذئب.
(٦) تهنان: من تهاتنت، أي: انصبّت، أو هو فوق الهطل.

أُلاقي من الأيام مَا لَو بجُزْئهَا ... أخو العتبِ لاقَاهَا لأَضْحى مُصَاحبي
تشيبُ جُسومُ الأكرمين وخلفَها ... نفوسٌ تصابت للخِرادِ[1] الترائب
نَواعسُ والألحاظُ سودٌ كأنّها ... عُيونُ الظّبَا ترمي بشَتّى العجائب
وفي الرّوحِ غاياتٌ لها كلّ فترةٍ ... مَثاراتُ وَجْدٍ بالظُّبَا[2] والقواضب
ولولا الأماني البيضُ في المرء لاَكْتَسى ... سرابيلَ هَمٍّ مثلَ كَثْفِ الغيَاهِبِ
وما العيشُ إلا ضَلّةٌ[3] إثْرَ ضَلّةٍ ... لها في عقُولِ النّاسِ شَرُّ العواقب
تَبَايَنتِ الآراءُ في النّاس، إنما ... قليلٌ غزيزُ العقلِ فذُّ المواهب
يُعَزُّ عَزيزُ النفس بالسيفِ والقَنَا ... وما العِزُّ إلا جَوْلةٌ في الكَتَائِبِ
مِنَ الغَبْنِ أن يخشى المنيةَ حازمٌ ... إذَا كانتِ الأعمارُ نهبًا لِناهِبِ
يَعيش الفتى المغرورُ بالجهلِ ناعمًا ... ويلتذُّ في المَلهَاةِ بين الصَّوَاحِبِ
ألا رُبَّ أن تحيَا النفوسُ كأنها ... جَرَتْ في حنايَاهَا سُيولُ السّحائبِ
أعِرْني عقابَ الجوّ مَا زلْتَ راكبًا ... جناحيكَ نِضْوَ الجوِّ فَوْقَ السَّلاَهِبِ[4]
فإنِّيَ قَرْمٌ[5] لا يَمَلُّ من السُّرى ... إذا دَمَعَتْ للعِزِّ عينُ المطَالِبِ
تَجشمتُ آفاتِ الزّمانِ وهِمَّتي ... لها من خُطوبِ الدّهر لِعْبَةُ لاَعِبِ
وللفكر عينٌ بالأنامِ بصيرةٌ ... لغيرِ الذي يهوَى الوَرَى من مَذَاهِبِ
أشدُّ من الآلام أيامِيَ التي ... بها النّفْسُ حيرى بعد طولِ التجاربِ
ولستُ براضٍ أن أرى النّفْسَ همُّها ... جثومًا بدار الهُونِ بعدَ المصاعبِ

---

(١) الخِراد: جمع خريدة لدى الشاعر، والخريدة من النساء: البكر الحيية، الطويلة السكوت المستترة. جمعها الصحيح: خُرُد وخرائد.

(٢) الظُّبا: جمع ظبة، وهو حد سيف أو سنانٍ ونحوه.

(٣) الضَّلّة: الحَيْرة.

(٤) السلاهب: جمع سلهب وهو من الخيل ما عظم وطالت عظامه.

(٥) القرْمْ: السيّد المعظّم.

ومــا أنَــا إلاَّ صــخــرةٌ مــشــمــخــرَّةٌ[1] ... يُـنَـاطِـحُـهَـا الإعْـصَـارُ مِـن كُـلّ جَـانِـبِ
تُـحَـمْـلِـقُ بـي مـن كـلّ فـجٍ عـيـونُـهـا ... سَعَالَى[2] المَنَايَا من شقُوقِ المَعَاطِبِ
ولـكـنَّ مـا بـالـنـفـسِ يـنـضَـحُ سَـمَّـهَـا ... سِـهَـامٌ تـصـدَّتْ لـلـسَّـعَـالَـى الـسَّـوَارِبِ[3]
أَذَمُّ مــن الأنــكــاد[4] لادَرَّ دَرُّهَــا ... عـزيـزٌ يَـلاقـي الـحـتـفَ بـيـن الأقـاربِ
فـلا قَـوْمَ لـي والـمَـكْـرُمَـاتُ عَـديـمَـةٌ ... ولا أهْـلَ لِـي وَالْـفـضـلُ مُـضـغَـةُ كَـاذِبِ
ولا بَـأسَ إنْ يُـفـنـي الـزمـانُ عـشـيـرتـي ... إذا كـنـت يـومًـا مِـخْـذَمًـا[5] لـلأطـايـبِ
تُـمـزَّقُ أجـسـادُ الـفـحـول وتَـنْـمَـحـي ... ولـم يـبـقَ إلا ذكـرُ عَـذْبِ الـمَـنَـاقِـبِ
صـغـيـرٌ بـدار الـذل روحـي وإنَّـهُ ... عـظـيـمٌ بـجـثـمـانـي طَـمُـوحُ الـمـنـاكـب
سـخـيـمـةُ قـومٍ قـد رأيـتُ دَجُـنَّـهَـا ... لـهـا كَـلَـفٌ فـي وجـهـهـا والـرَّوَاجِـبِ
إلامَ قُـعـودي بَـيـن رَهْـطٍ عـتـارفٍ[6] ... عـراةُ الـلـحـى يُـرْخُـون ذيـلَ الـشَّـوَارِبِ
إلامَ انْـتِـجـاعـي حـنـظـلَ الـهـون مـشـرفًـا ... عـلى غيرِ خَضْبٍ في البَوادي الجَوَادِبِ
إلامَ وغـيـلانُ[7] الـرَّدى مـشـرئـبَّـةٌ[8] ... تُـمَـزّق غَـيْـظًـا مُـهْـجَـتِـي بـالْـمَـخَـالِـبِ
إلاَم وأرضُ الـلَّـه رَحْـبٌ فَـضَـاؤُهَـا ... أكُـبَّـلُ بـالإهْـوَانِ بَـيْـنَ الْـمَـشَـاغِـبِ
إلاَمَ، وَأَجْـذَاءُ الـهَـوَاجِـسِ تَـلْـتَـظـي ... بـأكـنَـافِ نَـفـسِـي كَـالـصُّـخُـور الـتَّـوَاقِـبِ
إلاَمَ اخْـتِـزَالـي عَـبـرةً بـعـدَ عَـبْـرةٍ ... أُدَمِّـثُ لِـلأوْغَـادِ خُـلْـقِـي وَجَـانِـبـي
فـيـا قـلـبُ لا تـجـزعْ، ويـا عـقـلُ فَـكِّـرَنْ ... ويـا رُوحُ لا تـركَـنْ لِـنَـيْـلِ الْـمَـنَـاصِـبِ

---

(١) مُشْمَخِرَّةُ: التي اشتدَّ ارتفاعها.
(٢) سعالي: واحدهما سَعْلاة وسعلاء وهي الغول أو أنثى الغيلات.
(٣) السوارب: جمع سارب وهي الذاهبة في مرعاها.
(٤) الأنكاد: جمع نَكِد، وهو العُسر وشدة العيش.
(٥) مخذمًا: المخذم، القاطع، يوصف به السيف.
(٦) عتارف: جمع عتريف: وهو الخبيث الفاجر.
(٧) الغيلان: وأحدهما غول وتجمع على أغول وهي السعلاة. وانظر هامش ٢ السابق.
(٨) مشرئبة: رفعت رؤوسها ومدت أعناقها تنظر إليه.

فلستُ بطلاَّبٍ لذُخْرٍ أُعِدُّهُ ... ولستُ لأَموالِ المُلوكِ بِحَالِبِ
فلا مَالَ إلا مَا تَمَوَّلَهُ الْفَتَى ... ولا عِزَّ فَوْقَ هَامِ الْمَوَاكِبِ
نَصيبي من الدنيا يَراعٌ وعِفَّةٌ ... ورأسٌ غيورٌ أوْ حُسامُ مُحارِبِ
أجوعُ وأصدَى أو أموتُ مِنَ الْعَرَا ... ولا أبْتَغِي في العيشِ مِنَّةَ عَائِبِ
نشأتُ على بَرْضٍ[1] وسرتُ على ضنىً ... وقاسيتُ بين الناسِ شَرَّ اللَّواغِبِ[2]
هَتكتُ بفكري سِترَ كلِّ خَفيةٍ ... فنُبِّئْتُ أني صِرتُ إحدَى الغَرَائِبِ
ولي كُلَّ يومٍ نكبةٌ إثرَ نكبةٍ ... يذوبُ لها ذُعرًا فؤادُ المُجَانِبِ
وَلِي من جَنَانِي خَفْقَةٌ بعد خَفْقَةٍ ... لقد أَلْبَسَتْنِي في الدُّنى بُردَ رَاهِبِ
تَرهَّبْتُ لا نُسكًا أرانِي وَلاَ أسىً ... وَلكِنْ بأهْلِ الدَّهْرِ شَذَّتْ رَغَائبي
فَجيعٌ ولا تشريبَ أقْصَتْنِيَ المُنى ... لِمَا فوقَ آمالِ الأَنامِ الكَوَاذِبِ
لأمْرٍ أغْدَتْنِي الحياةُ وَهَا أَنا أجوبُ ... حُزُونَ[3] الأرضِ وَالحُزْنُ صَاحِبِي
فيالَكَ مِنْ هَمٍّ كَأنَّ سُجُوفَهُ[4] ... قِبَابٌ من الجُلْمُودِ سَدَّتْ مَذَاهِبِي
أأجزعُ بعدَ اليومِ من حملِ ما أرَى ... من الهمِّ، والأنكادُ أقْذَتْ مَشَارِبِي
حنانَيْكِ يا نفسي حنانيكِ سارعي ... وُثُوبًا، وُثُوبًا للمعالي وَجَاذِبِي
سِراعًا ولا تَخْشَيْ مَلاَمَةَ لاَئِمٍ ... إذا كانَ ذَا المرجُوُّ مُزْجِي النَّجَائِبِ[5]
وُثُوبًا وَوَخْدًا[6] للمكارمِ أرْقِلي[7] ... فَإِمَّا هَلاَكٌ، أوَ جَمِيلُ المَآرِبِ
لَكَ الخيرُ مَهْلاً لا عدِمْتُكَ مُدرِكًا ... يُنيرُ النُّهى من سَامِقَاتِ المَرَاقِبِ

---

(١) برض: قليل المال.
(٢) شر اللواغب: شر ما يعيي ويتعب.
(٣) حزون الأرض: ما غَلظ وخَشُن وارتفع.
(٤) سجوف: جمع سجف وهو الستر.
(٥) النجائب: جمع نجيب. والنجيب من الإبل القوي الخفيف السريع.
(٦) وخدًا: سرعةً.
(٧) أرقلي: أسرعي، (أرقلت الإبل: أسرعت في سيرها).

لِمَجْدِكَ أَسْتَهدِي مَن الروحِ ديمَةً(١) تَسُحُّ وِدَادًا والحجى غيرُ وَاقِبِ(٢)

نظرتُ وأرزاءُ الدُّنى مُكْفَهِرَّةٌ فَشِمْتُ بُرُوقًا بين كَثْفِ النواكِبِ(٣)

وَأَرْهَفْتُ أذني في دَجُوجِيّ(٤) ظُلْمَةٍ من الليل مُعْتَدًّا لِدَرْسِ الْمَغَايِبِ

فيا رَحْمَتا والقَدْحُ يخبُثُ خُلْقُهُ لِمُضْنىً تَهَادَى في وُعُورِ المَهَاوِبِ

تَغَرَّمْتُ حَتَّى أَجْرَضَتْنِي(٥) طَوَائِح(٦) ولكنَّ بأسي أصلبُ غيرُ سَاغِبِ

فَمَنْ يَلْتَوِي في عَزْمه وَشِجَتْ بِهِ هُمُومُ قُنوطٍ في الأمور الحَوَازِبِ(٧)

وما اليأسُ في الإنسانِ إلا جبانَةٌ بقلبٍ وضيعٍ هَامَ غيرِ مُغَالِبِ

إلَى السيرِ لا تَمْنَعْكَ وهنًا هَوَادَةٌ وإن رُمْتَ عِزًّا كُنتَ أولَ ضاربِ

فَدَاءُ بنِي الدنيا نعيمٌ على شجىً إذا حُمَّ خَطْبٌ حِقْدُهُ غيرُ عَازِبِ

أُعِدُّلُكَ الفكر المنيرِ بِعَزْمَةٍ تُغَمِّدُ عِيّاً ليسَ عنكَ بِنَاكِبِ

تَخَشَّنْ وَجَالِدْ فالخشونَةُ لِلْفَتَى جمالٌ وَكُنْ في الْعَيْشِ أَوَّلَ رَاكِبِ

إلى سيِّدِ العُرْبِ الخناذِيذِ(٨) مَهْيَعِي(٩) أُنيخُ المطايا بينَ تِلْكَ الْجَنَائِبِ

تُحدِّثُني أعمالُه الغُرُّ دائمًا بعصرِ الفُحول الأكرمين الأطايبِ

تُحدِّثني ما حلَّ في كل موطنٍ عظيمًا، ومنه العِزُّ ضَرْبَةَ لازِبِ

لقد هَدَّ أصنامَ التقاليدِ في الْحِمَى وليسَ لأعْداءِ الحِيَاضِ بِصَاحِبِ

له بفُؤادِي لَهفةٌ إثْر لَهْفَةٍ تَشُدُّ عُرَاها كَلَّ يوم تَجَارُبِي

---

(١) الديمة: المطر الذي يدوم في سكون لا رعد فيه ولا برق.

(٢) واقب: غائب.

(٣) النواكب: جمع ناكبة، وهي الريح التي تنكب عن مهاب الرياح.

(٤) دجوجي: هي شديدة الظلمة.

(٥) أجرضتني: من الجريض وهي الغُصَّة. وجرض: اغتصّ وهي بمعنى (أعاقتني).

(٦) طوائح: جمع مطاح ومطاحة: المسلك الوعر المُهْلك.

(٧) الحوازب: جمع حازب وهو الأمر الشديد.

(٨) الخناذيذ: جمع خنذيذ، والخنذيذ من الرجال: الضخم الطويل ويريد بهم الشاعر الرجال العظام.

(٩) المهيع: الطريق الواسع الواضح.

فَمَنْ يختبرْ كان الكمالُ حليفَهُ ... وما هذه الدنيا سِوَى سِفْرِ جَائِبِ
تَعَزَّ فَمَا الأعمارُ إلا مَسَافَةٌ ... بما بَيْنَ تغميضٍ وَيَقْظَةِ ثائِبِ
وما قيمةُ الإنسان إلا فضائلٌ ... تَرُودُ المَغَانِي والقُرَى والأَجَادِبِ
لمعْقِلِ حامي العُرْب في كلِّ مشرقٍ ... تسيرُ قِلاَصُ المَكرُمَاتِ الذَّعَالِبِ[1]
إمامٌ سَرى نحو المعارِفِ يَرْتَوي ... من المنبع الأسْمى بدُونِ تَلاعُبِ
كأنّي بِهِ لَهفانَ مَعْ فَرْطِ حِلْمِهِ ... يَرُودُ المعالي دُونَ جَمْعِ الْحَرَائِبِ[2]
تأهَّبَ يَسْتَسْقِي شريعةَ أَحْمَدٍ ... فَكَان لَهَا مِنْ وِرْدِهَا خَيْرَ شَارِبِ
يُؤَرِّقُهُ شوقٌ لِفَضِّ غُيُوبِهَا ... وَيَحْسُو حُمَيَّاهَا لِحَوْزِ الْمَثَاوِبِ[3]
لقد صَغُرَتْ في عينه كلُّ نَكْبَةٍ ... وكان قمينًا للعُلاَ خيرَ نَائِبِ
يلوحُ في الهيجاءِ خُضْرَ بُنُودِهِ ... ويجتازُ قسرًا وَهْوَ أَهْيَبُ هَائِبِ
يحدِّثُنِي قومٌ لِئَامٌ سَفَاهةً ... وقد أصبَحَتْ أفكارُهُمْ في تَضَارُبِ
يقولون لي: مَهْلاً بحبك وَاهِمٌ ... أصابَكَ مسٌّ أم شُعُورُ مُشَاغِبِ...؟
فَأَلْجَأُ لِلْحَقِّ الذِي هو مُدْرِكِي ... وأشحذُ فكري بين تِلْكَ الذُّبَاذِبِ[4]
فأعجُمُهُمْ عَجْمًا وكلي جَلاَدَةٌ ... فألقاهُمُ يُغْضُونَ عن رَفْعِ حَاجِبِ
وأحْمَدُ في سِرِّي وقد سرتُ فائِزًا ... حِجَايَ على رهطٍ كَسِرْبِ الثَّعَالِبِ
سَيُغْضِي زَعيمُ العُرْب عن كلِّ هَفْوَةٍ ... وينهضُ بالأرواحِ عن عَتْبِ عاتب
ويَحْتَجُّ بين الكاشحين[5] بِفِعْلِهِ ... فلستَ تَرَى غيرَ الدؤوبِ المُواظِبِ
أَنِلْنِي رضىً! . عَبْدَ العزيز فَإِنَّنِي ... أُصارِعُ هَمًّا ليس عَنِّي بِذَاهِبِ

---

(١) الذَّعالب: جمع ذِعْلِبَة. وهي الناقة السريعة.
(٢) الحرائب: جمع الحريبة وهي الغنائم في الحرب.
(٣) المثاوب: العطاء والتعويض.
(٤) الذباذب: الذبذبة، والذبذب، التردد بين أمرين ويقصد الشاعر بها هنا الرجال المذبذبين أو المنافقين.
(٥) جمع كاشح، وهو مضمر العداوة.

أَحِنُّ إِلَى نَجْدِ حَنِينَ مُتَيَّمِ ... يُبَرِّحُ فيه الهَمُّ، وَالْهَمُّ كَارِبِي
أَحِنُّ حنينَ المدنفين لأَرْبُعٍ ... سَقَاهَا الْحَيَا صَوْبًا من الفضلِ صائِبِي
إلى أجْمَةِ الآساد ثارَتْ مَنَازِعِي ... لِنَجْدِ تَنَاهَتْ مُنْيَتِي وَمَطَالِبِي
أحِنُّ ولا أبْغِي سِوَى ظَهرِ نَاقَةٍ ... تُبَلِّغُنِي سُؤْلِي لأَكْرَمَ وَاهِبِ
إلى حَارِسِ البيتِ الحرام وَمَنْ بِهِ ... وَيَنْبُوعُ شِعْرِي لَيسَ فيه بنَاضِبِ
إلى ابْن مَعَدٌ وابنِ عَدْنَانَ قبلَهُ ... وَمَنْ هُوَ للإسْلاَم أمْتَنُ قَارِبِ
إلى المرَبعِ الميمونِ أقْتَحِمُ الْفَلاَ ... وأعِقلُ نُوقي بين تلك المَضَارِبِ
نُزوِعي نُزوعَ الوالهين ونَزْعَتي ... تثورُ وتَخْبُو مِثْل نَار الحُبَاحِبِ[1]
إلى مُكْرِمِي الأضيافِ، والضيفُ عندهم ... عزيزٌ وضيفُ الغُرْبِ ليس بِتَارِبِ[2]
فيا حَبَّذَا نَجْدٌ ومن في جِوَارِهَا ... ألاَ شَدَّ مَا حَنَّتْ لِنَجْدِ رَكَائِبِي
أُلَبِّي نِداءَ بالضَّمِير مُؤَرِّقي ... بأكْرم مَنْ لبَّاهُ جمعُ الأَعَارِبِ
لك المجدُ في الدنيا وأجْرُكَ خالدٌ ... وَذِكْرُكَ في التاريخِ بَسْمَةُ عَاجِبِ
نَهَضْتَ وكلُّ الناسِ فوضى دِيَارُهُمْ ... وَأَعْدَاكَ في لَيْلِ الرَّدَى في تَنَاهُبِ
تَنَاحَرتِ الأَعْدَاءُ في أمرْ دِينِهَا ... وأنت بِفَضْلِ اللّه دُونَ التَّكَالُبِ
فلا تتركَنْ مَنْ جاش بالشِّعر صدرُه ... سألْتُكَ بالتَّهليلِ بَيْنَ الأخاشِبِ

---

(١) نار الحُباحب هي ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة.

(٢) التارب: المفتقر، القليل المال.

(٢)
شَذَى الصَّحراءِ[١]

وهي المقصورة التي بعث بها الشاعر من الكويت إلى الرياض فكان لها شرف القبول لدى بطل العروبة وإمام المسلمين..!

وقد أنشدها الشاعر في معقل العروبة في قلب جزيرة العرب ـ وادي اليمامة ـ في الرياض أمام ولي العهد سعود البطل..!

ونشرت في جريدة «أم القرى» الغراء..!

حَيِّ المغانِي وَاصْطَحِبْنِي لِلسُّرى[٢] ... وغَنِّ يَا حَادِي فَهَا الفَجْر انْجَلَى
فإنَّ غبَّ السيرِ يَبْدُو مُؤنسًا ... ما بين كُثْبَانِ الفيافي وَالْحِمى
هذا عَرَارُ المَرْجِ[٣] يسقيهِ النّدى ... والرندُ يَزْهو فوق كُثْبَانِ الرُبَا[٤]
وظبيةُ الدُّنيا تجلّى نورُها ... ينشُرُ فوق الروضِ أسلاكَ الضِيَا
والطَّيرُ يَشدُو بالأغاريد وَقَدْ ... أصبحَ رَهْنَ الشوقِ مِنْ فَرْطِ الْهَوى[٥]
لِلْوَحْشِ تَزْخَارٌ[٦] وللجِنِّ صَدىً ... وللأناسِيِّ تَراجيعُ التَّغَا[٧]
ومنبعُ الخيراتِ سحٌّ فيضُهُ ... بكَوْثَرِ الإحسانِ وَالنَّبْتُ أصَا[٨]

---

(١) نشرت في جريدة «أم القرى»، العدد (٢٤٤) في ١٨ من ربيع الأول ١٣٤٨، تحت عنوان: «أنجدت فيها وهي من صنع الحمى».

(٢) في «أم القرى»: حي المغاني واصطحبني يا فتى.

(٣) في «أم القرى»: هذا هزار الحي.

(٤) في «أم القرى»: بين أكناف الربا، والرند: شجر طيب الرائحة.

(٥) في «أم القرى»: أصبح رهن السقم من فرط الجوى.

(٦) في «أم القرى»: للوحش أسْجَاع.

(٧) التغا: ستر الضحك وغلبته.

(٨) أصا النبت يأصو: اتصل وكثر.

فـي جَنَّةٍ أبدعها ربُّ العُلا ... بالخُلُقِ الكريم عَذْب المُجْتَنَى[1]
بها لآرَامِ الفيافي مَفْزَعٌ ... كِناسُها[2] يُحمى بآسادِ الشَّرى
مَبَاهِجٌ يَسْمُو بها الروحُ إلَى ... ذكرِ إلَهِ الكونِ خَلاّقِ الْوَرى[3]
ربع الخَنَاذِيد[4] الأُولى ما وَهَبُوا ... للضَّيْم نفْسًا بل هُمُ الشُّمُ الذُّرَا
وفِتْيَةٍ نادمتهم لَمْ يَوْهَنُوا ... عزمًا لَقِيتُ الفضلَ فيهم وَالْجَدَا[5]
كلٌّ حَبَانِي ثغرُهُ سحرًا بِمَا ... أسْأَرَ في الأفكارِ من حُلْوِ الرُّؤَى[6]
أزُفُّ هَيْفَاءَ المُحَيّا غَادَةً ... مَغْسُولةَ الثَّغْرِ بها كُلُّ المُنى
ثَارَ بِهَا للعزِّ عقلٌ طَامِحٌ[7] ... يفيضُ بالأشعارِ في كَأْسِ الصِّبَا
غَازَلْتُهَا في الرَّبْعِ وَهْيَ لَمْ تَزَل[8] ... بِكْرًا بها العابدُ أَضْنَاهُ الْجَوَى
إلى الذي أَنْتَجَ غرسَ العِزِّ[9] في ... حِمَى الكُمَاةِ العُرْبِ فُرْسَانِ الْمَلا[10]
إلى الذي تَعْتَعَ[11] همّا رازِحًا ... في النَّفْسِ رَدْحًا بَعْدَ هَمٍّ قَدْ غَطَا[12]
إلى الذي انْتَاش[13] فُؤَادِي حُبُّهُ ... قَرْمٌ حَمَى المغنى[14] وأزْدَى بِالعِدَى

---

(١) في «أم القرى»: بالتَّمْرِ السَّميّ حُلْوِ المجتنى.
(٢) الكناس: هو مأوى الظباء وبقر الوحش ومكان استتاره.
(٣) في «أم القرى»: مباهج يصطحب اللب بها ذكر إله العرش.
(٤) الخناذيذ: جمع الخِنذيذ. وقد تقدم بيان معناها.
(٥) الجَدا: العطاء والغنى.
(٦) بعد هذا البيت، في «أم القرى»:
آليت حتى الموت لا أنفكُّ عن ... تنضيد... المدح من در الحجى
(٧) في «أم القرى»: أولدها للمجدِ فكرٌ جامحٌ.
(٨) في «أم القرى»: قد لاهبتني وهْي خودٌ لم تزلْ.
(٩) في «أم القرى»: غرس المجد.
(١٠) في «أم القرى»: أقيال الملا.
(١١) تعتع الشيء: حرّكه بعنف.
(١٢) في «أم القرى»: بعد يأسٍ قد غَطَا.
(١٣) انتاش: خالط.
(١٤) في «أم القرى»: حمى البيت.

لِقُبَّةِ الدِّينِ حِمَى النُّورِ لَدَى … جَزِيرَةِ العُرْبِ: حِمَى أَهْلِ التُّقى..![١]

لِنَجْدِ العَلْيَا اطَّبَتْنِي[٢] نَزَعَةٌ … إلى السُّعُودِ الشُّمِّ أربابِ النُّهى

هَتَفْتُ بالنَّفْسِ اقدُمِي لاَ تَنْكُصِي[٣] … سيري حثيثًا نَحْوَ هَاتِيك الرُّبى[٤]

قد وَفَّزَتني[٥] فِكرةٌ أَمَّتْ إلى … (عبد العزيز) القَرْمِ حُضْنِ الأَتْقِيا

ذا شَوْقَبٍ[٦] جَهْضَمٍ[٧] اشتَعَلَتْ بِهِ … حَوْباؤُهُ فَرَامَ شَأْوَ المُرْتَقى

أخْلاقُهُ كالمُزنِ في الجَوِّ لَهَا … سَكْبٌ على الأَجْنَان في رَحْبِ الدُّنَا[٨]

به تَلاشَى الجَوْرُ حتى ابْتَهَجَتْ … بِهِ المَغَانِي وَهْوَ لِلعَدلِ حِمى

مُوَطَّأُ الأَكْنَافِ رَحْبٌ صَدْرُهُ … بالحِلم والخُلُقِ الذي فيه اكْتَمى

لِلَّهِ رُوحٌ ضَمَّ في إشعاعِهِ … آياتِ عِزٍّ خَطَّها كَفُّ القَضا[٩]

لِلعُرْبِ يُنمى كلُّ عَضْبٍ صَارِمٍ … بدوحةِ العلياء تُذكِيه القُوَى

مِنْ يَعْرُبِ الحُمْسِ[١٠] الصناديدِ[١١] الأُولى … ما وَهَنُوا لِلمجدِ في غَمْرِ الوَغى

ومِنْ بَني عَدنانَ شُعْثٌ كُلُّهُمْ … أخلصَ لِلَّهِ بِمَسْعَاه التُّقى

هم جُنَّةُ الحَرْبِ إذا ما اعتَصَمُوا … (بالعُرْوَةِ الوُثْقَى) وَأَرْكَانُ العُلاَ

---

(١) هذا البيت غير موجود في الملحمة المنشورة في «أم القرى».

(٢) أطباه: دعاه إليه.

(٣) في «أم القرى»: هتفت بالنفس، أيا نفس اسرعي.

(٤) في «أم القرى»: سيري حثيثًا بلغ السيل الزُّبا.

(٥) وفزتني: أعجبتني (من الوفاز أي العجلة).

(٦) الشَوْقب: الرجل الطويل.

(٧) جهضم: لعله يريد الجُضمُ وهو الرجل الضخم الجنبين والوسط.

(٨) في «أم القرى»:

كالمزن أخلاقٌ له مجبولة … على فعال الخير في رحب الدُّنا

(٩) في «أم القرى»:

لله سفرٌ ضمّ في طياته … آي خلودٍ خطّها كفُّ القضا

(١٠) الحُمْس: هم الرجال الأشداء في القتال أو الدين.

(١١) في «أم القرى»: من يعرف الشم العرانين.

وهم حُماةُ الدينِ، هم نَواتُه[1]   وهم هَوَوْا بالشِّركِ في قَعْرِ الهُوى
إنْ فَاخَرَ الأحفادُ فيهم فَهُمُ   يُورُونَ بالذكرى مصابيحَ الهُدَى
فالشعبُ بالأبطالِ من أبنائِهِ   يَقْتَحِمُ الهولَ ولا يَرْضَى الوَنى
أنختْ نُوقَ الفكرِ والفكرُ نَزَا   (لِنَجْدِ) الْقَعْسَاءِ غَرْبِيّ (الْحَسَا)
رَبْعُ (التَّميميّ) الَّذي جَدَّ وَقَدْ   قَوَّضَ في الأرض أَقَانِيمَ الثَّأَى[2]
ذَا الْجَهْبَذُ الفَذُّ الذي نَاوَأَ في   (جَزِيرَةِ الْعُرْبِ) خُرَافَاتِ البِلى
لم تُثْنِهِ الأهوالُ بل قام بِمَا   جاء به الحقُّ بعزمٍ مَا انْتَطى[3]
رَمى بِلُجِّ الحتفِ نَفْسًا هَمُّهَا   تجديدَ عهدٍ غَاضَ مِن بْحرِ الرَّدى
تحمَّلَ الخَطبَ وقاسَى نَكبةً[4]   شَوْهَاءَ لا تحمِلُها صُلْدُ الْكُدى
للَّهِ غطريفٌ بدا في عَزْمَةٍ   شَمَّاءَ فَوْقَ الأَعْوِجَيِّ المُنْتَقى
رافَقَهُ العَوْفُ بما أخلَصَهُ   للدِّينِ مِن قلبٍ تقيّ مَا وَهى
عَفُّ الجِرشّي[5] أَرْوَعُ مستمسكٌ   بعروةِ الحقِّ بَعيدُ المنتَشى
فَضَّ ثُباتِ الجورِ بل مَزَّقَها   بكلِّ سَيْفٍ سَمْهَرِيٍّ[6] مُنْتَضى
مِن كُلِّ عِتْرِيفٍ[7] تَوَلّى نَاكِبًا   عن هَيْطَعِ الرُّشْدِ بِمَغْوَاةِ الْخَنَى
أَتَى إليهم مرشدًا لا مُرْهِقًا   لكِنَّهُمْ في الجهلِ غَاصُوا في كَرَى
لم يَلْبَثُوا في غَيِّهِم حَتَّى انْجَلَى   للحقِّ نورٌ مشرقٌ بين الصُّوى[8]

---

(١) في «أم القرى»: وهُمْ حماةُ الدين أنصارٌ له.

(٢) أقانيم: جمع أقنوم وهو الأصل، والثأى: الفساد. والتميمي هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي نسبًا.

(٣) انتطى: استرخى.

(٤) في «أم القرى»: كم حَمَل الهُول وقاسى نكبة.

(٥) الجرشَّى: النفس، يقال: (هو كريم الجرشَّى).

(٦) سَمْهري: الصلب العود (وهي صفة للرمح الصلب المعتدل، وليس للسيف).

(٧) العِتْرِيف: تقدم بيان معناها.

(٨) في «أم القرى»: للحق نور ساطعٌ بين الرُّبَا. والصُّوى: جمع صُوَة وهو ما نصب من الأحجار يستدل به على الطريق.

والحقُّ يَعْلُو دائمًا مَهْمَا وَصى   قومٌ من الباطلِ كَانُوا في وُثى[١]

فَانْتَابَهمْ طَخْفٌ[٢] مُمِضٌ مُرْمِضٌ   وَأُلْقِمُوا مِنْ حُفْرَةِ اليَأسَ[٣] البُثى

هم نُغِّصُوا في عَيْشِهِمْ وَانْخَلَعُوا   وَاسْتَأْصَلَتْ شَأْفَتَهُم ريحُ الأَسى

وقد أُصيبُوا[٤] بالدَّوَاهي حِقْبَةً   فَهَلَكُوا وَابْتَزَّهُمْ غُولُ الْعَفَا

من بعدِ تَبْدِيدِ الوَنَى تَجَوْهَرَتْ[٥]   بالدِّين أرواحٌ بها صِدْقُ الْوَفَا

وهيكلُ الهُونِ[٦] بدا مُحْقَوْقِفًا[٧]   كَنَاقَةٍ عَجْفَاءَ أضْنَاهَا[٨] الوَجى[٩]

جُنْدُ الْمَيَامِينِ البهاليلِ[١٠] الأُولَى   تَحَفَّزُوا[١١] وَالْمَجْدُ فيهم يُبْتَنَى

هم وقفوا وقفةَ قَرْمٍ واحدٍ   ليُرجِعُوا الأعداءَ عَنْ تَخْمِ الْحِمَى[١٢]

جُندٌ من العُرب الأولَى هم جَاهَدُوا[١٣]   وفي سبيل اللَّه ماتُوا شُهَدا

خاضَ وَطيسَ الحربِ ليثٌ حَلْبَسٌ[١٤]   بشِرْعةِ اللَّه وَباللَّه احْتَمى

(سُعُودٌ)[١٥] الأوَّل منه انْخَرَطتْ   حَبّاتُ عِقْدِ العِزّ تُزْرِى بِالْحلى

---

(١) وُثى: كهدى الوجع.
(٢) الطخف: الغم.
(٣) في «أم القرى»: من سَبَخِ اليأس.
(٤) في «أم القرى»: حتى أصيبوا.
(٥) في «أم القرى»: من بعد ما مات الخَنَا تجوهرت.
(٦) في «أم القرى»: وهيكل الجهل.
(٧) محقوقفًا: معوجًا.
(٨) في «أم القرى»: أرداها.
(٩) الوجى: الحفا، ورقة الخف من كثرة السير.
(١٠) في «أم القرى»: الصناديد.
(١١) في «أم القرى»: هُمُ جاهدوا.
(١٢) في «أم القرى»:

هُمُ وقفوا وقفة شهمٍ واحدٍ   ليرجعوا الأعداء عن طوق الحمى

(١٣) في «أم القرى»: هم كافحوا.
(١٤) في «أم القرى»: خاض الدواهي حلبسٌ معتضِد (والحلبس: الشجاع).
(١٥) في «أم القرى»: سعودٌ الأعظم.

هُم سَابَقُوا[1] العُقْبَانَ في تَحْلِيقِهَا ... ونَاطَحُوا الجَوْزَاءَ وَالْكُلُّ تَأَى[2]

بِحُوْمَةِ الْهَيْجَاءِ خَطُّوا مَصْعَدًا ... وأقْحَمُوا في لاَحِبِ المجدِ الظُّبا[3]

وَضَمَّدُوا لِلدِّينِ كَلْمًا دامِيًا ... من بعدِ مَا أكْرَبَهُ[4] طولُ العَنَا

تَرَبَّصُوا للحرب كَالأُسْد ضُحىً[5] ... فَخَضَّبُوا الأرْضَ نَجيعًا بِالْقَنَا

لا يَبْتَغُون عَرَضَ الدنيا ولا ... من مَغْنَمِ الحياةِ إلاَّ مَا كَفَى[6]

لِبَيْضَةِ الإسْلاَمِ حَامٍ أرْوَعٌ ... من أهل بيتِ المُسْلِمِينَ الْكُبَرَا

شَفْنٌ كبيرُ النفسِ لاَ مُسْتَوْبَلٌ ... شهمٌ غزيرُ الرأي وَهَّاجُ الذَّكَا[7]

وَمِدْرَةٌ[8] في الحقِّ لا يأْخُذُهُ ... في الحقِ لومُ اللائِمينَ الأَدْنِيَا

ذَا الفارسُ المِغوارُ ما دَنَّسَهُ ... ميلٌ إلى الشرِّ ولِلْخَيْرِ انْتَمى

ما بينَ جَنْبَيْهِ فؤادٌ خَافِقٌ ... بِصَالِحِ الأعمالِ يُضْنِيهِ النَّدى

شَاطَرَ كُلَّ مخلصٍ[9] آمالَهُ ... وزَجَّ بالهلُّوف[10] في جَوْفِ الطُّوى[11]

وكفَّ ضنْكَ[12] العيشِ عن ذِي عِفَّةٍ ... وألْبَسَ الْعُرَبَ أكاليلَ الهُدى

كم مِنْ يَتيمٍ بائسٍ[13] أنْقَذَهُ ... من كَبْوَةِ البُؤْسِ ومن حَرِّ الظَّمَا

---

(١) في «أم القرى»: قد سابقوا.

(٢) تَأَى: سَبَق.

(٣) في «أم القرى»: وأركزوا في لاحِبِ المجد الصُّوَى. واللاحب: الطريق الواضح.

(٤) في «أم القرى»: أجهضه.

(٥) في «أم القرى»: توفروا كالأُسْدِ للحرب ضحى.

(٦) هذا البيت تأخر عن موضعه هنا، فقد كان في أصل القصيدة المنشورة في «أم القرى» بعد: جند الميامين البهاليل الألى.

(٧) في «أم القرى»: يذكيه الذكا.

(٨) المِدْرَة: المقدام في القتال.

(٩) في «أم القرى»: صادق.

(١٠) الهلوف: الكذوب، أو الثقيل الجافي.

(١١) في «أم القرى»: في كهف الضُوَى.

(١٢) في «أم القرى»: أزْل.

(١٣) في «أم القرى»: هائم.

وَعَاجِزٍ قد كانَ فينَا عَالَةً ... كَفَاهُ تشريدًا[١] بِبابِ الأَغْنِيَا
وَأُسْرَةٍ كانت تُعَاني دَائِمًا[٢] ... من شَظَفِ العيشِ شَفَاها بِالْغِنى
شَيَّدَ[٣] لِلْبَدْوِ قُرىً مَشْمُولَةً ... بِعَطْفِهِ عَنْ شَرِّ آفاتِ الْفَلاَ
وَقَالَ: أي، يَا مُسْلِمُونَ اتَّحِدُوا[٤] ... يا قومِ إن الذلَّ فينَا قَدْ فَشَا
يا قومِ ما هذَا التعادي وَحِّدُوا ... جموعَكم[٥] واسْتَبِقُوا نحو الْعُلاَ
يا قومِ يكفينا هوانٌ[٦] فالجَأُوا ... إلى حِمَى اللَّه وكُونُوا أقْوِيَا
يا قومِ ذي أوطانُكم تَدْعُوكُمُ ... لِتُنْشِلُوهَا[٧] مِنْ رَدىً وَمِنْ ضَنى
كُونُوا جميعًا يا بَنِي العُرْبِ وَلاَ ... تَفَرَّقُوا فَتَفْشَلُوا بَيْنَ الْوَرَى
تعاضدوا فَالْمؤمِنُونَ إخْوَةٌ ... وَاسْتَمْسِكُوا بِالحَقِّ ذَا الْفَدْحُ طَمى[٨]
تَدَبَّرُوا آي الحكيم الْحَيِّ لاَ ... يَفْتِنَنْكُمُ الجهلُ إذِ الجهلُ بَلا[٩]
يا قومِ إني ناصحٌ فاتَّبِعُوا[١٠] ... نُصْحي وَلبُّوا مُخْلِصًا[١١] فيكم دَعَا
لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ كُونُوا خَلَفًا ... وَاسْتَنْبِطوا (هَدْيَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفى)[١٢]
يَا قَوْمِ إنِّي خَادِمُ الدين فَلا[١٣] ... يَغُرُّنِي الْمُلْكُ وَلاَ عَرْشٌ زَهَا

---

(١) في «أم القرى»: تسوالاً.
(٢) في «أم القرى»: نكبةً.
(٣) في «أم القرى»: وَشَادَ.
(٤) في «أم القرى»: وقال للإسلام: هيا اتحدوا.
(٥) في «أم القرى»: قواتكم.
(٦) في «أم القرى»: هوانًا.
(٧) في «أم القرى»: يا قوم هذا ربكم يدعوكُمُ لتنشلوه...
(٨) طمى الماء: علا وارتفع.
(٩) في «أم القرى»: يفنيكم الجهلُ، فالجهل الخَنَى.
(١٠) في «أم القرى»: فاستمعوا.
(١١) في «أم القرى»: ولبوا هاتفًا.
(١٢) هذا البيت ليس موجودًا في النص المنشور في «أم القرى».
(١٣) في «أم القرى»: يا قوم إني خادمٌ فلا...

الْمُلْكُ فيكُمْ أَنْتُمْ ذَادتُهُ   فَائتَلِفُوا وَوَحِّدوا فيه الْقُوَى
لا تَأْبَهُوا بالغَرْبِ إنَّ الداءَ مِنْ   ذَوي النَّوَايَا المُغْرِضِينَ الْخُبَثَا
أولئك الأضدادُ[1] من أحْزَابِكُمْ   كُلُّ هَوَى بالعُجْبِ فينَا وَانْتَحى
هُمُ أجابُوا داعي النفسِ وَلَمْ   يَرْتَدِعُوا بل تَبِعُوا دَاعِي الْهَوَى
إذا دُعوا للحقِ قامُوا قَوْمَةً   حَتَّى حَوَاهُمْ حَفْلُهُمْ فيمَنْ حَوَى[2]
لا تحسبوا الغربيَّ يا قومِ لَنَا   أَعْدَى عِدَاءً من أُنَاسٍ بِالْحِمَى[3]
هَذَا حِوَارُ الْقَرْمِ للأَنْجَادِ في   مَبَاهِجِ المَغْنَى لأرْبابِ النُّهَى[4]
ذَاكَ الَّذي آلى وثنى عَائِذًا   بِالْبَيتْ (يَوْمَ الْحَجّ) في (أُمّ الْقُرى)
ذَاكَ الذي لَوْلاَهُ مَا كُنَّا نَرَى   لِشَعْبِ عَدْنَان فَخَارًا يُرتَجى
ذَاكَ الذي ضَاغَنَ حِزْبَ السُّوءِ في   جِهَادِهِ الأَكْبَرِ يَوْمَ الْمُلْتَقَى
هُوَ (الإمَامُ) الحُرّ مغْوَارُ الْحِمَى   (عَبْدُ الْعَزِيزِ) العبقريُّ الْمُرْتَضى
هُوَ الذي خَلَّد في الدنيا صَدىً   وَذِكرُه في كَنَفِ المجد دَوَى
غضنفَرُ العُرْبِ وَذي أشْبَالُهُ   من حَوْلِه كلٌّ إلَى الْعِزّ مَشى
هُمُ البهاليلُ[5] الأولى قَدْ رُصِّعَوا   في قُبَّةِ الْعِزّ كَأَنْجَامِ السَّمَا
آهِ عروسَ الشِّعرِ هُبّيَّ وَانْشُدِي   فَقَدْ طَوانِي الشَّوْقُ فيمَنْ قَدْ طَوَى

---

(١) في «أم القرى»: الأنداد.
(٢) يقوم هذا البيت مقام بيتين في النص المنشور في «أم القرى»، والبيتان هما:
إذا دُعوا للَّهْو قاموا قومَةً   حتى حواهُمُ الحفلُ فيمن حوى
وإن دعوا للحق يومًا خِلْتَهم   صُمًّا جلاميدًا أُصيبوا بالعَمَى
(٣) بعد هذا البيت، يأتي في «أم القرى»:
بنا من الإسلام رهطٌ خاربُ   (وإن كلَّ الصَّيْد في جوفِ الفِرَا)
(٤) هذا البيت غير موجود في النص المنشور في «أم القرى».
(٥) البهاليل: جمع بهلول وهو السيد الجامع لكل خير.

آهِ مَهَاةَ الْحُبّ صُوني مُهْجَةً(١) … عَنْ لَوْعَةٍ تَلْذَعُني لَذْعَ الْجُذَا(٢)
أوَّاهُ مَنْ لِي (بالعُمانِيَّةِ) كَيْ … أشفي بها وَجْدًا بِقَلْبِي قَدْ ثَوَى
أحثُّها للسيرِ ليلاً عَلَّني … أُعَفِّرُ الْخَدَّ عَلَى سَفْحِ (مِنى)
عَنَوْتُ فيهمَ وَالْقَوافي جَمَّةٌ … جخفًا(٣) وجَخفًا إنْ أنَا حُزْتُ الرّضى
فَلَسْتُ بِالزُّعْفُوقِ(٤) إلاَّ أنَّني … جَرَّعني الدهرُ زُعَاقَ(٥) الأدَبَى
أقولُ لِلنَّفسِ وَفيهَا نَشْوَةٌ … مَا أنَا إلاَّ زَبْرَقانٌ مُجْتَوَى
هذي بَنَاتُ الفكْرِ قَد دَبَّجْتُها … تَمْشِي الْهُوَيْنَا في جُنَيْنَاتِ الْبَقَا
هَذَا وَبِاللَّه اعتِصَامِي فَهو لِي … عَونٌ إذَا نَابَ مُصَابٌ أو مَأَى(٦)
وَثُمَّ تَسْلِيمِي عَلَى خَيْرِ الوَرَى … مُحَمَّدِ الْمُخْتَارِ خَتْمِ الأنْبِيَا

---

(١) في «أم القرى»: مهجتي.
(٢) الجُذا: جمع جَذْوَة: القبسة من النار.
(٣) جخفًا: فخرًا أو شرفًا.
(٤) الزُّعفوق: السيئ الخلق (القاموس ـ مادة زعق).
(٥) الزُّعاق: الماء المرّ الغليظ الذي لا يطاق شربه (القاموس ـ مادة زعق).
(٦) مأى: اتسع.

(٣)

يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ

لِغَيرِ سَجَايَا العُرْبِ لَمْ أُخْضِعِ الفَنَّا ... ولا عَاوَدَ الأفكارَ إلا هَوَى الْمَغْنَى
صَبوتُ إلى غيلِ الضَراغِمِ صبْوَةً ... تُشاطِرني وَهْنًا فَتورِثُني الْحُزْنَا
فَأَهْدَأُ في الظَّلْماءِ والقلبُ ثائِرٌ ... وفي الرّوح[1] عينٌ لم تَذُقْ لَيْلَةً وَسْنَا
مُنَايَ مُنَى مُرخِي الأَعِنَّةِ في الوَغَى ... كَمِيٍّ إلَى الهَيْجاء نَحو العُلا حَنَّا[2]
فَلاَ وَرَدَتْ مَاءَ الْحَيَاةِ رَكَائبِي ... إذَا كَلَّ عَزْمِي أو صَبَا لِلْوَنَى جُبْنَا
سَأُصْدِرُهَا[3] صَفْوَ الْمَوَارِدِ مُعْلِنًا ... جِهَادِي إذَا سَيْفُ الدَّوَاهِي دُجىً رَنَّا
تُكَيِّفُنِي مَا زِلْتُ في الْمجْدِ مُولَعًا ... مَرَابِعُ قَوْمٍ كَمْ حَوَتْ سَيِّدًا شَفْنَا
تَيَمَّمْتُ فيها بالعَشِيةِ والضحى ... فَلَمْ أَسْتَقِرْ إلا وَصَارَ الْهَوَى صَوْنَا
فَسَهَّدَنِي وَجْدٌ، وَتَيَمَنِي جَوىً ... وأَسْبَلْتُ دَمْعًا يُشْبِه الصَيِّبَ الْمُزْنَا
جَهِلْتُ فُنونَ الحربِ إلا مَقَاصِدًا ... عرفتُ بها لِلْحَربَ ذَا السِّرَّ والْمَعْنَى[4]
أَنَا الْبُلْبلُ الغِرِّيدُ تَحْنُو مَنَازِعِي[5] ... إلى الوطنِ المحبوبِ والدَّوْحَةِ الْغَنَّا
عَلَى الرَّغْمِ مِنِّي أنْ أرَانِي مُرَتِّلاً ... أنا شيدَ شِعْرٍ مُحْكَمِ الْوَزْنِ وَالْمَبْنَى
لِمَجْدِ أَشَمِّ الأَنْفِ سَيِّدِ يَعْرُبِ[6] ... أُرَدِّدُ أَلْحَانِي وَأَسْتَوْعِبُ الْوَزْنَا

---

(١) في «أم القرى»: وفي الفكر.
(٢) في «أم القرى»: إلى العلياء يوم الوغى حَنَّا.
(٣) في «أم القرى»: سأوردها.
(٤) في «أم القرى»:
جهلت فنون الحرب إلا أمانيا ... فقهتُ بها للعرب للسرّ والمعنى
(٥) في «أم القرى»: فبالي من صَبٍّ تجيشُ منازعي.
(٦) في «أم القرى»: لذات المليكِ المالك المجد في الورى.

بِـهِ عَـلِـمَ الْـفُـرْسَـانُ فـي الـدَّهْـرِ أَنَّـهُ ... بِغَيْرِ حُسَامِ الْعِزِّفي الدَّهْرِ لا يُكْنى[1]
تَـعَـرَّضَ بِـالـجَـيـشِ الـلُّـهَـام عِـدَاتُـهُ ... فَـأَوْرَدَهَـا مَـوْتًـا[2] وأَثْـخَـنَـهَـا طَـعْـنَـا
إِذَا صَـرَّحَـتْ حـربُ الـقُـرومِ وَشَـمَّـرَتْ ... وجـدتَ الـذي لـم يـعـرِفِ الـعِـيَّ والأَيْـنَـا
كَـأَنِّـي بِـهِ مـن أَلْـفِ لَـيْـثٍ صَـلاَبَـةً ... بِـها يـخضُدُ البَاغِـين مَنْ أَلِفُوا[3] الْخُونَا
تَـعـجُ بِـهِ أَخْـلاَقُـهُ وَصِـفَـاتُـهُ ... فَلَمْ يَقْتَرِفْ إِثْمًا وَلَمْ يَحْمِلِ الضِّغْنَا[4]
أُعِـدَّ لِـحَـلِّ الـمُـشْـكِـلاَتِ دَهَـاؤهُ ... وَحَـلٌ وِثَـاقِ الـدَّاهِـيَـاتِ وَلَـمْ يَـضْـنَـا[5]
لَـهُ فـي فِـجَـاجِ الـحـادِثَـاتِ وقـائـعٌ ... بِـبَـاحـةِ رَبْـعِ الـمـجـدِ هَـنَّـا وَمِـنْ هَـنَّـا
وأيـامُـهُ غُـرٌّ طِـوالٌ مـنـيـرةٌ ... ويـومُ الأَعَـادِي صَـارَ مُـخْـلَـوْلِـكًـا دَجْـنَـا
هو القائد الجُرْدَ السلاهِبِ[6] في الوغى ... عـلـيـهـا كُـمَـاةٌ يُـحْـسِـنُـونَ بِـهِ الـظَّـنَّـا[7]
يُـمَـزِّق[8] رَهْـطَ الـغَـيِّ بـالـلَّـه مُـحْـتَـمٍ ... وفـي الـلَّـه لـم يـطـلـبْ لِـفِـعْـلَـتِـهِ مَـنَّـا
مَـشـى يـبـتـغـي لـلـمـجـدِ صَـرْحًـا مؤثَّـلاً ... بيومِ[9] الزُّعُوفِ[10] السُودِ كَمْ غَارَةٍ شَنَّا
يـقـودُ زُحـوفَ الـعـزِّ لـلـحـقِ وَالْـعُـلاَ ... لِيُورِدَهَا صُبْحًا مِنَ الْمَنبَعِ الأَسْنَى[11]

---

(١) البيت في «أم القرى»:
بـه عَـلِـمَ الأبـطـالُ فـي الـدهـر أنـه ... بـغـيـر حُـسـام الـحـق فـي الـدهـر لا يُـكْـنَـى
(٢) في «أم القرى»: حتفا.
(٣) في «أم القرى»: صحبوا.
(٤) البيت في «أم القرى»:
تـضـيـق بـه الأخـلاق حـتـى كـأنـه ... من الـخـلـق الـعـلـويّ لـم يـحـمـل الـضِّـغْـنـا
(٥) البيت في «أم القرى»:
أُعـدَّ لـيـوم الـمـعـضـلاتِ دهـاؤه ... وحـلَّ وثـيـق الـمـشـكـلات ولـم يَـضْـنَـا
(٦) السلاهب: جمع سَلْهب، وقد تقدم بيان معناه، (انظر ص: ٥٢ هامش: ٤).
(٧) في «أم القرى»: ظنا.
(٨) في «أم القرى»: يُقتِّلُ.
(٩) في «أم القرى»:
يُـرى يـبـغـي لـلـعـرب مـجـدًا مـؤثـلاً ... ويـوم ....
(١٠) الزُّعوف: الدروع الواسعة الطويلة.
(١١) البيت في «أم القرى»:
يـقـود جـمـاعـات الأعـارب لـلـعـلا ... لـيـصـدرها قـسْـرًا مـن الـمـنـبـع الأسـنـى

ويستنزِلُ النَّصرَ الْمُحتَّمَ بَأْسُهُ … فيُخْضِعُ عاتِي القومِ بالعُنْفِ والْحُسْنَى[1]
لـه في حِمَى عَدْنَانَ جَيْشٌ عَرَمْرَمٌ … يذودُ بِهِ يَوْمَ الخُطُوبِ وَلا يَفْنَى
هو الضيغَمُ الوَثَّابُ في سَاحَةِ الوَغى … بغيرِ المَعَالِي وَالْمَفَاخِرِ لاَ يَهْنَا
خذوا حِذْرَكُمْ يَا عَابِثُونَ[2] فَدُونَكُمْ … هِزَبْرُ الشَّرى ذُو المَعْطِس الشَّامِخِ الأَقْنَى
خُذُوا حِذْرَكُمْ يا أيُّها النَّفَرُ الأُولَى … يُرِيغُونَ دَخْلاً زَائِفًا[3] في الْوَغَى غَبْنَا
خذوا حِذْرَكم من عَارِمِ البأسِ إنَّهُ … (إمَامٌ)[4] حَمَى الأَوطان والبَيْتَ وَالرُّكْنَا[5]
تُلَبِّيك يَا (عَبْدَ العَزيزِ) نُفُوسُنَا … فَهَا نَحْنُ في الهَيْجَا فَخُذْ عَهْدَنَا مِنَّا
نُضَحِّي جُسُومًا لا نُرِيدُ لَها هَنًا … إذا كانتِ العلياءُ في كَفِّكَ الْيُمْنَى
إذا لم تكُنْ أرواحُنا مُسْتَفِيقَةً[6] … فلا خَيْرَ في عَيْشٍ نَذُوقُ بِهِ هَوْنَا[7]
نُريدُ حَيَاةً لِلْعُرُوبَةِ حَقَّةً … نُريدُ حَيَاةَ العِزِّ هَا نَحْنُ بَادَرْنَا[8]
فيا جُنَّةَ الْحَرْبِ الضَّرُوسِ نَفُوسُنَا … تُفَدِّيكَ لَمْ نَنْقُضْ عُهُودًا وَلا خُنَّا[9]
حَنَوْتَ حُنُوَّ الْوَالِدَيْنِ[10] وَلَمْ تَزَلْ … مِنَ الْحِلْمِ لَمْ تُغْمِضْ بِلَيْلِ الرَّدَى جَفْنَا
وَأَخْلَصْتَ لِلإسْلاَمِ قَلْبًا وَفِكْرَةً … وأَرْضَيْتَ رَبَّ الْعَرْشِ وَالإِنْسَ وَالْجِنَّا

---

(1) البيت في «أم القرى»:
ويستنزل الفوز المحتم عزُّهُ … فيخضع شعب العرب بالعنف والحُسْنى
(2) في «أم القرى»: يا عابثين.
(3) في «أم القرى»: باطلاً. (والدَّخل: الحقد والعداوة).
(4) في «أم القرى»: خذوا حذركم من خائض الهول، إنه هُمَامٌ.
(5) بعد هذا البيت نجد في «أم القرى» البيت التالي:
خذوا حذركم يا مغرضين فإنما … تجاهكُمُ من بالنفائس ما ضنّا
(6) في «أم القرى»: مشمخرة.
(7) في «أم القرى»: فلا خير في عيش يُحمّلنا الهوْنا.
(8) في «أم القرى»: نريدُ حياة العزِّ يا سيد المغنى، وبعد هذا البيت:
نريدُ حياةً في المفاخر حُرَّةً … ونمقت عيشًا يورث الذلّ والأوْنا
فيا غاية الأبطال إنّا على الولا … فوالله لم ننقض عهودًا ولا خُنّا
(9) هذا البيت غير موجود في النص المنشور في «أم القرى».
(10) في «أم القرى»: حنوت حنو المرضعات.

وَأَنْتَ[١] لِعِزِّ الْمُسْلِمِينَ مُجَاهِدٌ ... وَمِنْ سَعْيِكَ الْمَبْرُورِ مَجْدُ الْحِمَى يُبْنَى[٢]
أَعَدْتَ زَمَانَ الرَّاشِدِينَ بِعَصْرِنَا ... وَحَكَّمْتَ دِينَ اللَّهِ والشِّرْعَةَ الْحَسْنَا[٣]
فَهَذِي جُمُوعُ الْعُرْبِ تَهْوَاكَ كُلُّهَا ... وَضِدُّكَ قَدْ أَضْنَى الأَسَى مِنْهُ مَا أَضْنَى
حِمَانَا حِمَى الإِسْلاَمِ وَالْقَوْمُ يَعْرُبٌ ... وَفِي ذِمَّةِ الأَوْطَانِ لِلْغَيْرِ مَادِنَّا
فَلَسْنَا نَرَى فِي الْعُرْبِ إِلاَّكَ سَيِّدًا[٤] ... إِذَا جَنَّ لِلإِسْلاَمِ فَدْحٌ أو اسْتَنَّا

---

(١) في «أم القرى»: فأنت.
(٢) بعد هذا البيت في «أم القرى»:
ظفرت فلم تترك لأعداك منيةً ... وأفرحت منا القلب والعينا
(٣) بعد هذا البيت في «أم القرى»:
فيا «ابن السّعود» اسْلَمْ من الحيف والأذى ... ودُمْ لبني عدنان يا سيّدي حِضنا
(٤) في «أم القرى»: فلسنا نرى في العرب إلاك ناصرًا.

(٤)
نشْوَةُ الأحْسَاءِ[1]

أُنشدت في الأحساء، لولي العهد الأمير سعود بن الإمام عبد العزيز، أثناء مرور الشاعر بالأحساء في سفره إلى الرياض.

أَمَانًا فُؤَادي ما الرُّقى والطلاسِمُ ... بِمُجْديةٍ، والحُبّ للنَّفْسِ ظَالِمُ
نهيتُ فؤادي عن مُطاوعةِ الهوى ... فلم ألقَ إلا الصَّدَّ، والصّدُّ غاشِمُ
تُساورني الأوهامُ وَهُنّا كَأنّني ... أخُو جِنّةٍ تُتْلى عليه العزائمُ
وقفتُ وليلُ الشكّ مُرْخٍ سَدولَهُ ... وفي الفكر بحرٌ موجُهُ متلاطِمُ
أراني بين الأمْنِ والخوفِ سادِرًا ... أسيرُ حِجًا قد فَزَّزَتْهُ العَظَائِمُ
له نَزَواتٌ يُرهقُ الجسمَ وَقْعُها ... وما الجسمُ إلا هيكلٌ مُتلاحمُ[2]
وثبتُ ونارُ الوجدِ تُذْكي أُوارَها ... وهُمْتُ، وعضبُ الشّوقِ في القلبِ صارِمُ
وقد عَلم القومُ الذين تَرَكْتُهُمْ ... وَرائي بأنّي بالمكارِمِ هَائِمُ
هُمُ جرَّعُوني الكأسَ وهي مَريرةٌ ... وما مِنهُمُ إلا حسودٌ وَلائِمُ
أولئك لو يَدْرُونَ أنّي نبذتُهُمْ ... وأنَّ يَراعِي نحوهم لاَ يُسالِمُ
لَهَمّوا بقتلي واستباحُوا كَرامتي ... وكُوفِئْتُ بالأمر الذي أنا عالمُ
ولكن أراد اللّهُ خيرًا فما انثنت ... عن السَّيْرِ نُوْقي للذي أنا عازمُ
بظلِّ البُنودِ الخُضْرِ أعقلُ ناقتي ... وبين الميامين الكرامِ أزاحمُ
كُفيتُ فخارًا في الزمان بأنني ... بحبّ السّعودِ الأريحيين ناظمُ

(١) نشرت في مجلة الإصلاح، وفي مجلة الكويت.
(٢) متلاحم: أي متدافع بشدة.

وما أنا بالمُزْجِي القريضَ ضلالةً ... ولكنْ شُعُورًا في الحجى يَتزاحَمُ
عصارةُ عقلي قد سكبتُ شَمُولَها ... بكأسٍ من الياقوت والصَّبْحُ هاجِمُ
وفي أجمةِ الآساد أُصْبِحُ مُنْشِدًا ... وفي الرَّبع من آل السُعودِ ضُبارِمُ(1)
سعودٌ بكفِّ الدهر وهو غَضَنْفرٌ ... ولكنه لِلأُسْدِ في الربع هَازِمُ(2)
إلى المَغْرِق المجدِ المؤثلِ يَنْتَمي ... وفي دوحةِ العَلْياء يقظانُ قائِمُ
إذا عُدَّتِ الأبطالُ فهو زعيمُها ... وقد شهدت أعمالُهُ والعزائمُ
هو الليثُ إلا أنه فوق ما أرى ... وما كلّ ليث فضَّلَتْهُ المكَارمُ
أبوَه الذي أمسى لأمَّةِ يعربِ ... ملاذًا وللإسلامِ في الدهر عَاصِمُ
إذا قلتُ (يا عَبْدَ العزيز) تشاجَرَتْ ... بقلبي آمالٌ وعَقلي جَازِمُ
أميرَ العلا إيَّاكَ يا خَيْرَ واثبٍ ... أُنادي لمجدٍ عهدهُ مُتَقادمُ
فما أنتَ إلا يا سعودُ بربعنا ... إذا حلَّت الآفاتُ للرَّوع قاصمُ
فكم لك في نَصْرِ الشريعة من يد ... وحولك في الهيجاء أُسْدٌ ضراغمُ
تَرَكْتَ جُسُوم الخائنين صريعةً ... بأشلائها عاثت نسورٌ قشاعِمُ(3)
تَسَرْبَلْتَ بالبأس الحديديِّ رافلاً ... وخُضْتَ بِحربٍ شرُّها مُتفاقِمُ
فما رجَعتْ منك القناةُ كليلةً ... سِوَى أنها قد أشْبَعَتْهَا الجَمَاجمُ
قَهرتَ جُموعَ الشرِّ في كل رُقْعَةٍ ... وَفَرَّتْ وقد ضاقت عليها المَخَارِمُ(4)
وسُقْتَ رعيلاً من أُباةٍ أعِزَّةٍ ... فما آب إلا وَهْوَ لِلْبَغْي حَاطِمُ
أولئك شُرَّابُ الحتوفِ إذا بَدَتْ ... مشاراتُ حَرْبٍ هَيَّجَتْهَا الضَّيَاغِمُ

---

(١) الضبارم: الشجاع الجريء على الأعداء.
(٢) هازم: قاطع.
(٣) النسور القشاعم: النسور المسنّة.
(٤) المخارم: الطرق.

يُفَدُّونَ بالأرْواحِ مَنْ كانَ هَمُّهُ ... إشَادَةَ مجدٍ قَوَّمَتْهُ الدَّعائِمُ

هُمُ مزَّقتْ أسيافُهُم كلَّ خارِبٍ ... وآمالُهُم للأكرمين بَلاسِمُ

وفي كلِّ يومٍ يا سعودُ صَنائِعًا ... من الفضلِ تُزْجِيها وَحَزْمُكَ عارِمُ

لَعَمْرُكَ ما العلياءُ إلا فضائلٌ ... وما العزُّ إلا أسْمرٌ وصوارِمُ

نقشتَ على لَوْحِ الخُلُودِ مَكارِمًا ... وسجَّلْتها للعربِ والجدُّ سالمُ

رعيتَ حقوق الدين والعلم والحِجى ... وجاهدتَ للعليا وثغْرُكَ باسمُ

سقى اللّه أرضًا أنبتتك وتُرْبةً ... كأن حصاها اللُّؤلُؤُ المُتراكمُ

دَعِ السيفَ يا رمزَ الشبيبةِ يرتوي ... من العُصْبةِ الأشرار فالشرُّ ثالِمُ

وحكِّم سِنَانَ الحقِّ في أكْبُدِ العِدَا ... فإنك هولٌ للطغامِ وهاشِمُ

ذَرِ السيفَ يأخُذْ من أولي البغي حَظَّهُ ... وما السَّيْفُ إلا فاصِلٌ وهو حاكِمُ

تَذَرَّعَ قَوْمٌ بالإباءِ سَفَاهَةً ... فباؤُوا وكُلٌّ في نواياهُ غارِمُ[1]

حَيَارى، غرابُ الرُّعْبِ حَلَّقَ فوقَهُمْ ... طرائدُ وَالأَرْوَاحُ سَكْرى حَوَائِمُ

خوارج عن نَهْجِ الرَّشادِ تَنَكَّبوا ... وَكلٌّ تولّى في الضَّلال يُلاكِمُ

يُلَبِّي (وَلِيَّ الْعَهْدِ) كلُّ شَمَرْدَلٍ[2] ... كَمِيٌّ إذا جَنَّ الرَّدى لا يُقاوَمُ

عليهِم جلالُ الدينِ والصدقِ والنُّهى ... وفوقهُمُ رَبُّ البريةِ راحمُ

بِنَجْد (إمَامُ المُسْلِمينَ) وفي الحسا ... (سُعُودُ) المرجّى الأرْوَعُ المُتَراحِمُ

وعرشُ بِبَيتِ اللّه يَحميهِ (فيصَلٌ) ... أخُوكَ الذّي لِلْبَيت والعلم خادِمُ

فأنتَ الذي تُزْجِي الصواعقَ للعدا ... (وَفيصَلُ) لِلْعِلْمِ الصَّحيح يُنادِمُ

كَذَا فارْفَعا (مَجْدَ الْعُرُوبَةِ) بالظُّبى ... وبالعلمِ إن العِلْم للجهل هادمُ

ولُمّا فلُولَ العُرْب سَعْيًا وَشَيِّدَا ... فخارًا عليه كَوْكَبُ الدِّينِ حائِمُ

---

(١) غارم: مُصاب أو واقع.

(٢) الشمردل: الفتى السريع من الإبل وغيره، الحسن الخلْق (القاموس ـ مادة شمردل).

فـمـا الـعـربُ إلا أُمَّـةٌ لـو تَـجَـمّـعـت ... لـسـادت وحـيَّـتْـهـا الـعُـلا والـعـوالِـمُ
بـنـو يـعـرُبٍ لا يـصـبـرون عـلـى الأذى ... وقـد عَـلَّـمـتـهـم فـي الـزمـان الـمـظـالـمُ
ومـا غـيـرُ شـعـب الـعـرب لـلـديـن نـاصـرٌ ... وأوطـانـهـم لـلـمـكـرمـات خـواتـمُ
فـفـيـهـم (رسُـولُ الـلَّـه) جَـاء بـهـديـه ... وهُـم لـزهـورِ الـصـالـحـاتِ كَـمـائِـمُ
وهُـم قَـادَةُ الـخُـلِـقْ الـمـفـضـل فـي الـدُّنَـا ... وهُـم لـلـعـدا هـولٌ إذا مَـا تـلاءمُـوا
هـنـيـئًـا (بَـنـي الإسْـلاَم) فـخـرًا أُولِـي الـنُّـهـى ... فـثـغـرُ الـعُـلاَ لِـلْـعُـرْب لَـهـفَـانُ لاثِـمُ
وصـبـحُ الـعُـلاَ يُـدْنِـي إلَـيْـنَـا شُـمُـوسَـهُ ... ولـيـلُ الـدَّوَاهِـي مَـزَّقَـتـهُ الـمَـلاَحِـمُ
ألاَ فـلْـيَـعِـشْ مـجـدُ الـعُـرُوبَـةِ دَائِـمًـا ... فَـإِنَّ لَـهُ (نـورَ الـسُّـعـود) مُـلاَئِـمُ
وفـي مُـنْـتَـهـى نَـسْـجِـي الـقَـريـضَ مُـصَـلِّـيًـا ... عَـلَـى أَحْـمـدَ الْـمُـخْـتَـارِ لِـلـرُّسْـلِ خَـاتِـمُ

(٥)

أريجُ الدَّهْنَاء[١]

لِلحقِّ سيفٌ في الحمى مسلولُ ... وله على رأس العُدَاة نُزولُ[٢]

والعِزُّ[٣] يشمخُ ناطحًا كبدَ السَّما ... وعلى الثريا يُعْقدُ الإكليلُ

والشمس ضاحيةُ الجبينِ مُنِيرة ... والرَّبْعُ من أُسْدِ الشَّرَى مَأْهُول

في كلِّ دربٍ للمفاخرِ مَعقلٌ ... تهفُو إليه مَشَاعرٌ وعُقولُ[٤]

وَلِكُلِّ قَرْمٍ للفضائل غادةٌ[٥] ... تَسبي العقولَ وثغرُها مَعْسُولُ

والأرضُ يشمُلُهَا الأمانُ مُجللاً ... وبكلِّ فَجٍّ للمُزاة[٦] مسيلُ[٧]

تَزنو الحياةُ وللحياةِ نواظر ... لَمعت حنانًا[٨] والنُّهى مذهُولُ

والصبحُ مخلوعُ العِذار كأنهُ ... صَبٌّ تهتَّك في الهوى مَتْبُول[٩]

والرملُ يفرش للظِباءِ بسَاطَه ... وعلى التُّلُولِ تأوُّهٌ وَعَويلُ[١٠]

وعرائسُ الأَبطالِ يُشجيها الغِنا ... فتميسُ من فَرطِ الهوى وتميل

---

(١) نشرت في «أم القرى»، العدد (٢٦٠) في ١٢ رجب ١٣٤٨ تحت عنوان (للسير قمت وفي حشاي دلِيلُ».

(٢) في «أم القرى»: وله بأفئدة العداة ذهول.

(٣) في «أم القرى»: والمجد.

(٤) في «أم القرى»: نُصبت عليه رايةٌ ونُصُولُ.

(٥) في «أم القرى»: ولكل قرم غادةٌ وَهْنانةٌ.

(٦) المزاة: الجبابرة (القاموس ـ مادة مزا).

(٧) البيت في «أم القرى»:

والأرض يكسوها الربيعُ رداءَه ... وبكلُ فجٌ منبعٌ ومسيل

(٨) في «أم القرى»: وللزهور ناطورٌ ملئت حنانا.

(٩) في «أم القرى»: والتُّقى مغلول.

(١٠) البيت في «أم القرى»:

والزهرُ ينصبُ للعنادل عُرْسَهُ ... وعلى الغصون تَأوُّهٌ وعويلُ

هُنَّ الخرائدُ للنفوس لهُنّ من[١] ... صُورِ الأماني فوقهنَّ رعيلُ

تتشاكلُ الغاياتُ وهي ضوامرٌ ... ولها بأرواح الكُماة حلولُ

وعلى (رُبا نجد) لهُنّ معالمٌ ... تحمي حِماها قُوَّةٌ وخيُول[٢]

ما أجْمَلَ المرعى وإني لا أرى[٣] ... وطنًا سِوَى (نَجْدِ) إلَيْهِ أميلُ..!.

فَلأعقِلنَّ النُّوْقَ وَهْيَ من السُّرى ... ظَمْأى جِيَاعٌ فوقهنَّ حُمُولُ[٤]

إني جرعت الهُون سُمّاً ناقعًا ... في موطني والروحُ فيه مَلُولُ

لي عند قومي الناقمين صُويحبٌ[٥] ... نَدْبٌ مُضيء الوجنتين كحيلُ[٦]

قدْ قال لي والعزمُ منه مشدّدٌ ... أَيَصُحُّ مِنْكَ إلى (الرِّيَاضِ) رَحيلُ؟[٧]

فَأَجَبْتُهُ والنَّفْسُ عَجَّ عجيجُهَا[٨] ... والقلبُ فيه أنَّةٌ وَغَليلُ

دعني من اللومِ المُثبِّطِ إنني ... بِسُمُوِّ حُبِّكَ يا أُخَيَّ بَخيلُ[٩]

لكنَّ لي شَأنًا فإمَّا نِلْتُهُ[١٠] ... صُبْحًا وإلاّ للحمام[١١] دُخُول

حتى تفرّقنا وقد غَشِيَ الفَضا ... جنحُ الدُّجى، والفِكْرُ فيه كليلُ

---

(١) في «أم القرى»: وهُنَّ من.

(٢) في «أم القرى»: وبأنفس الغُرْب الأباة نزول.

(٣) في «أم القرى»: قسمًا برب العرش إني لا أرى.

(٤) البيت في «أم القرى»:
فلأعقرنّ النوق .... كلمى عطاش...

(٥) في «أم القرى»: حبيب.

(٦) في «أم القرى»: حُلوٌ أسيلُ الوجنتين كحيلُ.

(٧) في «أم القرى»:
قد قال لي والعينُ يهطُلُ دَمْعُها ... أيصحُ هذا اليوم منكَ رحيل

(٨) في «أم القرى»: «والنفس ثار أجيجها».

(٩) البيت في «أم القرى»:
دعني من اللوم المهيض فإنني ... كَلِفٌ وإني في هواك بخيلُ

(١٠) في «أم القرى»: حُزْتُه.

(١١) في «أم القرى»: وإلا الموت منه.

إني ركبت[1] البحرَ فوق سفينةٍ … هي مركبُ للنازحين ذُمُولُ
تهْذي فيدفعُها البخَارُ فترعوي … والموجُ يصخبُ ناقمًا فتميلُ
ما بين (أرجاءِ الكويت[2] إلى الحسا) … دنِفٌ يُجَلِّلُهُ الهُيَامُ عليلُ
أنا والعواذلُ لا أزالُ بثورةٍ … والخَط في (رَبْعِ الكويتِ) ذليل[3]
طورًا يُغالبني الإباءُ[4] وَتَارَةً … في العقلِ حربٌ للهوى وعويلُ
حتى اتَّكلْتُ على القدير ومُهْجتي … دُقَّتْ بها يومَ الرحيل طُبولُ
فكأنني بين الكآبةِ والهَوى … كُرَةٌ يُعَابِثُها الردى وينيلُ
حول (العُقير) جزيرةٌ عربيةٌ … خضراءُ حَظُّ أُهَيْلِها مَغْلُولُ[5]
ومن (العُقير إلى الحَسَاءِ) مَفَازةٌ … فيهَا رِمَالٌ كالدُّمَى وتُلولُ[6]
هذي (جنيناتُ الحسا) وكُرومُها[7] … وبها عيونٌ ثرَّةٌ ونخيلُ
ولقد حَلَلْتُ[8] بساحةٍ هي للندى … حِضْنٌ وفيها العزُّ والتَّبجيلُ
طابَتْ غُضارتُها وأينعَ غَرْسُها … وبها مصيفٌ باردٌ ومقيل[9]
ولطالما نادمتُ في جنباتها … رَهْطٌ يكيل لي الهوى وأكيل[10]

---

(١) في «أم القرى»: ولقد ركبت.

(٢) في «أم القرى»: ما بين أنحاء الكويت.

(٣) في «أم القرى»: فركنت جَدِّي في الكويت ذليل.

(٤) في «أم القرى»: الفؤاد.

(٥) هذا البيت غير موجود في نص «أم القرى».

(٦) البيت في «أم القرى»:

فمن .... … فيها رمالٌ كُوِّمت وَتلول

(٧) في «أم القرى»: وإذا بأرباض الحساء تنفستْ.

(٨) في «أم القرى»: حتى حللت.

(٩) البيت في «أم القرى»:

طابت مرابعها وأثمر نبتها … وبها مصيفٌ للفتى ومقيلُ

وبعده:

فيها «ولي العهد» يَبْسُمُ ثغرُه … وبدوحة العليا له تفضيلُ

(١٠) بعد هذا البيت في نص «أم القرى»:

أوّاهُ ما أحلى المسيرَ إلى المُنى ... ولها يَلَذُّ السَّيرُ والتَّرحيلُ
ولقد عجلت وما عليَّ ملامةٌ ... إني إلى رَبْعِ الأُسود[1] عَجُولُ
باللّه يا حادي المَطيّ ترفّقن ... هَزِّجْ بربك فالمسيرُ طويلُ[2]
فمن (الهفوف) إلى (الرياض) مفاوزٌ ... فيها ربى وأجارعُ[3] وهُجُولُ[4]
ومن (الهفوف) إلى (الرياض) مراسمٌ ... فيها الفؤادُ متيّمٌ متبولُ
ومن (الهفوف إلى الرياض) مرابضٌ[5] ... للأسدِ فيها خيفةٌ وغيولُ
ومن (الهفوف) مفازة (الصُّمّان) في ... جَنَبَاتها خِرّيتُنا مذهولُ
تبدو لنا (الدَّهنَاءُ) وهي كأنها ... سحرٌ من الذهبِ العزيز يسيلُ
لمّا قطعناها ضحىً برِح الخفا ... في وعر (عُزْمَةَ) وَالرّياحُ تجولُ
عُلّت لدى (بي جُفانَ) أكبُدُ عيسنا ... من بعد عشرٍ كلها تذميلُ
ومن (الهفوف إلى الرياض) مخادمٌ ... وفَدَافِدٌ ومَغَاورٌ وَسُهُولُ
ومن (الهفوف إلى الرياض) بمهُجَتي ... شَوْقٌ وجِسْمِي من عَنَاهُ هَزيلُ
ولقد هبطنا (الدُّغْمَ) في ظُلل الردَى ... حَوْلَ (الْيَمَامَةِ) والمطيُّ تميلُ
فَحمدْتُ مَنْ كَتَبَ النَّجاة لركبنا ... من بعد لأيٍ والهُبوطُ مَهُولُ
(لبَني نِزار) كلُّ حُصنٍ باذخٍ[6] ... يعلُو على هام الربا ويطُولُ

لما انبرى الظعنُ الكريمُ يحثني ... للسير قمتُ وفي حشاي أليلُ

(١) في «أم القرى»: ربع الحبيب.
(٢) البيت في «أم القرى»:
بالله يا حادي أمالك مهجة ... رفقًا بربّك فالمسير طويلُ
وبعده:
رفقًا فنارُ الشوق تلذعُ مهجتي ... وكم اعتراني للحبيب نُحُول
(٣) الأجارع: جمع أجرع، وهي الأرض ذات الحزونة تشاكل رملها.
(٤) هجول: هَجْل: المطمئن من الأرض (القاموس ـ مادة هجل).
(٥) في «أم القرى»: عرائن.
(٦) في «أم القرى»: لبني معد كلُّ حصنٍ شامخ.

أرض بها للطّيّبينَ مآثرٌ ... ومفاخرٌ ومعالمٌ وطلُولُ
تحوي من الأمجاد كلَّ غضنفرٍ ... دَمِثِ الطباع وإنه لنبيلُ
ولقد بدت[١] قِمَمُ الجبال كأنها ... سُحبٌ بوارقُ تعتلي وتَهُولُ
فرجعتُ لِلرّكب الكريم مُسائلاً..! ... أهناك يا صَحْبي الهَنَا الْمَأْمُولُ؟
فأجابني الحادي وقال بنغمةٍ ... تُشفي وفي ترجيعها تهليلُ
هذا (طُوَيقٌ) يا مُعنّى إنه ... طودٌ لَديهِ للكرام قبيلُ[٢]
جَبلٌ عليه (للسُّعود) كواكبٌ ... لا يعتريها في الزمان[٣] أُفُولُ
فأجبتهُ: والجسمُ أنهكهُ السُّرى ... حتى بدا وكأنه[٤] عُثْكُول
إني سأعقلُ[٥] في حِمَاه مَطِيّتي ... ولسوف أمكثُ في الحِمى[٦] وأُطيلُ
ماذا عَلَيَّ إذا اختلستُ من الهوى ... شطرَ الهناء ومِقْوَلي محلولُ
فلأنشقن من (الصبَّا النَّجدي) في ... (كَنفِ الرِّيَاضِ) وللحَمامِ هديلُ
حيّ (الرِّياض) وَسَاكنيهَا إنَّها ... في الرَّبعِ كهفٌ للأسُود وغيلُ[٧]
قف (بالرياض) مسلِّمًا ومرحِّبًا ... وأنخ مطيَّك فالهنا مكفُولُ
وانشد قصيدةَ (سيِّد المغنى) وقل ... مرحى فمجدُكَ (يا إمامُ) أثيلُ
مَلِك لِعزّ العُرْبِ ذَا قُطبُ الرّحى ... وبه الأمَانِي عُلِّقتَ والسُّولُ
يا سيدَ المغنى فدتك حشاشةٌ ... تهفو إليك، وللدموع سُيُولُ

---

(١) في «أم القرى»: حتى بدت.
(٢) في «أم القرى»: طودٌ به للمكرماتِ قبيلُ.
(٣) في «أم القرى»: في الدهور.
(٤) في «أم القرى»: حتى استبان كأنه.
(٥) في «أم القرى»: إني لأعقل.
(٦) في «أم القرى»: أمكث بالحمى.
(٧) بعد هذا البيت في نص «أم القرى»:
حيّ (الرياض) وساكنيها إنهم ... فتيانهم حازوا العلا وكُهولُ

يا حاملاً علم الشريعة مُختّمِ　　باللّه، أنت المِخْذَمُ المصقول

من مبلغٍ عني الذين تمرغوا　　في أربع الآثام وهي مُحُولُ

أمست ثُباتُ البغي وهي شرائد　　وهنّا عليها الكارثاتُ تغولُ

هذا رسول الهول سال لُعابه　　سُمّاً، وغولُ الجائحات يصُول

فقد انْهوى رُكْنُ الضّلالةِ واختزى　　طَغْمٌ لئيمُ الطبع وهو ذليل

صُنْ بيضةَ الدين الحنيف بعزمةٍ　　قُصوى..! فأنت لما تقُول فَعُولُ

العربُ قومُك في الكِفاح بواسلُ　　وهُمُ ليوث في الوغى وفحول

كلٌّ بدا شاكي السلاح مُمَنطقًا　　بالعزمِ والرّأي السّديدُ دليل

شُمّ الأنوفِ إلى النِّزالِ تواثبوا　　لا يعتريهم في النِّضال خُمُول

لا يرتجون سِوَى رِضاكَ وكلُّهم　　من دينِ أحمدَ وُرَّدٌ ونُهُولُ

(٦)

حَوْلَ أَبَي قُبَيْسِ

أَمَانِيَّ قومي، والرجاءُ عَزَاءُ … وروحي بها حُبٌّ لهم وولاء
فَنيتُ ولم يَنْضبْ زُلالُ عَزيمتي … وما عشتُ إلا والدّواءُ فِدَاءُ
فما ضَرَّ سَقْمَ الجسمِ والبأسِ أيدٌ … وَبَين ضُلُوعِي للطُموحِ وِعَاءُ
أُكَفِّرُ بالأهوالِ ما نَالَ عزمتي … من الطيشِ قِدْمًا والهُيَام قُبَاءُ
أُغازِلُ آمالَ الشَّبَابِ بِنَغْمَتِي … وفي القلبِ من عزمِ الشَّبَابِ ضِيَاءُ
أُسَجِّلُ أمْرِي للجهادِ وَلَم تَجُرْ … بِيَ الهمةُ القَعْسَاءُ وَهِيَ وَفَاءُ
على كلِّ فَرْدٍ للعروبَةِ وَاجِبٌ … عظيمٌ وسَعْيُ المخلصين دوَاءُ
سأبذُلُ للأوطانِ روحًا عزيزةً … عليَّ سَأَسْخُو مَا أُريدَ سَخَاءُ
وأسْكُبُ من دَنِّ الشُّعُورِ سُلافَتِي … وأغْرِسُ غَرْسًا مُجْتَنَاهُ إِخَاءُ
وَأَدْعُو إلى صَرْحِ العُرُوبَةِ أُمَّتِي … وَأرفَعُ صوتِي وَالْوِفَاقُ لِوَاءُ
(حِمَى العُرْبِ) دَارٌ لا يُذَلُّ حُمَاتُهُ … ومنهمُ سَمَا مجدٌ له وَبَهَاءُ
هُمْ الصِّيدُ غُرٌّ لا يُبَاحُ ذِمَارُهُمْ … وَدُونَ أمَانِي الكَاشِحِينَ شَقَاءُ
كَفَى العُربَ فَخْرًا بالسُّعُودِ فإنَّهُمْ … شُمُوسٌ بأرْجَاءِ الحِمَى وَسَنَاءُ
إذا كنتَ مِنْ (عدنَانَ) فاحفَظْ حُقُوقَهُم … فما الحِقْدُ إلا نكبةٌ وَعَنَاءُ
ذَرُوا (يَا بَني عَدْنَانَ) كُلَّ ضَغِينَةٍ … وَسِيرُوا جَمِيعًا فَالشَّتَاتُ بَلاءُ
وَلَبُّوا بحامِي البَيْتِ آمالَ قومِكُمْ … فإنَّ كَلامَ المُغرِضِينَ هُرَاءُ
فَمَن رَامَ عِزًّا (فَالجزيرةُ) موئلٌ … منيعٌ لَه (عَبْدُ العزيزِ) رَجَاءُ
إذا احتدَمَتْ في الرأس ذِكراهُ خِلْتَنِي … مَليكًا لَهُ بَيْنَ النُّجُومِ خِبَاءُ

وأبناؤه الشُّوسُ الميامينُ حَوْلَهُ ... عليهم من الخُلْقِ النبيلِ ثَرَاءُ
هم المُثُلُ العُلْيَا لكلِّ فضيلةٍ ... وهم للعلا في الخافقين حِمَاءُ
إذا شئتَ أن تتلوَ النبوغَ صحائفًا ... فدونَكَ أسفارٌ لَهُ وَجَلاءُ
أولئك لم تلقَ البسيطةُ مثلَهُمْ ... وهم لِقلوب الصَّامِدِينَ ذَكَاءُ
فسِرْ بالمطايا نحو (مَكَّة) واجتنب ... من الزّورِ قولاً قالَهُ السُّفهاءُ
وَكَبِّرْ وَطُفْ وَاهرَعْ إلى السَّعي مُحرِمًا ... فَفي (الْبَيْتِ) من كبتِ الضَّمير شِفَاءُ
وبَادِرْ إذا ما قُمْتَ بالفَرْضِ ضَحْوَةً ... إلى كَوْكَبٍ ترنولهُ الزُعَمَاءُ
إلى (فيصل الحامِي) تُراثَ جُدُودِهِ ... فما هو إلا لُجَّةٌ وَسَمَاءُ
فإنَّك إنْ حادَثْتَه خِلْتَ ناسِكًا ... له في قَرَارَاتِ النُّفوسِ دُعَاءُ
وإن لَحَظَتْ عيناكَ بسمةَ ثَغْرِهِ ... أصابَك منه جَذْبَةٌ وَجُذَاءُ
هو العبقريُّ الثاقبُ الرأيِ وَالحجى ... وفيه مُحَيّاً زَاهِرٌ وَرُوَاءُ
يكيِّفُ أمْيَالَ الشبيبةِ نُطْقُهُ ... وقد عجزَتَ عن نعته الشُّعَراءُ
أميرٌ نَمَتْهُ للعروبةِ عُصْبَةٌ ... إذا دُوِّنوا يومًا هُمُ الْعُظَمَاءُ
هو الحازمُ الداعِي لكل فضيلةٍ ... ومن صوته بين القلوبِ صَدَاءُ
تَحُومُ حَوَالَيْهِ النُّفُوسُ كَأنَّهُ ... غَديرٌ زُلاَلٌ وَالنُّفُوسُ رِعَاءُ
هو الدوحةُ الفُرعاءُ فينانةُ السَّنَا ... ومن ظِلِها للمخلصين فِناءُ
فلاَ عَجَبٌ إذْ إنه شبْلُ ضَيْغَمٍ ... وقد شاقَه للمكرمات غِنَاءُ
أجل إنه روحُ الشبابِ وعقلُهُ ... بقومٍ لهم في المكرمات نَمَاءُ
أيا ابن إمام المسلمين ففي الحِمى ... طَلائعُ منها للجهادِ مَضَاءُ
فشَيِّدَ بكفيكَ البنَاءَ وَسُدْ عَلَى ... رؤوسِ العِدا واحْكُمْ ففيك كَفَاءُ
وَوَطِّد عروشَ العِلْم وادَفَعْ لِوَاءَهُ ... فإنكَ من ذُلِّ الجُمُودِ بَرَاءُ
وألِّفْ جُموعَ العربِ في كلِّ موطنٍ ... فإنَّ فِعَالَ الخائنين هَبَاءُ

فذي (مِلَّةُ الإسْلاَم) أنتم حُمَاتُهَا ... وقبلكُمُ أوْدَتْ بها البُرَحَاءُ
وأنتم سيوفُ اللَّه لِلَّه سعيُكم ... وأنتم لُبَابٌ والأنامُ لِحَاء
فلِلَّه يا غرسَ الفضائِل هذه ... مآثِرُكم حسنٌ لها وَنَقَاءُ
فكم من عُيونٍ أُشْبِعَتْ من جَمَالِهَا ... وفي الأرض منها رَوْعَةٌ وَصَفَاءُ
فَتَحْتُمْ لنا نُجلَ العُيونِ مِن الكَرَى ... وكان بها بين الوَرَى الإغْفَاءُ[1]
ولا زلتُمُ والاتِّحَادُ شِعَارُكُمَ ... ولِلْعُرب منكم عِزَّةٌ وإبَاءُ
وأطفأتُمُ نارَ الضَغَائِنِ بالظُّبى ... وطورًا بلينِ والحِجَى وَضَّاءُ
فيا (حارسَ البَيْتِ) المُطَهّر هذه ... صنائِعُكم لِلصَالِحينَ وِقَاءُ
حَمَيْتُم (مَغانِي الْعُرْبِ) عن كلِّ غاصِبٍ ... وشَيَّدتُمُ مَجْدًا لَهُ الْخُيَلاَءُ
سَقَى اللَّه (مَغْنَى الْعُرْبِ) وطفاءَ دِيمةٍ ... من الغيثِ وَانْسَابَتْ عليهُ ذكاءُ[2]
وألبسَهَا ثوبًا قشيبًا مزخرفًا ... بكلِّ جمالٍ والجَلاَلُ رِدَاءُ
فِدَى الوطن الميمون قَلْبِي ومُهْجَتِي ... وآخِرُ ما بالنَّفس وهْوَ ذِمَاءُ[3]
مغانٍ بِهَا الأفكار فُجِّر نَبْعُهَا ... ومنها بأرجاءِ الحِمَى لألاءُ
لها مَنْظَرٌ يصبو لَهُ كلُّ طامِحٍ ... وتعنُو له الأبطالُ والدُّهَمَاءُ
ففي كل شِبرٍ للفضائل والتُّقى ... معاهِدُ فيها نِعْمَةٌ وَرَخَاءُ
فذي جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ يا حَبَّذَا بِهَا ... نعيمٌ وعيشٌ هَادِئٌ وَزَكَاءُ
وفيها من الصيدِ الْغَطَارِفَةِ الأُولَى ... لَهمْ في سِجِلاّتِ الخُلُودِ بَقَاءُ
وفيهِمْ زَهَا عرشُ الشَريعةَ وانتشى ... ولِلعرب مِنهم عُصْبَةٌ كُرَمَاءُ
فعش (فيصَلاً) عَضْبًا صقيلاً غِرَارُهُ ... وفِكْرًا به لِلْمُشْكِلاَتِ دَهَاءُ

(١) جاء عجز هذا البيت هكذا في الأصل، وهو غير مستقيم وزنًا.
(٢) الذُّكاء: الشمس.
(٣) الذماء: هو بقية النفس أو قوة القلب.

(٧)
في مُرِّ الظَّهْرَانِ[١]

أو ما يسمى اليوم «وادي فاطمة»، حيث أقيمت أول ذكرى لجلوس الملك عبد العزيز على عرش المملكة العربية السعودية، وقد حضر هذه الحفلة لفيف من كبار الكاتب والصحفيين والمقربين، وألقيت هذه القصيدة في ذلك اليوم في سرادق الاحتفال في مر الظهران.

هَيَّا إلى البيتِ وانظُرْ في الحِمى عَجَبًا ... يا عاشقَ المجدِ، وَاقْرَأْ دونَك الكُتُبَا
قِفْ هَا هُنَا واتلُ سفرَ العزِّ مرتجلاً ... لحنًا يمزِّق عن مغنى العُلا الحُجُبا
حَي العروبةَ بالعيدِ السعيدِ فَقَدْ ... أمسى به الوَرْدُ حلوًا شَيِّقًا عَذِبًا
وَلْيَقْضِ كُلُّ خليلٍ من لُبَانَتِهِ ... لكِنَّني ما قضيتُ اليومَ لي أَرَبَا
ومِنْ هَوى الظبيةِ العفراء فَاتِنَتِي ... حُرِمْتُ طيفَ الكرى والجسمُ قَدْ شَحُبا
حَبِيَبةٌ بفؤادِي حُبُّها عَرِمٌ ... كريمةٌ وَهَبَتْ للمجدِ مَا طَلَبَا
رَشيقَةُ القدِّ إلا أنَّ مبسَمَهَا ... أضنى من السُهدِ طرفًا دمعهُ سُكِبَا
أثيلةُ المجدِ في سفرِ الخلود لها ... سَطرٌ من النورِ يحْكي ضَوْؤُهُ اللَّهَبَا
مِنْ صُلْب عدنانَ باري الخلقِ سَلْسَلَهَا ... واللَّه كَمَّلَ فيها الخُلُقَ والأَدَبَا
هي اللُّبَابُ بدُنيا الناسِ قاطبةً ... بَذَّتهُمُ في ميادينِ العُلاَ حَسَبَا
فَلِلْحَقَائِقِ آياتٌ إذا تُلِيَتْ ... على المنابرِ ضجَّ الكُونُ واضطَخَبا
إذا ذَكرتَ شُعُوبَ الأرض أجَمَعَهُم ... فأمةُ العُربِ كانت للورى قُطُبَا
لها (الجزيرةُ) كهفٌ لا يَذِلُّ بهِ ... مستَنْجِدٌ لاَذَ، أو مُسْتَرْفِدٌ رَغِبَا
بقلبِ كلِ كَمِيٍّ من مآثِرِهَا ... حُبٌ تغلغلَ في الأرواح وَانْسَرَبَا

(١) نشرت هذه القصيدة في جريدة «أم القرى»، العدد (٢٦٦) في ١٣ من شعبان ١٣٤٨هـ.

طَلائعُ المَجْدِ تَتْرى من مرابِطِها ... وفي الحِمَى من سَناءِ المجدِ ما خَلَبَا
فَلْيَعْلَمِ الناسُ أنّ العربَ ما وهَنوا ... وفارسُ العربِ من نَبْعِ العُلاَ شَرِبَا
وليهنأ العربُ إنَّ السَّعْدَ حالَفَهُمْ ... وبالسُّعُودِ سِرَاجُ العزِّ قَدْ نَتَبَا[1]
إذا سمعْتَ بأنَّ الأُسْدَ واثبةٌ ... فاحْسِبْ حِسَابًا وعدَّ الكُمَّلَ العَرَبَا
واخشَعْ بدَوْرِكَ إجلالاً إذا تُلِيَتْ ... كُتْبُ المكارمِ واسمعْ جَلبةَ الخُطَبَا
إني ليأخُذُني فخرٌ تخلَّلَهُ ... شَوْقٌ تَشَعْشَعَ في الأفكارِ وَالتَهَبَا
شَمّرْ إلَى (الْفَاتِحِ الْمَنْصُورِ) مُبْتَهِجًا ... وصافِحَنْ كَفَّهُ واستَلْهِمِ الأَدَبَا
مُزْجِي الكتائبِ أرْسَالاً يُحَشِّدُهَا ... لِلعزِّ في حَلْبَةِ الهيجاءِ ما غُلِبَا
قد ثَقَّفَ اللّهُ فيه العقلَ من صِغَرٍ ... فكان تدْبيرُهُ لِلمُرْتَقَى سَبَبَا
بِجِدِّهِ انْدَمَلَ الجُرْحُ القديمُ وَلَمْ ... يطلُبْ على فِعلِهِ دُرّاً وَلا ذَهَبَا
للّه، للوطنِ الميمونِ مربَعُهُ ... تحمَّل العِبْءَ والآلامَ والنَّصَبَا
شِعارُهُ الدينُ والإخلاصُ رائِدُهُ ... يَدْعُو إلى الحقّ أنّى حَلَّ أوْ ذَهَبَا
يُحْيي الليالي يُحِيكُ البُرْدَ أنمُلُهُ ... بُرْدَ العُلا ويُعِدُّ البيضَ وَالْقُضُبَا
وَيَرجُمُ الزَّيْغَ بالرأي الحكيمِ وقَدْ ... يَبيتُ ليلَتَهُ لا يعرِفُ التَّعَبَا
يَقْضِي الحقوقَ بِلاَ وَهْنٍ وَلاَ خَوَرٍ ... وَمَا تَألَّمَ من خَطْبٍ وما غَضِبَا
يسمُو وغضبَتُه للحقِّ ساحِقَةٌ ... يا ويحَ مَنْ شذَّ في التضليلِ أوْ كَذِبَا
المسلمونَ بكلِّ الأرضِ إخوتُهُ ... وليس يَطْمَحُ في أن يَحْجُرَ الرُّتَبَا
سَمَا فَأَوْرَى زِنَادَ الأذكياءِ ضُحىً ... وَلَجَّ في طلبِ العَليا وما نكبا
تحيَّر الناسُ في مَجْرَى مواهِبِهِ ... حتى تناقَضَ فيه الرأيُ وَاضطَربا
وفي المَغَاوِيرِ أسرارٌ مطلْسمةٌ ... وقد تناقَض فيها الفكرُ وانْشَعَبَا

(١) نتب: نشأ.

له من الخُلُقِ السَّامِي تَمَائِمُهُ ... ومن تَعَاوِيذِه مَا أسْهَرَ الأُدَبَا

سرى يَشُقُّ الدُّجى والناسُ في سِنَةٍ ... ومنبعُ العزمِ فيّاضٌ فما نَضَبَا

هو المَنبِّهُ والأفكارُ نائمةٌ ... للدينِ، والنورُ عند الغافلين خَبَا

فإنَّهُ الصارِمُ البَتَّارُ مُنْصَلِتًا ... وإنَّهُ السلسبيلُ العذبُ مُنْسَكِبَا

أجل فما لِجَمَالِ العِزِّ من وَطَنٍ ... إلاَّ بِهِ وَإِلَيْهِ العِزُّ قَدْ دَأَبَا

الشرعُ خيمتُهُ، والعفُو صَوْلَتُهُ ... والفضلُ صَارَ لَه بَيْنَ الوَرى طُنَبَا

والعدلُ رَايَتُهُ والحِلْمُ لامَتُهُ ... والنُّصحُ شَارَتُهُ لا يَحمِلُ الرِيَبَا

وَابْنُ الْبَدَاوَةِ أمسى من مكارِمِهِ ... لا يشتكي في الحِمَى ضَيْرًا ولا سَغَبَا

أعَفُّ ذِي مِقْوَلٍ مَا إنْ تُخَاطِبُهُ ... يَلْقاكَ مُبْتَسِمًا حَتْمًا وَمَا صَخَبَا

سَمْحٌ جَوَادٌ فما أضْفَى نَوافِلَهُ ... طويلُ بَاعٍ نَسِيجُ السِّرْبِ مَاكَرِبَا

وَإنَّه من سيوفِ اللَّهِ أضْرَمُها ... زَاكِي الأَرُومَةِ قَادَ الجَحْفَلَ[1] اللَّجِبَا

به اسْتَتَبَّ مِساكُ المُلْكِ مُنْعَقِدًا ... وفيه أمسى عِمَادُ الدينِ مُنْتَصِبَا

كانت عُرَا الشِّرْعَةِ السَّمْحَا مُجَذَّمَةً ... لكِنَّهَا أُحْكِمَتْ وَالْمَجْدُ مَا غَرَبَا

كانت روابطُ هذا الشعبِ واهيةً ... إذا بنا لا نرى وَيْلاً ولا حَرَبَا

كانت قُوَى العلمِ والأخلاقِ خَائِرَةً ... إذَا بِنَا لا نرى وَهْنًا وَلاَ وَصَبَا

قد أبْرمَ النَّدْبُ للمغنى مَرَائِرَهُ ... من بعد مَا انتَكَسَتْ دَهْرًا وَمَا جدبا

إن الفضائلَ هذا اليوم زَاهيةٌ ... بكلِّ أروع بيّنٍ للسّادَةِ النُّجُبَا

إن العروبةَ لا تعيَا عزائِمُهَا ... إذْ إنَّها اتَّخذَتْ عَبْدَ الْعَزِيزِ أبَا

فَلْيَرْتَقِ العرشَ وَلْيخمِ الذّمَارَ فَقَدْ ... أضحى التنكُّبُ عَن ميدانه تَبَبَا[2]

---

(١) الجحفل: الجيش الكثير.

(٢) تَبَبًا: خسارة وهلاكًا.

مَتَوَّجٌ من صميمِ العربِ نِسْبَتُهُ ... وهو الذي ما وَهى عَزْمًا وَمَا تَئِبَا[1]

أقوَى الرجالِ إذا شذَّتْ إرادَتُهُ ... أمامَ عَزْمَتِه الحُسْنَى ارْعَوَى وَكَبَا

والفحلُ في الناسِ[2] مَنْ تَسمُو مبادئُهُ ... حتى يُشابَهُ[3] في أفعَالِه الشُّهُبَا

يُذِيبُ مُهْجَتَه في نفعِ أمتِهِ ... ويبتَغي لسبيلِ المُرْتقى السَّبَبَا

لا تَطَّبيهِ إلى الأهواءِ آمِرَةٌ ... بالسُّوءِ، والقلبُ للعلياءِ قَدْ وثَبَا

إذا دَعَا[4] فكأنَّ الأمْرَ عَاصِفَةٌ ... هبَّتْ لتَعْصِفَ حِزْبًا بالوَنَى خَرِبَا

وإنْ تواضَعَ كان اللُّطفُ مَبْسِمَهُ ... كأنما هو رَوْحٌ يَنْثَنِي طَرَبَا

رَنَا إلى المَلأ الأعْلَى فهيَّجَهُ ... شوقٌ فهبّ إلى العَلْيَا وَمَا رَهَبَا

لا بُدَّ للشعبِ إنْ قامتْ قيامتُهُ ... لِلْمَجْدِ في المُرتَقَى يَسْتَسْهِلُ الصَّعِبَا[5]

فأُمةٌ عرفت معنَى التَّقَدُّمِ لَمْ[6] ... تَبْخَسْ نوابغَها حَقًّا، ولا الأدَبَا

وأمةٌ حَلَّ فيها الجهلُ فانْخَذَلَتْ ... بين البريةِ، أمْسَتْ لِلْوَرَى ذَنَبَا[7]

فلينهضِ العُرْبُ حتى لا يُرى أحَدٌ ... إلا وَيَنْفُضُ عنه الوَهْنَ وَالرِّيَبَا

ولينظروا شِيَمَ الأجْدَادِ مَا فَعَلَتْ ... حتى يسيحوا إلى أمْجَادِهم خَبَبَا[8]

وَلْيَهْنَأوا إن يَوْمَ الْعَرشِ فَاتِحَةٌ[9] ... لِنَهضَةٍ صَرْحُهَا بِالنُّورِقَدْ خُضِبَا

فَلِلأُبَاةِ[10] أنَاشِيدٌ وَغَمْغَمَةٌ ... وَاللَّيْثُ أمْسَى لِعَرْشِ الْعُرْبِ مُنْتَدِبَا

---

(١) تئبا: خزي (القاموس - مادة وأب).

(٢) في «أم القرى»: والفحلُ في الكون.

(٣) في «أم القرى»: حتى يضاهي.

(٤) في «أم القرى»: إذا اعتلى.

(٥) البيت في «أم القرى»:

لا بد للشعب إن قامت نوابغه ... من التقدم حتى يمتطي الصعبا

(٦) في «أم القرى»: فأمةٌ عرفت معنى الحياةِ فلم.

(٧) في «أم القرى»: حتى تردّت فأمست للورى ذنبا.

(٨) خببا: مسرعين.

(٩) في «أم القرى»: وليهنأوا إن (عيد العرش) فاتحة.

(١٠) في «أم القرى»: وللأباة.

إني أهنّي بني عدنانَ قاطبةً ... على العُلا وَأُؤَدّي اليومَ مَا وَجَبَا

اللّه يشهدُ أنَّ الأرضَ مَا شَهِدَتْ ... كَشَعْبِ عَدْنَانَ شَعْبًا لِلْعُلا أَلبَا[1]

هُمُ الأُسودُ بساحاتِ الوَغَى وَهُمُ ... لِلْعِلْمِ والفنِّ قَوْمٌ دَوَّنُوا الكُتُبَا

دَالَ الزمانُ وللعَلْيَا جَبَابِرَةٌ ... والسيفُ للحقِّ[2] مَا يَوْمَ الطِّعَانِ نَبَا

قَدْ أرْجَعَ اللّهُ لِلأَوْطَانِ زَهْرَتَها ... بِسَيِّدٍ في حُقُوقِ الْعُرْبِ مَا دَعَبَا[3]

الشِّعْرُ قَيْثَارَةٌ والعقلُ رِيشَتُهَا ... والقلبُ فيه من الأَوْتَار مَا سَلَبَا[4]

إليكَ يا قُطُبَ العُرْبِ الأباةِ أَتَتْ ... خَرَائِدُ الشِّعْرِ من قلبٍ لَهَا تَعِبَا

أَلِيَّةً بالَّذِي أَحْيَتْكَ قُدْرَتُهُ ... لَسَوْفَ أمكثُ عُمْري[5] أَخْدِمُ الْعَرَبَا

إذا ذكرتُك يا (عَبْدَ الْعَزِيزِ) سَمَا ... رُوحي إلى الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَاقْتَرَبَا

لبَّيكَ يا مَلِكَ المَغْنَى وأبْرَكَ مَنْ ... لَبَّى وطافَ وأدَّى الفرضَ واحتسبا

في القلبِ عرشُك لا فوقَ الأَسرَّةِ أَوْ ... عَلَى الطَّيَالِسِ فَارْفَعْ بَيْنَنَا الطلَبَا[6]

وَلَيْسَ[7] عرشُكُ من دُرٍّ ومن ذَهَبٍ ... لكِنَّ عَرْشَك قَلْبٌ يَخْضُدُ النُّوَبَا

فَدُقَّ[8] في كَوْكَبِ الشِّعْرِي اللِّوَاءَ ضُحَى ... وَاقْذِفْ إِلَى الْمَجْدِ شَيْمًا لِلْعُلا نُسبَا[9]

فَاهْنَأْ وَعِشْ مُنْقِذًا لِلْعُرْبِ كُلِّهِمُ ... وَأْمُر وَسُدْ لاَ تَرَى هَمّاً وَلاَ نَصَبَا

---

(١) ألبا: متجمعون متضافرون.

(٢) في «أم القرى»: والسيف باللّه.

(٣) مادعبا: ما فرح (والدُّعابة والمداعبة هي الممازحة).

(٤) هذا البيت في نص «أم القرى» يأتي بعد البيت التالي، وأوله: فالشعر.

(٥) في «أم القرى»: أمكث دهري.

(٦) بعد هذا البيت في نص «أم القرى»:

لبيك فالعهد منا حين تطلبه ... شعب تلاءم للأرواح قد وهبا

(٧) في نص «أم القرى»: فليس عرشك.

(٨) دُقَّ: ثبت.

(٩) بعد هذا البيت في نص «أم القرى»:

وانسف جبال العدا نسفًا فأنت لها ... وزلزل البغي حتى لا نرى شغبا

فأنت أولُ من لم الشتات ومن ... نزا وأولُ مَلْكٍ للعُلا خَطَبا

فلينشدِ العُرْب قد عزَّت مرابعهم ... باللّه ثم بمن في سعيه رَتبا

(٨)
يوم الظَّفَرِ الأَخيرِ[١]

كان الشاعر في مكة المكرمة، وقد هتفت البرقيات حول الحرم، بانتصار الملك على العصاة، وقطع دابرهم، فأقام سمو الأمير فيصل ذكرى الانتصار في قاعة المحكمة (الحميدية) حول الحرم، وتحت أبي قبيس، فأنشد الشاعر هذه القصيدة وهي (يوم الظفر الأخير) وقد نشرت في جريدة أم القرى الغراء.

تَجلّى سَناءُ الحقِّ وانبلجَ الصبحُ ... ومُزِّقَ جُنحٌ للدُّجى واختفى جُنحُ

وأشرق مغنى الغربِ بالنورِ لاهجًا[٢] ... بفتحٍ لدينِ اللّه من بعده فَتْحُ

ذَرِ الشَّكَّ واسألْ عن مطايا أحِبَّةٍ ... أهازيجَ بِنْتِ الرّيحِ[٣] حيث اكْتَمى الجُرْحُ

فقد طار حاذي البرقِ من منتهَى الحِمى ... إلى البيتِ حتى هَبَّ من سِلْكِه نَفْحُ

وسار مسيرَ الريحِ في الرَّبعِ[٤] حادِثٌ ... كأنَّ نِدَاهُ في عُقول الوَرى قَدْحُ

أَبى اللّه إلا أن يؤيدَ حِزْبَهُ ... وللّه حزبٌ أيِّدٌ والحِمى صَرْحُ

فمن يخبرُ (الجابَانَ) عنّي و(لَنْدَنا) ... وَ(بَاريسَ) و(الأمْريكَ) إذْ زُعزِعَ الزَّلْحُ[٥]

بأن لِنَصْرِ الدين في الشرقِ أمةً ... لها في طريق المجد من نفسِها فَسْحُ

وأن بأرجاءِ[٦] الجزيرةِ عصبةً ... لها (العروة الوثقى) على نحوِها تَنْحُو

---

(١) نشرت في جريدة «أم القرى»، العدد (٢٧٠) الصادر في ٨ رمضان ١٣٤٨ تحت عنوان: «تجلّى سناء الحق وانبلج الصبح».

(٢) في «أم القرى»: وأشرقت الدنيا بنورٍ مُوَهَّجِ.

(٣) في «أم القرى»: مطايا بنات الفن.

(٤) في «أم القرى»: وسار كمسرى الريح في الكون.

(٥) الزلح: الباطل.

(٦) في «أم القرى»: وأن بأنحاء.

فوالله ذي يا قوم أمةُ يعْرُبٍ فغُضُوا لها الأبصارَ من خشيةٍ وَاضحُوا
أهاب بها (عبدُ العزيز) وقادَهَا إلى ذِرْوَة العَلْياءِ وَاسْتُؤْصِلَ الْبَرْحُ[1]
وَدَقَّ على أعلى النُجُوم دِرَفْسَهُ وقد كان في الهيجاءِ من عَزْمِهِ[2] دَوْحُ
سَمَا وامتطى في ساحة المجد قِمَّةً وشدَّ كِفاحًا حيث دَكَّ الْعِدَا[3] رَنْحُ
فما نظر الباغونَ حتى تهافَتُوا من الرُعبِ والأَهْوَالُ من دُونها الصَّبْحُ
من (البيتِ) حتى (الرافدين) مَعَالِمٌ كَأَنَّ عظيمَ القوم بين الحمى ضَحُّ
يُزَجِّي زحوفَ الدارعين غضنفرٌ إذَا قال قَولاً جُرِّدَ السيفُ والرمحُ
فقد عَمَي الأعرابُ من منهج الهُدى وضلوا، فلم يجدِ التَّحَنُّنُ والنُّصْح
لهم من خطوب الأَمْسَ في الدهر عبرةٌ ولكنَّهُمْ آبوا يُمَزِّقُهُمْ فَدْحُ
فهذا (....) الشرُّ يركبَ رَدْعَهُ ودُيِّث بالإِهْوَانِ واستَفْحَلَ الْجَوْحُ
وتلك فلول الخائنين شرائدٌ فمِنْ مُرغَمٍ يهوِي ومَنْ حَظُّهُ الذَّبْحُ
أجل علَّم الدنيا عزائمَ يَعْرُبٍ مليكٌ ويوم الحق مُبْتَهِج فُصْحُ
فما بعد هذا اليوم للغشْمِ صَوْلَةٌ فيا خيبةَ الأوغادِ وَيْحٌ لَهُمْ وَيْحُ
ويا حُرَقًا[4] تُذَكِي قُلُوبًا عَرفتُهَا فقلت: بلى واللَّهِ لاَ يُفْلَحُ الْفَلْحُ
فيا ساكني أرض (....)[5] وحولها أسائلكم باللَّه هَلْ بَعْدَ ذَا شَرْحُ
ويا وَارِدِي (ماءَ الفُراتِ) عَدِمْتُكُمَ من النَفَرِ الباغين هل عندكم فُصْحُ
ويا سَاكِنِي أرض الجزيرة دونكم تهانيّ إن الربعَ رافقه النُجْحُ
فهذي المغاني خَيَّمَ الأمنُ فوقَهَا وفي كل صَقْعٍ من لذيذِ المُنى فيحُ

---

(١) البزح: الشرُّ.
(٢) في «أم القرى»: من بأسه.
(٣) في «أم القرى»: حيث هدّ العدا.
(٤) في «أم القرى»: ويا حرقة.
(٥) في «أم القرى»: فيا ساكني أرض (الكويت).

فَقُم يا فتى عدنان وانْشدْ قصيدةً ... على الوتَر الحسَّاس مَا انْبَثَقَ الصُّبْحُ

فَغَنِّ وقل للّه أمة يعربِ ... لَكِ الرُّوحُ والريحانُ والقلبُ والرَّوْحُ

وقُلْ للأولى قد خَامَرَ الحِقْدَ رهْطَهُمْ ... أفيقُوا فلا ماءٌ لديَكم وَلاَ ضَيْحُ

وَإِنْ شِرَارًا في الجزيرة كُبِّلُوا ... شَوَاهُمْ من النِّيرَانِ يَوْمِ الوغَى لَفْحُ

وعادوا حَيَارَى يمضغون لحومَهُمْ ... من الغيظِ والأحْشَاءُ في طَيِّهَا بَرْحُ

هُمْ لُبِّسوا[١] بُرْدًا من الخِزْيِ أسودًا ... وبُردٌ على مَن فَرَّ مُسْتَبْشَعٌ قَلْحُ[٢]

أولئِكَ لو سَارُوا على مَسْلَكِ الهُدى ... لَمَا نَابَهُمْ مَا نَابَ أَوْدَاهَم القَرْحُ

وَلَكِن أبَوْا إلا الْعُتُوَّ فَشُرِّدُوا ... وَهيضُوا عَيَانًا بعد أن مَضَّهَمْ كَدْحُ

ألا إن غِبَّ البَغْي مَوْتٌ وَهُلْكَةٌ ... وحزنٌ طويلٌ مَزْجُهُ السُّمُّ وَالقَيْحُ

فيا مَلِكَ الْمَغْنَى وَيَا خَيْرَ وَاثِبٍ... ... إِلَى الْمَجْدِ حتى ازْدَانَ من مجدِكَ الْبَذْحُ[٣]

ويا مُوقِدًا نَارَ (السُّعُودِ) لِطَارِقٍ ... بِمُعْتَكَرِ الظَّلْمَاء والنَّاسُ قَدْ شَحُّوا

فَحَوْلَكَ أشْبَالٌ مَيَامِينُ كُلُّهُم ... فوارسُ هيجاءٍ، قساورةٌ سُمْحُ

فهذا الذي يُرْدى العداة حسامُهُ ... (سُعُوْدٌ) ولي العهد والضَّيْغَمُ السَّمْحُ

وحارسُ بيتِ اللّه والعِلْمِ والنُّهى ... بأُمِّ الْقُرَى الشَّمَّاءِ وَالْفيصَلُ الْفَصْحُ[٤]

وَ (آلُ السُّعُودِ) الأريحيين كُلُّهُمُ ... سَمَا في مَيَادِينِ الخُلُودِ لَهُمْ لَوْحُ

فَديتكُ يا ليثَ العُروبةِ إنني ... بِمَدْحِك لي عزمٌ وإنْ قَصَّرَ الْمَدْحُ

غَرِضتُ إلى لُقْيَاك والقَلْبُ خَافِقٌ ... مِنَ الشَّوقِ والإنْشَادُ رَدَّدَهُ الدَّوْحُ

نَمَتْنِي إليك اليومَ يَا سيدَ الحِمى ... أحَاسيسُ نَفْسٍ ضَاقَ عَنْ وَصفِهَا السُّنْحُ

أُهَنيكَ عِشْ عُمرًا طويلاً مُؤَيَّدًا ... فَإنَّكَ لِلْمغْنَى تَسَامَى بِكَ الْفَتْحُ[٥]

---

(١) في «أم القرى»: هُمُ ألبسوا.

(٢) قَلْحٌ: ذُلٌّ.

(٣) البذح: المطر.

(٤) الفصح: الفصيح، العالِم.

(٥) في «أم القرى»: فوجهك وضّاحٌ ومن ثغرك السُّنْحُ.

(٩)
بَعْدَ الْفُطورِ[١]

أدب الأمير فيصل مأدبة للفطور في شهر رمضان المبارك في قصره (غزة) بمكة المكرمة، وقد دعُي الشاعر لهذه المأدبة..!

وبعد الفطور أنشد الشاعر قصيدته هذه.

مِن رياض العُرب صَاد القلبَ طيفٌ ... أهْيفُ القَدّ إذا ماسَ يرفُ
ناعسُ الألحاظ معسولُ اللَّمى ... يسلبُ اللبَّ بنفسي منه لَهفُ
لا تلمني في الهوى يا لائمي ... إن داء الحبِّ للعشاقِ حتفُ
سلَ مَنِ انتاش الهوى يوم النوى ... قلبه إذ نَابَهُ وَهْنٌ وضعفُ
باتَ يذري الدمع في مَضجَعِه ... وتمادى وَلَه في المَهْدِ حسفُ[٢]
ويدَجْنِ الليلِ كم من زفرة ... صَعَّدْتها مهجتي والعيشُ ظفٌ[٣]
فلكم أرسلت في جنح الدجى ... آنَةً حرَّى ودمعي لا يجف
آهةٌ أرسلتها وهي كما ... ذهبت عاد لها في القلب عزف
وإذا أضوانِي[٤] الليل أتى ... من خيالي في الدّجى ضيف وضيف
كم أعُدُّ النجمَ والقلبُ ثوى ... خافقًا رهْقُه خَفقٌ ورجفُ
فإذا بالليل يُنضي سيفه ... فتهاوى من زنوج الليل كشف

(١) نشرت في مجلة الإصلاح الحجازية وفي جريدة أم القرى.
(٢) الحسف: الشوك.
(٣) الظف: العيش النكد.
(٤) أضواني: أهزلني.

فَتراءَتْ لِيَ أشباحُ الدُّمى   بعد أن جابهني في السير فيْفُ[1]

آهِ ما أحلى الُلقا إن اللقا   لي به من مَبْسَم الفتان رَشْفُ

إن حَولَ (البيت) كان الملتقى   فَاصْطَحَبْنا والتقى كفٌّ وكفُّ

إن هذا يا ابنَ قومي شادنٌ   داره العزُّ له العلياءُ كَهْفُ

قد تصافحنا على عَهْدِ الولا   وبقلبينا لمجْدِ العُرْبِ حِلْفُ

أنا إن هِمتُ به لا تَعْذِلُوا   مُغْرمًا بالبيتِ للمجد يَخِفُّ

و(بشهر الصوم) كم من وَقْفةٍ   في الحِمَى عُفِّر جنبَ البيت أنفُ[2]

رشفةُ من (زمزم) تبْرِي الضنى   كان لي منها بُعَيْدَ الرشْفِ رَوْفُ[3]

وفطوري (تمرةُ من يثرب)   بفمي منها قُبَيْلَ العيد وصْفُ

ورغيفٌ ساخن قد كان لي   أكلةُ تُشبعَ أو يرتاحُ جوفُ

(ذي ثلاثٌ) هي أحلى عند من   ذاق منها من طعام لا يُسَفُّ

من رأى في الحدس أني باخِسٌ   نِعمَ اللهِ لَهُ متيَ صَرف؟[4]

سِرْ إلى دار القِرَى في (غَزَّةٍ)   وامْلأ الجوف ولا يُضْنِيك خوف

إنَّ فيها سُفْرةٌ نَضَّدَهَا   كرمُ النفسِ، وللخيراتِ نزفُ

إنَّ فيها كوكبُ العُرْبِ الذي   كَفُّهُ بالجود رَطْبٌ لا يَجِفُّ

إنَّ فيها فيصلاً يا (فيصل)   للندى يُمْنَاك يا ابنَ العربِ وقف

ما رأت عيني دوامًا أحدًا   منكُمُ إلا له في الجود ضِعْفُ

لا فتى (طَيٍّ) يحاكي جودُه   جودَكم وابنُ (سِنَان) لا يُصَفُّ

---

(١) الفيف: المفازة لا ماء فيها.

(٢) عُفِّر: مُرِّغ بالتراب. وعفَّر أنفه بالتراب: مرَّغه تذللاً واسترحامًا لله وبخاصة بجانب البيت العتيق.

(٣) الرؤف: السكون.

(٤) الصرف: التوبة.

أنتم جددتُم عهدًا مضى … ولكم في الفضل غيثٌ لا يَكُفُّ
للعُلا شَيَّدتُم صَرحًا له … من قلوب الناسِ تَحْنَانٌ وزحف
إيه يا آل السعودِ الغُرِّ قَدْ … بَسَم الدهرُ بكم واهتز خِيْفُ(١)
أنتمُ آباؤكم أحيوا لنا … سُنَّةَ اللَّه وفيكم طاب خِلْفُ
في حمى (عدنان) والشُمّ الذُرا … أينعت أثماركم واخضرَّ نَعْفُ(٢)
يا ابن ملكِ العُربِ كم من أمةٍ … كان منها في جِوار البيت حَيْفُ(٣)
لَو سَألنا الأمسَ عن (أمّ القرى) … لجفا، إنّ جوابَ الأمسِ خسفُ
قد أرادَ اللَّه خيرًا فاصطفى … لحِماهُ الأسْدَ، والإسلام سقفُ
هذه الأرض التي باركها … بارىء الخلق و(لإبراهيم) كهفُ
رَبِّ أسكنت بواد عِترتي … غير ذي زرعٍ فمنك اللَّهُ لطفُ
لَكَ شكري يا إلهي إنني … لِيَ آلٌ لهُم في البيت سُجْفُ
وعدُك اللَّهمَّ حتمًا واقعٌ … ودليل الوَعدِ حامي البيت ثَقْفُ
إن حامي البيت ذا (عبد العزيـ … ـز) مليكٌ هو للإسلام سَيْفُ
وابنه الفيصل يكنى شرفًا … بأمين اللَّه مِغوارٌ وعَفُّ
بَحرهُ الزخَّارُ طامٍ طافحٌ … فُلْكُهُ في اللّجِّ مخَّار يَلُفُّ
مَرَّ شهرُ الصومَ باليُمن وقد … صمته للَّه والإيمان طوفُ
صمت بالبرّ وبالتقوى وما … أنت إلا صائمٌ لِلحَقِّ رِدْفُ
طرفُكَ اليقظانُ للأمن يُرَى … ساهرٌ يرعى إذا أُغْمِضَ طرفُ
أنت أيقظت بنا روحَ العُلا … إن تنبيه بني الإسلام عَزْفُ

(١) الخيف: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن ميل الماء.
(٢) النعف: الحد بين الحزن والسهل.
(٣) الحيف: الجور والظلم.

مَنْ أتى للغدر يُزجي ريحَه … جاءه نوءٌ له قصفٌ وعَصَفُ

ومَنِ الوُدُّ يحاذِي قلبَه … فله منك على الإخلاص عَطفُ

إن في البيت أناسًا سكنوا … جَنّة الحبّ وهم ودُّوا وعفُّوا

من (قريش) كَرُمت أحسابُهم … ولهم من جِدِّهم للمجد عُنْفُ

كلنا في دوحة واحدةٍ … جَدُّنا عَدْنَانُ والتوحيد عوْفُ

فليكن للعرب قلبٌ واحدٌ … وقلوب التاركين الحقَّ غُلفُ

أُمةُ الإسلام سيري خَببًا … كلُّ من شذَّ له حَذْفٌ وقذف

وَحَدي العُرْبَ بدينِ المصطفى … وثبي حقًا إلى العلياءِ يخف

واهتفوا جمعًا ليحيا مَلْكنا … وبنوه وليكن للود كشفُ

وارفعوا الأيدي لخلّاق الورى … لُطْفك اللّهم لا يُحْصِيه كيفُ

انصرِ اللّهم حامِي دينِنا … إنه يا ربُّ للإسلام لُطفُ

ربِّ أيّد عرشَهُ وانصرْ به … ولعرشِ الظلم تقويضٌ وَنَسفُ

رَبِّ زِد آلَ السعود الكُرَمَا … كرمًا ما هب في الأوطان هَيْفُ

واجْمع اللّهمَ شملَ العُربِ مَا … حنَّ إلْفٌ بيننا أو شذَّ إلْفُ

وانْفُخ اللّهم فيهم قوةً … ليسيروا ولهم في السير رصفُ

واحمِهِمَ يا ربُّ من كيدِ العِدا … ليصولوا بثغورٍ لا تَثِفُ[1]

عطفك اللّهم يا ربُّ لنا … لِنَجاةِ العُربْ يوم الهَوْلِ جُرْفُ

(١) تثف: تجبن.

(١٠)
نَسيمُ العيدِ

أنشدت صباح عيد الفطر المبارك، في دار الحكومة بمكة المكرمة بعد صلاة عيد الفطر، وذلك في حفلة المعايدة، التي يقيمها الأمير فيصل في دار الحكومة (الحميدية).

تَفجَّرَ نَبعُ اليُمنِ واعشَوْشبَ الغَرسُ ... فقام يُديرُ الراحَ من ثغره الوَرْسُ
ونقَّطَ لحظُ الطَّلِ في الروض أدْمُعًا ... فَظَلَّت لحاظُ الزَّهرِ من نهْلِهِ تَحسُوُ
وقامَ على الأفنانِ كُلُّ مرتِّل ... لآي العُلا والقلبُ يُطِربُه الْجَرْسُ
دَعِ النومَ يا نَدمانُ وانهضْ مبكرًا ... وسر نحو وادٍ أنعَشَتْ رُوحَه الشمسُ
أجل واستمعْ آيَ الجلالِ تُفيضُهُ ... ثُغورٌ تُهيجُ الصبَّ من حسنها لُعْسُ
فمن مدنف ساجٍ ومن مُغْرَمٍ شَجيَ ... وآخرُ يَستهوِي حشاشتَه الأُنْسُ
وتلك الغصونُ المُلدُ يهتف فوقها ... من الطير صدَّاحٌ فينتابها المَيْسُ
يردّدُ تهدارُ العيون حفيفَها ... فيأخذ بالألبابِ وَهْيَ بها خُمْسُ
وفي القلبِ من سحرِ اللواحظِ رَوْعَةٌ ... تثيرُ الحجى والكأسُ يرنو له الكأسُ
أجِرنِي خليلي قد طمَا في مشاعري ... من الشّوق بحرٌ والحياةُ لها عرسُ
تَألَّقتِ الأضواءُ والعيدُ مشرقٌ ... وللصوم (يومَ العيد) في الأنفسِ القُدْسُ
هِيَ النِعَمُ الجُلّى أهابت بأُمَّةٍ ... لَها الدهرُ بين الناسِ من دينها رَغْسُ [1]
وفي كلِّ آنٍ نعمةٌ بعد نعمةٍ ... تجيء وللإسلام في رَبْعنا أُسُّ
وللشِرعةِ السمحاءِ [2] أبطالُها الألى ... يذودون عن أحواضها ما بهم وَكْسُ

(١) الرَّغْسُ: النماء والخير.

(٢) الصواب: السمحة.

أقاموا لها في ذُرْوةِ المجدِ رايةً ... ترفُّ وَوَلَّى عن مغانيهُمُ النَّحْسُ
هُمُ استنزلوا باللَّه والعزمُ صادقٌ ... صِعابَ الذُرَا وهنَّا وما راعهم وَجْسُ (١)
فَلستَ ترى في حَيِّهم غيرَ ضَيْغَمٍ ... له من نسيج الفضل بين الورى لِبسُ
تَراهُم بيوم السِّلْمِ غيثًا مُعطرًا ... وفي الحرب هم أُسُدٌ غطارفةٌ شُكْسُ
ومن نِعَمِ الإسلام للَّه جَدُّهُمُ ... ونائِلُهُمُ غضٌّ ومنهلهم سَلسُ
ضياءٌ (بأرجاء الجزيرة) مشرقٌ ... بأنواره تحيا العُروبَةُ والفُرسُ
وللبيت في (أم البلاد) معالِمٌ ... تذوب لها شوقًا على رَغْمِهَا النفسُ
له العيسُ تُحدى والخيالُ مُنَادِمٌ ... وتسري إليه الجِنُّ في الليل والإِنْسُ
فَمَنْ أنكر النُعمى وغاض بِغَيِّه ... فذاك وأيمُ المُستعانِ هو الرِجْسُ
أُهَنِّي بني الإسلامِ ما ذَرَّ شارِقٌ ... وما اهتزَّ غُصْنُ البانِ أو خَيَّم الدُّلْسُ
ألا إنَّ (عيدَ الفطر) هبّ نسيمُهُ ... بليلاً فَولَّى النُّكْسُ (٢) وانتعش الرأسُ
إلى المجد هُبُّوا واجمعوا من شَتاتِكُمْ ... صفوفًا لها الإيمانُ يومَ الوَغى تِرْسُ
إلى (الراية الخَضْرَا) إلى المطمحِ الذي ... بناهُ لكم (عَبْدُ العزيز) وَلاَ تَنْسُوا
ألاَ فاجعلوا الإخلاصَ دِرعًا يَقيكُمْ ... من الفتنةِ العمياءِ إذ يَصْدُقُ الحَدسُ
لقد كان للتفريق فينا طرائقٌ ... فأكْرَبنا من ذلّةِ الفرقةِ التَّعْسُ
دَعونا نَهُدّ الظلمَ في الشرق وَليكُنْ ... نُصيبُ صُروحِ الظلم من بأسنا الخَفْسُ (٣)
يَدُ اللَّه تحمي للجماعة بَنْدَهَا ... إذا كان حادي القوم في قلبه بَهْسُ (٤)
فَفي مِلَلِ الإسلام حزبٌ شِعَارُهُ ... إبادَةُ أهل البَغْيِ يَدفَعُهُ الحِسُّ

---

(١) الوجس: الصوت الخفي يُداخِلُ النفس.
(٢) النكس: المرض، أو عودته.
(٣) الخَفْسُ: الهرم.
(٤) البَهْسُ: الجُرأة.

ثِبُوا يا أُباةَ الضيم جمعًا وَوحِّدوا ... قِوَاكم فبالتوحيد قد يُرفَعُ البأسُ
وخَلُّوا التَّوانيَ والقنوطَ وبادِروا ... ألا إنّ داء المشرقَيْنِ هُوَ اليأسُ
ففي الشرق أقوامٌ تُدين بخالقٍ ... إلهٍ عظيمٍ، لا يفرّقها الجِنسُ
إذِ الفضلُ بالتقوى ولِلّه مِدْرسٌ ... كريمٌ وفي كل الديارِ له دَرْسُ
أحذِّرُكُمْ والأمسُ ليس بعائدٍ ... أَتَنْسَوْنَ يوم انْتَاشَ أكبادَنا أمْسُ؟..
وما فِتنةُ (القُدْسِ الشريف) بعيدةٌ ... فقد ضجَّ منها المسلمُ الشهمُ وَالْقِسُّ..!
فما داؤنا إلا التشتتُ والوَنَى ... وكفُّ العدو الفَدْمِ فينا لها مَسُّ
تعالَوا نَثيرُ المسلمين نحضُّهُمْ ... على الوِحدة الشمّا فليس بنا جِبْسُ(١)
حذارِ بني الإسلامِ فالغربُ ياقظ ... وللغرب عينٌ دأبها الخزْرُ والْجوْسُ
حَذَارِ من الإلحادِ إنّ سمومَه ... تفشّت بنا يا قوم واستفحل النَّدْسُ(٢)
قِفُوا واسحقوا سحقَ البعوضةِ مَنْ أتى ... يُريغُ ضلالاً وليكن حَظَّهُ الرَّفْسُ
لقد نَفخ الشيطانُ في أمِّ رأسِهِ ... فبات من التشكيكِ في قلبه هَجْسُ
يُعذِّبُهُ (وَخْزُ الضمير) كأنه ... به جِنَّةٌ تُضْنِي الحِجَا أوبه وَسُّ(٣)
تَخِذْتُ بيوم العيد للحق صَرخَتي ... فهذا ندائي جهرةً مَا بهِ هَمْسُ
فَلِلّهِ دارٌ في (الجزيرة) غضّةٌ ... مُؤَثَّلَةٌ قد طاش عن حَيِّها النَّجْسُ
بها من حُماةِ المسلمين أشاوسٌ ... بسيِّدها الميمون قد بُرِيَ القَوْسُ
هو الأروعُ الداعي لكلِّ فضيلةٍ ... وفي أكبد الأعداءِ من غضبه نَخْسُ
إذا مالَ عن سبلِ الهداية مَائلٌ ... دعاهُ بكفِّ الهَوْلِ من رعبه الرَّعْسُ
أزُفُّ تهانِي العيدِ والثغرُ باسمٌ ... و(عبد العزيز) المالك الحازم النَّطْسُ

---

(١) الجبس: الرجل الثقيل الروح والفاسق والرديء.
(٢) الندس: الطعن (في الدين).
(٣) الوسّ: الوسوسة والوسواس.

نـمـتْـهُ إلـى أوج الـمـكـارم نـفـسُـهُ ... وقـد طـاب مـنـه الـروحُ والـفـرعُ والأرسُ

هُمَامٌ سرى في حندس[1] الخطب واثبًا ... فـدان لـه وعـرُ الـمـهـاوِبِ والـدَّهْـسُ

فَـذي عُـصـبَـةُ الأشـرار مُـزِّقَ شَـمْـلُـهـا ... وحَقَّ عليها القولُ والطمْسُ والرّكسُ

وعـاثَ بـهـا غـولُ الـخِـسَـارِ ودكَّـهـا ... وأكـبـادُهـا تَـنْـهَـدُّ أوْهَـنَـهـا الـدَّوسُ

(لـعبد العزيز) الشهمِ مِنّي نشائد ... منضدةٌ في طَيِّها الحبُّ ينـدسُّ

(لآلِ السعود) الصالحين قصائدِي ... أدبّـجـهُـا حـتـى يُـغـيِّـبَـنِـي الـرَّمْـسُ

وأُزْجِـي لـشـيـبـانِ الـكـرام ومُـرْدِهِـمْ ... خَـرائـدَ أفـكـارٍ يـضـيـق بـهـا الـطِّـرْسُ

(ولِلفيصل) البلج الهمامِ قصيدتي ... يُـرتّـلـهـا قـلـبـي وتَـشْـدُو بـهـا الـنَّـفسُ

سَقى اللّه نجدًا والحجاز وحوله ... مِن الدِّيمِ الوطفاءِ[2] ما أزْدهر الورسُ

سَقى اللّه نجدًا والحسَاء سحائبًا ... تهل من العلياء ما انتعش الدعسُ

سَقى اللّه رهطًا في (الكويت) أحبهم ... هم نفرٌ في دوحة المرتقى خمسُ

فـآهٍ مـن الـذكـرى ولـولا مـدامـعٌ ... أكـفـكـفـهـا لـيـلاً لـفـارقـنـي الـكـيْـسُ

ويا حَبَّذا مِن جيرةِ البيتِ عصبةٌ ... تُنادِمنِي والكلُّ في وجهه الطُّوسُ

أفُـكّ وِكـاءَ الـفِـكـرِ إن نـاب حـادثٌ ... وأُوثِـقُ أوتـارِي إذَا يُـقـرعُ الـضـرسُ

ولـلـشـعـر عـنـد الأريـحـيـينَ نـشـوةٌ ... ولـلـعـيـد إيـحـاءٌ تَـجـيءُ بـهِ الـعِـرْسُ

تـيـقـظَّـتِ الأرواحُ بـعـد هُـجُـودِهَـا ... وفي الربع بعد اليوم في حيِّنا عَطْسُ

أمانًا (صَبا نَجْدٍ) فبلّغ أحِبّتِي ... سَلامي فإني هاج بِي لِلْهَوَى الْحِسُّ

سلامٌ على الإسلامِ في كُلِّ مَوْطِنٍ ... وفي كُلِّ دارٍ مَا ازْدَهَى الآسُ وَالْبَقْسُ[3]

---

(١) الحِنْدِس: الظلُمة.

(٢) الديم الوطفاء: المطر الكثير الماء.

(٣) البقس: واحدته البقسة، نبات حرجي، أوراقه بيضاوية الشكل، ينبت في المناطق الكلسة، ومنه ما يزرع للزينة في الحدائق على جنب الممرات، وخشبه ثمين.

(١١)

عَفْرَاء عشيرة بين مكة والطائف

عشيرة هي تلك الحرّة البرمائية المشهورة بصخورها السوداء الكالحة، حيث نزل بها الإمام ناصبًا سرادقه الرحب وحوله أسود الجزيرة الميامين قبيل الحج العظيم بعد أن قضى على الأشرار، وقد رحل للقياه الشاعر برفقة الشيخ عبد الرحمٰن القصيبي فاستجاشت قريحته عن هذه القصيدة العفراء إذ إنها وصخور العشيرة في الصراحة سواء.

تَقشَّع عن جرم المطهمة الرَّهَجُ ... ضُحًى فتجلّى فوقها الفارسُ البَلْجُ

مُحجّلةٌ مِرْخاءُ يلمع فوقها ... حُسَامٌ كَميٌّ أطَّ(١) مِنْ تحتِهِ السَّرجُ

تُسابِقُ وَمضَ البَرْقِ وَهْيَ طِمِّرةٌ(٢) ... وقد أشرقت فيها الحقائقُ والفَلْجُ

تطارِدُهَا الشُّوسُ العِرَابُ ولم تَزَلْ ... من الضَّبْحِ رَزْحى مسَّها العِيُّ والبَوْجُ

من الأَعْوَجِيَّاتِ الجِيَادِ يَؤُزُّهَا ... من العرب مِغْوَارٌ تَسَامَى له البِنْجُ(٣)

سرى يغمر اليَهْمَاءَ(٤) من هَبَوَاتِهِ ... وأمسَى كأن الجيشَ من حوله لُجُّ

تَخلَّلَ أرجاءَ البلاد وجَاسَهَا ... وَأَمْطَرَهَا حتى اطْلَخَمَّ(٥) له مَوْجُ

بوابِلِهِ الهتَّانِ روّى رُبُوعَهُ ... وأصبحتِ الصحراءُ بالزَّهْرِ تَلْتَجُّ

بقلبي المغَانِي أفتديها ومهجتي ... وروحي وإن لم يُشْفِنِي في الحِمَى الْعَذْجُ

فآجِنُهَا حلوُ المذاق وإنَ بَدا ... شرابي زُعَاقٌ شَوْبُهُ المُرُّو الْمَأْجُ

(١) أطَّ: صوَّت، أو أنَّ من ثقل الحِمل.
(٢) الطِمِّرة: الفرس الجواد الشديد العدو.
(٣) البِنْجُ: ذوو الأصل الكريم.
(٤) اليَهْماء: الفلاة لا يُهتدى فيها.
(٥) اطلَخمَّ: سالَ.

فللحرِ نفسٌ تَعْشَقُ العزَّ صَاخِبًا ... ويكرهُ أن يعلُو على نفسه اللَّفْجُ(١)

وَيَغْدُو وَلَو أَنَّ الخطوبَ سَحَائِبٌ ... لِغَايَتِه العُظمى وإنْ عَرُمَ المَعْجُ(٢)

جَلا الدهرُ ليلَ الشكِّ عن كلّ غَارِمٍ ... ولُعْبةُ هذا الدهرِ للناس شِطْرَنْجُ

بَلى رغمَ أَنْفِ الغاصبِ الحقَّ فليكن ... لعدنانَ مجدٌ باذِخٌ دارُهُ الأَوْجُ

فَمَنْ رَامَ غدرًا فالجُرازُ نصيبُه ... وللخائن السهم المُصَوَّبُ والزُّجُّ

لِيَلْتَئِم الرهطُ الكريمُ بِغيلِهِ الرَّ ... هِيب ويمشي الفَوْجُ يَتْبَعُهُ الفَوْجُ

فللّه من (رهطِ العروبةِ) عُصْبةٌ ... يُدينُ لها المغنى ويسمُو لها النَّهْجُ

رفيعةُ قدرٍ والشهادةُ بندُها ... وقائِدُها للعزّةِ الحزم البَلْجُ

إذا ذُكِرَتْ في الدهر آسادُ خِيفَةٍ ... (فعبدُ العزيزِ) الشهمُ مَسكنُهُ البُرْجُ

هو القَوْمَس(٣) التَّيْهُوْرُ(٤) فكرًا وعزمةً ... وقد عجزت عنه الفطاحِلُ والدُّنْجُ(٥)

أتى والحمى يَغزُوهُ داءُ تَشَتُّتٍ ... وللجهلِ والتمزيقِ وسْطَ الحِمَى فَجُّ

فَصَاحَ: بَنِي العُرْب الكُمَاةِ تجمَّعُوا ... وسيرُوا وخلوا العِثْجَ يلحقه العِثْجُ(٦)

فَذي رايةُ التوحيد هيا وكَرْضَمُوا(٧) ... وَشُدُّوا على الدُّهْمِ العَنَاجيج(٨) واحتجُوا

فَلَبّتْهُ (أقيالُ العروبة) كلُّها ... وَمَنْ شَذَّ أزدَتْهُ الجلاميدُ والزُّلْجُ(٩)

فَسَلْ كلَّ شِبرٍ في الجزيرة واستمعْ ... مكارمَهُ يُنبيكَ عن سَحِّها الفيجُ(١٠)

---

(١) اللَّفجُ: الذل.

(٢) المَعْجُ: القتال، والاضطراب.

(٣) القَوْمَس: الأمير.

(٤) التَّيْهُوْرُ: الرجل العالي، العظيم.

(٥) الدُّنْجُ: العقلاء.

(٦) العِثْجُ: الجماعة من الناس.

(٧) كَرْضَم: واجه القتال وحمل على العدو.

(٨) العناجيج: جياد الخيل.

(٩) الزُّلْجُ: الصخور الملساء وهي هنا صفة للرجال الأشداء الأبطال.

(١٠) الفيجُ: الجماعة من الناس.

عَلىٰ الرَّبوَةِ الوَعسَاءِ[1] في بَاحَةِ الحِمى ... تَألّق من مِصبَاحِهِ النُّورُ والوَهَجُ
فيَاحبذا يومٌ تَفلَّجَ ثَغرُهُ ... من الغُررِ الشَّمَّاءِ يزهى بها المُرْجُ
تَقدمْ (إمامَ المسلمين) وسِرْ على ... نَمارِق أكبادٍ بها لِلْهَوَى رَجُّ
تقدّمْ إلى (البيت الحرامِ) فإنَّ في ... مَناجِيه أقوامًا بها لِلّقا هَرْجُ
لقد هَشَّمَ الدَّيَّانُ كلَّ مضلِّلٍ ... بسيفك وانشقَّت على نفسِها السُّمْجُ
رؤوسٌ بلاها اللَّه بالبغي رُوِّعَتْ ... لها كان دَهرًا من شياطينها أدْجُ
رَمَيْتَ بها عَرْضَ المَهَاوِي بِغَيْهَبٍ ... فباتوا بدَجْنِ السجْنِ ذِكرَاهُمُ الحِرْجُ[2]
هم ارتكبوا الآثامَ في الربعِ حِقبةً ... وتَابَعَهُمْ يرعى دمٌ أحمرٌ ذُؤَج[3]
فهذي قُرَاهُمَ خاوياتٌ عروشُها ... تُعَاوِدُهَا الذُّؤْبانُ والبُومُ والعُرْجُ[4]
جعلتَهم للنَّاسِ في الدهر عبرةً ... وأولى بهم شَدُّ الخِنَاقِ أو الْوَدْجُ
وهذي بحمد اللَّه كلُّ خميلةٍ ... بها الغصنُ مَيّاسٌ ونائلُها فِجُّ
وكلُّ هُمَامٍ صادقِ الوعدِ واثبٍ ... إلى (الأَمَلِ المَعسُول) يُطربهُ الذَّيج[5]
تُخَامِرُهُ من نشوةِ العزِّ نشوةٌ ... إذا غَلْغَلَتْ أشواقُها انحسَرَ البَنْجُ
فخذ عهدنا الميمونَ يا سيِّد الحِمَى ... بأنا لِنَصْرِ الحقّ ليس بنا هَرْجُ
وإنَّا ليَصبُيْنَا إلى المجدِ صبوةٌ ... وَنطمحُ بالمجد الذي ما به خَجُّ[6]
ونطمع أن يعلو (على الشام) بَنْدُنا ... إلى (عدن) الميناء يتبعها (الحجُّ)
ونطمع أن نَلْقى (الكتابَ) لِواؤُهُ ... يطوّق جسمَ الأرضِ من ضَوئه الوهجُ

---

(١) الربوة الوعساء: التي كثر نبتها.
(٢) الحِرج: الإثم.
(٣) ذؤج: قاني.
(٤) العُرج: الضباع.
(٥) الذَّيجُ: المناومة.
(٦) الخَجُّ: الشق والالتواء.

ونطمع أن نحمي البسيطةَ كُلَّها   وأن لا يُرى في الربع للحكم (إفْرَنْجُ)
ونطمع بإذنِ اللّه أن يُبْتَنَى لَنَا   مَلاذٌ منيعٌ لا يُعَكِّرُهُ الحَوْجُ[1]
سَتُرفَعُ للتوحيدِ باللّه آيةٌ   إذا قام للإخلاص في حيِّنا بُرْجُ
سنسعى لتوحيد الجزيرة بالظُّبى   ونجمعُ شملاً والوَفاءُ لنا خَرْجُ
أجل يا سليلَ الصالحين ومَنْ رقى   على الأجبُلِ السّوداءِ يَدْفَعُهُ (الحَجُّ)
أجل يا أبا الأشبال أيَقظْتَ في الحِمَى   بِلُقْيَاك رُوْحًا قد تسامى له النبح
وَصُنعك مِصداقًا لما دارَ في الحِمى   وإنك (للفاروق) في دارنا دِمْجُ
ومنك الأماني يُسْتَمَدُّ شُعَاعُها   وفي الرُّبْع شبَّت مِن مخائِلك السُّرْجُ
وَقُدْتَ جُيوشًا قد حَوت كلّ بهمةٍ   جوادٍ وما فيهم بيوم الوغى نِشْجُ[2]
وحرّرت شعبَ الحقِّ من رِبقةِ الونى   ومن سَعْيك المبرور قد دفع الهُجُّ[3]
فهذي النفوسُ الغُرّ أيقظها دُجى   سَناك، وكان الحلم ليس به هُلْجُ
فمن ربواتٍ (في الخليج) ظلالُها   إلى (القلزم) التيهور للمرتقى زُلْجُ
وفي (هجر الميثاء) تسمو لك الصُّوى   وفي (نجدِ) قومٌ للمعالي هُمُ النَّسْجُ
وقومٌ (بجنب البيت) لَبَّاكَ جمعُهُمْ   ومنك لهم للعدل (فيصَلُكَ) البَلْجُ
أَلَمْ تَرَ كيف ارْفَضَّ جَمْعُ الأولى بَغَوْا   وَكلُّ غِوَيٍّ مَسَّه الضَّنْكُ وَالْوَأْجُ[4]
وَأَمسَوا كأهلِ النار في (الْمصْمِك) الذي   أُعِدَّ لهُمْ والداءُ رَبْوٌ وقُولنْجُ
فديتُك هل ترضى إذا قلت قَوْلَتِي   (وَأَنتَ لِبِكرِ الْمَجْدِ بَيْنَ الْوَرَى زَوْجُ)؟
أجل يا مليكَ العُرْبِ أنت لها فلا   تريدُ لها بَعلاً سِوَاك ولا ترْجو

---

(١) الحَوْجُ: الاحتياج.
(٢) النشج: الجبان.
(٣) الهُجُّ: النير على عنق الثور، ومعنى رفع الهجُ: حرر من العبودية.
(٤) الوأج: الجوع الشديد.

فدعني أغنَيّك النشيد وأن أرى كأنّي ناقوسٌ بمغناي أو صَنْجُ
ولستُ أبالي بالوُشاة وغَيِّهم فحظُّهُمُ مني الصدودُ وَإن ضَجُّوا
لقد بَهَرَتْ لَيْلَى فؤادي بحُسنِها وَتَيَّمَنِي في حِبُها الدَلُّ والغُنْجُ
حَلَفتُ يَميناً لا مناص لِنقضِهِ سَأَحْيَا وَيُذْكِينِي التَّرنّمُ والهزجُ
بِمَبْسَمِها تحيا القريحةُ والحِجى وتُذكي أوارَ الحُبِّ أعينُهَا الدُّعجُ
فَذَا وَاجِبٌ والحقُّ يَشهدُ أنني مُقيمٌ وَللأمجادِ مِن سيري الوَجُّ[1]
فَمَنْ نَفَحَ الأرواح غيرَكَ نفحةً مُعطَّرةً والنارُ في الحيِّ تَأْتَجُّ[2]
فيا مَلِكَ الإسلامِ إنَّ نُفُوسَنا فداؤكَ فَأْمُرْ دُونَكَ الرُّوحُ والمُهَجُ

(١) الوَجُّ: السريع.
(٢) تأتجُّ: تتأجج، تشتعل.

(١٢)
قُبَيْل الحجّ[1]

عند عودة الملك عبد العزيز من الحرب مع العصاة أقامت الحكومة العربية السعودية في الحجاز حفلة استقبال رائعة في إدارة المالية العامة، وقد ألقى الشاعر هذه القصيدة «قبيل الحج» على مسمع من الملك عبد العزيز وحزبه الميامين في الاحتفال.

فَتَقَتْ كمائمَ زَهرِها الأشواقُ ... وإناءُ دِرياقِ[2] النفوسِ دِهاقُ
وأرائكُ الأفنانِ حَلَّ مُتونَها ... مِنْ كُلِّ شادٍ مَضَّهُ الإِطْراقُ
نَشَرَ الجلالُ على المغانِي بُرْدَهُ ... فَزَهى عليهِ اليُمْنُ وَالإِشْراقُ
وبدتْ تباشيرُ الجَمالِ كَأَنَّها ... حورٌ لهنَّ من العُلا عُشَّاقُ
..................[3] النفوس مغانم ... تُسْبي. وتُفْدَى دونَها الأعْلاقُ
يَنْسَاقُ مِنْهنَّ الهوى بِمَراشِفٍ ... مَغْسُولَةٍ ما نَابَهَا الإِغْلاقُ
تَنْفضُ عن لحنٍ تناسَقَ وَضْعُهُ ... في الكونِ رَدَّتْ جَرْسَهُ الآفاقُ
وتناظَرَ الثَّقلانِ في نَبَراتِهِ ... وَجْدًا، وأمْواهُ العُيونِ تُراقُ
وصَفا جِمَامُ[4] الشَّوقِ واتَّسَقَ الغِنَا ... وانزاحَ عن عَضُدِ الحياةِ وِثَاقُ
وتَلأْلأَتْ دُرَرُ الشُّعُورِ بِمَقْدَمٍ ... هُرِعَتْ لهُ الأَرْواحُ والأَرْمَاقُ[5]
وَتطلَّعَتْ من عالياتِ شِعَافِها ... لِسَنائِهِ الأرواحُ والأحداقُ

---

(١) نشرت في جريدة «أم القرى»، العدد (٢٨٣) في ٩ من ذي الحجة ١٣٤٨هـ.

(٢) الدِرياق: التِرياق.

(٣) كلمتان غير مقروءتين في الأصل.

(٤) جمام: ج جَمّ وهو الكثير من كل شيء.

(٥) الأرماق: ج رمق وهو بقية الحياة أو بقية الروح.

ذابتْ بِحَرِّ الانتظارِ قلوبُنا ... وجَناحُ سِمِّيرِ الهوى خَفَّاقُ
وتشَعْشَعَتْ بِلَظَى الهُيَامِ نفوسُنا ... وهنَّا وكان له بنا إشْفَاقُ
فتمزقتْ سُجُفُ الدُّجى وتَساقَطَ الْـ ... ـليلُ البهيمُ. وللنفوسِ سِيَاقُ
ورَنَتْ ذُكَاءُ بمقلتَي شمسِ الحِمى ... (عبدِ العزيز) وللدُّجى إطْلاقُ
فوثبْتُ من ذِكَرِي وقد غَمَرَ الهوى ... روحي، ونهرُ عَوَاطِفي دَفَّاقُ
وشَدَوْتُ من فرْطِ الهُيَامِ مرتلاً ... آي السّرُورِ كأنني (إسْحَاقُ)[1]
يا أبركَ الأقْيَالِ يا رمزَ العُلا ... لِهَواكَ أفئدةُ الأُبَاةِ تُساقُ
يا أيُّها الأملُ الذي ضاءَتْ بهِ ... أرْواحُنَا وَلَّى بك الإغْسَاقُ
يا جارَ بيتِ اللَّهِ فيكَ تحكَّمَتْ ... بنفوسِنا مِن حُبِّك الأخْلاقُ
يا (مَطْمَحَ الآمَالِ) يا ملكَ الحِمى ... من رَاحَتَيْكَ على القُلوبِ نِطاقُ
يا منقذَ الإسلامِ من كبواتِهِ ... قد رَحَّبَتْ بِقُدُومِك الأذْوَاقُ
إن (الحجازَ) بأهلهِ ودِيَارِهِ ... وقُرَاهُ هَبَّ وكُلُّه مُشْتَاقُ
(البيتُ) يُشْرِقُ بالجلالِ سناؤُهُ ... (وقليبُ زَمْزَمَ) باردٌ مِفْهَاقُ[2]
(وَحَمَامُ بَيْتِ اللَّهِ) يَسْجَعُ وَالِهًا ... بَعْدَ النُّواحِ ولِلنُّفُوسِ عِنَاقُ
من خاشعٍ (يَتْلُو الكتابَ) وساجدٍ ... ضاقَتْ بِسَحِّ شؤونِه الآماقُ[3]
ومُرَتِّلٍ يُشْجِي بناغِمِ لحنِهِ الْـ ... أفكارَ، إذْ فُغِرَتْ له الأشْداقُ
(وبِنِعْمَةِ التَّوْحِيدِ) سالت ألسُنٌ ... بالحمْدِ، والصِّيدُ الكِرامُ أفاقوا
إن (الحنيفةَ) لاحَ نجمُ سُعودِهَا..! ... متألِّقًا وشَبَابُها غَيْدَاقُ[4]

---

(١) المغني، إسحق الموصلي العبقري المشهور في الدولة العباسية.
(٢) مفهاق: مليء، فياض، حتى صار يتصبب.
(٣) الأماق: جمع مأق، ومأق العين مجرى الدمع من العين.
(٤) الغَيْداق: الكريم.

(يا سيدَ المغنى) وجامعَ شمْلِهِ   لكَ في القلوبِ من الهوى أطْوَاقُ

نَشِطتْ بمقدمِك السعيدِ نفوسُنا   والنّورُ لألاءُ السَّنا بَرَّاقُ

سَدِّدْ خُطَاكَ على الرؤوسِ فكلُّنا   أُسْدٌ تَذِلُّ لِبَأسِنَا الأَعْنَاقُ

ولعرشِك السامي بسطْنا أنْفُسًا   عُلْيَا لها عِنْدَ النِّزَالِ سِبَاقُ

ومِنْ الجَماجِمِ قد بَنَيْنَا مَعْقِلاً   لَكَ فيه مِنْ أكْبادِنا مغلاقُ

فاركبْ فديْتُكَ فوقَ منْكِبِ قمةٍ   عصماءَ دَارَتْ حوْلَها الأحْدَاقُ

صَفِّق بكلتا راحتيكَ مُناديًا   رهْطَ الأسُودِ فَكُلُّنَا سَبَّاقُ

إنا كتَبْنا مِنْ دِماءِ قلوبِنا   (عَهْدَ الجِهَادِ)، فَمُرْ لك الميثَاقُ

بُشْرَاكَ (يا عبدَ العزيزِ) فهذِهِ   يُمْنَاكَ تَصْنَعُ والشِّعارُ وِفَاقُ

هذي (القبائلُ) يا مُجَمِّعَ شَمْلِها   نَفَرَتْ إليْكَ وللنفيرِ صِفَاقُ

بَكرَتْ إليْكَ وأنتَ رافِعُ بَنْدِها   سَحَرًا وأغصانُ الحياةِ رِشاقُ

لك في النهى نورُ الخلودِ وفي الحشا   نارُ الوِدادِ وفي الحِمَى الأَوْهَاقُ[1]

(إنّ الجزيرةَ) لن يُهَانَ حُمَاتُهَا   دَهْرًا وليس يُضِيمُهَا الإزهَاقُ

(وَفَتَى العُرُوبَةِ) لن يُعَفَّر خَدُّهُ   بِالتُّربِ مَا مُدَّتْ لَكَ الأَعْرَاقُ

عَبَثَتْ بأمّتِك الخُطُوبُ وكَشَّرتْ   أنْيَابَهَا الأهْوَالُ وهي طِبَاقُ

نامَتْ على صَخْرِ الرَّدى وتوسَّدَتْ   سُودَ الخُطوبِ وللخُطوبِ نِفَاقُ

رقَدَتْ على حُزنٍ وبَينَ ضلوعِها   لَهبُ الشُّجونِ فَراعَها الإِحْرَاقُ

وَعَلا الشحوبُ جمالَها فهوتْ على   شوكِ المصائبِ والهُمومُ وِثَاقُ

نَعَبَتْ طيوفُ البيْنِ بين رُبُوعِها   يومَ الشَّتاتِ وللغرابِ نُعَاقُ

وتَمَلْمَلتْ جزعًا يُقطِّعُ قلبَها   سهمُ الأنينِ وللأسى مِزرَاقُ[2]

---

(١) الأوهاق: جمع وَهْق، وهو الحبْس، أي أن القلب ودُّها محبوسٌ عليكم.

(٢) مزراق: من زرق السهم نفذ ومرق.

لله ما لَقِيتْ سَليلةُ يَعْرُبِ ... يوم اغترى بَذْرَ الوئام مُحَاقُ
هي لم تَمُتْ لكنَّها رقدتْ وفي ... أنْفَاسِها عند السُّهَادِ رِمَاقُ
فَوَثَبْتَ (يا عبدَ العزيزِ) مُحَطِّمًا ... أغْلالَها، وَيُعينُكَ الرَّزَّاقُ
وأتَيْتَ تمسحُ خَدَّها بأناملٍ ... جُعْدٍ سِبَاطٍ فَضْلُها مِصْدَاقُ
وسَهِرْتَ تُضْمِدُ جرحَهَا بِعَصَائِبٍ ... من طُهْرِ قلبِكَ هزَّكَ الإشْفَاقُ
فَضَمَمْتَهَا بِتَلَهُّفٍ ولثَمْتَهَا ... بحرارةٍ والدمعُ مِنْكَ مُرَاقُ
فَتَفَتَّحَتْ تِلْكَ العُيُونُ النُّجلُ عَنْ ... طرفٍ كَحِيلٍ لم يَشِنْهُ لِهاقُ(1)
فحملتَها والليلُ مُعْتَكِرٌ له ... رَوْقٌ يَضِلُّ به الأنامُ وَطَاقُ
لله قُمْتَ ولمْ تُخِفْكَ فَوَادِحٌ ... ولك ارتقاءٌ في العلا وَفَواقُ
لك من (حِيَاضِ المجدِ) أشرفُ مَنْهَلٍ ... صافٍ تهافتَ نَحْوَه الحُذّاقُ
وقد اسْتَضَأتْ بنورِ دينِك رافعًا ... عَلَمَ الجهادِ، بِكَ الكُماةُ أحاقوا
للدينِ والدُّنيا أهَبْتَ بأمّةٍ ... عَبَثَتْ بها الأغْلالُ وَالأرْبَاقُ
جرّدْتَ سيفَ العزمِ مِن غِمْدِ الوَنى ... صُبحًا وفيكَ على الكفاحِ لَباقُ
وسَرَيْتَ تَخْضدُ شوكَةَ الأَرْزَاءِ في ... جُنْحِ الدُّجى وظُبَا الكروبِ دِقَاقُ
دَمِيَتْ قروحُ الكاشِحينَ ومُزِّقتْ ... أكْبَادُهم بالبَغْي وهي رِقاقُ
لا كانَ يوم عوادِهم وهم على ... متنِ الفلاةِ وورْدُهُم غَسّاقُ
(زُمَرٌ مِنْ الأعْرابِ) ضلّت فانْثَنتْ ... حَيْرى لها يومَ الوَغى تَشْهَاقُ
تَخِذُوا الشريعةَ حِيلةً لشِقاقِهم ... فَتَشَتّتُوا فِرَقًا وحلّ فِرَاقُ
ورُمُوا بِفاليةِ الأَفَاعِي مَوهِنًا ... وَرَنَا إلى تلك الرؤوسِ عِنَاقُ
صدَّعْتَهُمْ فتناثرتْ أشلاؤُهُمْ ... والمزهَفَاتُ كأنهنَّ لِيَاقُ(2)

---

(١) اللهاق: البياض، والمراد هنا: تشويه.
(٢) اللياق: بكسر اللام شعلة النار.

ما كنتَ (يا عبدَ العزيز) مُصيبَهُم بِلِظاكَ لَكِنْ بالتمرُّدِ ضاقُوا
ولقدْ عَطفْتَ وكنْتَ أرفقَ قادرٍ والرِّفقُ في بعضِ الأمورِ ذُعَاقٌ[1]
علَّمْتَ أربابَ العُقُوقِ بأنَّ مَنْ خانَ العُرُوبَةَ مُسْتَقَاه زُعَاقُ[2]
وَسَقَيْتَ أعداءَ الحقيقةِ وَالرّدى مُتَلاطِمٌ سُمًّا، وهِيضَ خَنَاقُ
طهَّرْتَ بالأَمْنِ البلادَ وَقَدْ حَمَى بنتَ الكِناسِ[3] الضَيغَمُ المَذَّاقُ
الخيلُ تَمْرحُ والسّباعُ حيالَها سَلِسُ القِيَادِ سوائمٌ ونِيَاقُ
لكَ في الزمانِ عجائبٌ لو أنَّها كُتِبَتْ لَكَلَّ بِرَصْفِها الورَّاقُ
بكَ أظْهَرَ الباري لأمةِ يَعْرُبٍ حقًّا له بِنُفُوسِنا اسْتِحْقَاقُ
كَسَّرْتَ (أنْيَابَ السّياسَةِ) مُذْ بَدَتْ أشبَاحُها وتخاذَلَ المُلاَّقُ
تلكَ (الخبارِي) والأماني شُرَّعٌ ولها بأرجاءِ الحِمى إبْرَاقُ
ولقد تكافَحَتِ الرّؤوسُ بساحِها وتناقَضَتْ بجِوارِها الأذواقُ
وارتدَّ فيها الخادعون ولَمَ يَرُقْ لِخِدَاعِهِم عندَ السلامِ مَذاقُ
قد كان (بُوسَيْفٍ) لِفيصَلِ يومه قَفَّى عَلَيه للنضَالِ (عِرَاقُ)
إن (العِرَاقَ) يَئنُّ مِنْ حَيْفِ العِدَا وكُبُولُهُ سُودٌ وَلَيْسَ تُطَاقُ
يا صاحبَ التاجِ الذي لم يَغْلُه تاجٌ.. لمَغْنَاكَ الورى تَنْسَاقُ
فَمَنْ استنَامَ[4] لكَيدِ أعْدَاءِ الحِمى نامتْ عليه مِنَ الرّدى أطْبَاقُ
أعجِبْ بيومِكَ (في أوالٍ) فإنّه[5] يَومٌ له في الغاصبينَ خُنَاقُ
أحْيَتْ بكَ الذكرى شعورًا طاهرًا وإلى الشبيبةِ شَوَّقَتْكَ رِفَاقُ

(١) ذُعاق: قاتل.
(٢) زعاق: مُرٌّ لا يطاق شربه.
(٣) بنت الكناس: الظبية، وهي كناية عن النساء المصونات.
(٤) في «أم القرى»: ومن استنام.
(٥) في «أم القرى»: وإنه.

ضمَّدْتَ من (شيخ الخليفة) جُرحَهُ ... مُـذْ زُرْتَهُ وفؤادُهُ تَوَّاقُ
غصبَتْهُ أظفارُ السياسةِ حقَّهُ ... ظُلْمًا وسيفُ عداتهِ حَلاَّقُ
خلعَتْ (عَذاري) يومَ زرْتَ عِذَارَها ... وجَرَتْ بها مِنْ (وائلٍ) الأفْواقُ[1]
(لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفيعُ مِنَ الأذى) ... ما لَمْ يَكُنْ لِلسَّمْهَرِيِّ بُعَاقُ[2]
والحقُّ في حدِّ السيوف أليَّةٌ ... وعلى (المَدَافِعِ) يُحْسَنُ الإنْفَاقُ
قَضَّيْتَ (عيدَكَ في الحساءِ) وأنتَ مِنْ ... (وطنِ العروبةِ) عِيدُهُ المُشتاقُ
فتفاخرتْ (أبطالُ نَجْدٍ) وانتشتْ ... ولها بميدانِ العُلا أرْزَاقُ
وهتفَتَ (لِلحَجِّ العظيمِ) مُكَبِّرًا ... اللَّهُ أكبرُ..! صانَكَ الخلاَّقُ
وحلَلْتَ (في أمِ القُرى) فاسْتَبْشَرَتْ ... لِلِقَائِكَ الأرواحُ والآماقُ
يا أيُّها المَلِكُ الذي نزلَتْ على ... أحكامِهِ الأبطالُ والأخرَاقُ
ذِكراكَ تبعثُ في الرؤوسِ حَميةً ... ولنا بحوضِ الحادثاتِ رُحَاقُ
اقْبِضْ زِمَامَ المسلمين بقُوَّةٍ ... وارفعْ حُسَامَكَ إن يَحِلْ حِقَاقُ
واقطعْ لِمَجدِ الدينِ أعناقَ العِدَا ... واضربْ فما لِسوَى يديكَ خَلاَقُ
مَنْ سَارَ والشرعُ الشريفُ حليفُهُ ... لم يَعْرُهُ الإذْلاَلُ والإخفاقُ
إن الحياةَ (بعزِّ شَرْعِ المُصطَفى) ... وبغيرِهِ الخُسْرانُ وَالإمْلاَقُ
لَبَّيْكَ يا حَامِي الحنيفةِ إنَّنا ... طوعُ اليمينِ، وذا هُوَ المِيثَاقُ
سَدِّد خُطَاكَ على الرُّؤُوسِ فَكُلُّنا ... أُسُدٌ تَذِلُّ لِبَأسِنَا الأعْنَاقُ

(١) بعد البيت السابق في نص «أم القرى»:
فبأي حق يستغلُّ قطوفَها ... أعداؤه، ولهم بها استنطاق
هي آية الظلم استباحت حقَّها ... وبها لأسرار العداة حِقاق
(٢) البُعاق: الصوت الشديد، والمراد: صولة، والشطر الأول مضمن من بيت المتنبي، ونصّ عليه الشاعر في هامش الأصل.

(١٣)
فَتْرَة مِنَ الزَّمَنِ

الشيخ فهد آل غشيان أحد رجال الأمير فيصل المقربين وقد أدب مأدبة دعا إليها الأمير فيصل. ودعا الشاعر أيضًا، وقد أنشد الشاعر قصيدته هذه بعد المأدبة..! في مكة المكرمة حول الشعب التاريخي العظيم..!

الجوُّ سَاجٍ والطبيعةُ تُبْهِجُ ... ودمُ القلوبِ مِن الهوى يَتَوهَّجُ
ومياسِمُ النَسَمَاتِ يغْبَتُ نفحُها ... بخمائلٍ، فيها الهَزَارُ يُهَزِّجُ
حَيِّ النوائعَ مَا ألذَّ حفيفَها..!. ... فكأنها سَكْرى جَنَاها يَأرجُ
والماءُ ما بين الصُّخُورِ خَرِيرُهُ ... يُصْغِي له سَمْعُ المُحبِّ ويَخْلَجُ
في غَوْطَةٍ نَسَخَ الصّفاءُ برحْبِها ... فوقَفْتُ فيها من شعُوري أنْسِجُ
فكأنني والطرفُ يرنُو راهبٌ ... نحوَ السماءِ بدَيْرِهِ يَتَحَرَّجُ
أو كاهنٌ يُزْجي أهاجيجَ[1] الهَوى ... فوقَ الكثيبِ وقلبُه يَتَأجَّجُ
أو ساحِرٌ نَفَثَ الرَّدى ثُعبَانُهُ ... فَتَلَكَّأَتْ يمناهُ وهو الأَهْيَجُ
أو فيلسوفٌ ظَل في تشكيكِهِ ... فثوى لأسلاكِ الأَمَانِي يُسْرِجُ
أو ناسكٌ قَدْ ظَلَّ يلتمسُ الهوى ... طبَّ القلوبِ وهمُّهُ لاَ يُفْرَجُ
أو عاشقٌ جاشَ الهُيامُ بروحِهِ ... فانكبَّ يحسُو من طِلاهُ ويَدْرُجُ
أو شاعرٌ للّهِ هل أنا شَاعِرٌ؟.. ... يَا حَرَّ قَلْبي إنَّ حَظِّيَ أعْوَجُ
يَا بُؤسَ مَنْ يُدعى بشاعرِ قومِهِ ... إن الشعورَ عن الأسى لا يعرُجُ
لكنَّ لي بين الهُمُومِ لذاذةً ... لا تَنْقَضِي والحزنُ فيها يُمْزَجُ

---

(١) أهاجيج الهوى: نيرانه المستعرة.

ما كنتُ يومًا شاعرًا لكنَّ لي ... قلبًا بأكنافِ الهوى يَتلَجْلَجُ
في كلِّ صوتٍ للوجودِ قصيدةٌ ... تُتلى بِمِحْرَابِ النُفُوسِ وتُلْهَجُ
فالشعرُ مَا اهْتَزَّتْ على أوزانِهِ ... غُلْفُ القلوبِ، وما يُثيرُ ويُثْلِجُ
ما هزَّ قلبي غيرُ ذِكْرِ أحِبَّةٍ ... لهمُ بأعماقِ الجوانِحِ مَنْهَجُ
هم علموني الشعرَ من بَسَمَاتِهِم ... واللحظُ في جوِّ الهوى يَتَرَجْرَجُ
هم بَجَّسُوا[1] نبعَ القريحةِ فانثنَوا ... يَرِدُونَهَا والظلُّ مِنْهُمْ سَجْسَج[2]
واللَّهِ ما خطروا ببالي لحظةً ... إلا لهمْ في مُهْجَتِي ما يُبْهِجُ
لم يشتملْ عقلي سوى عِرْفَانِهِم ... ولهُمْ بعقلي فكرةٌ لاَ تَسْمُجُ
هم لَذَّتِي ولهم عليَّ ألِيَّةٌ ... حقٌّ له روحي تَرِفُّ وتَزْهَجُ
فإذا لَهَوْتُ يكون لَهْوِي ذكرَهم ... وإذا ازْجَحَنَّ الخَطْبُ قُمْتُ أُدَبِّجُ
وإذا تَخَدَّرَتِ القُوَى بمفاصلي ... نَهَضَتْ قِوايَ بِذِكْرِهِم تَتَوشَّجُ[3]
ولقد خَدِرْتُ من الهُمُومِ وقد ونى[4] ... فِكْرِي مساءَ وَالْخَوَاطِرُ تَمْعُجُ[5]
فأتى رسولُ الشوقِ يحملُ قلبُهُ ... شَوْقًا، وقال إلى اللقا يا أفلَجُ[6]
فرشَفْتُ عذبَ حديثِه وسَقَيْتُهُ ... حُلْوَ النشيدِ وثغرُه يَتَبَلَّجُ
وَزَمَجْتُ[7] خِدْرَ عَزِيمَتِي وَحَثَثْتُهَا ... وَلِغَادَتِي بَيْنَ الجَوَانِحِ هَوْدَجُ
بَدِمِي الكِرَامُ وما تَعَلَّقَ في يَدِي ... أفديهم وبهم تراءى الْمَخْرَجُ
لما التقى الوجهانِ في (أجْيَادَ) كَمْ ... بعثَ الحديثُ شرارةً لا تُزْعِجُ

---

(١) بجّسوا: فجّروا.
(٢) سجسج: ليس فيه حَرٌ مؤذٍ.
(٣) تتوشج: تتألف وتتجمع.
(٤) الونى: التعب والفترة.
(٥) تمعج: تتلاطم، وتتقلب يمينًا وشمالاً.
(٦) الأفلج: البعيد ما بين اليدين أو القدمين أو ما بين الأسنان.
(٧) زَمَج: ملأ. ويريد هنا استجمع عزيمته.

فهرعتُ للقِرْطاسِ أجرحُ خَدَّهُ ... بِيَراعَتِي، والجُرْحُ - فيصَلُ - أبْلَجُ
وحفظْتُ في قلبي (لِفَهْدٍ) مِنَّةً ... ورسولُه ما هزَّ رُسْغًا دُمْلُجُ[1]
(يا فَهْدُ) لَوْ لَمْ تَسْتَمِلْنِي لِلأُوْلَى ... لهُمُ حياتِي لاسْتَضاقَ الْمَخْرَجُ
قد جاءَنِي منك الرسولُ نِيَابَةً ... لأنوبِ عنك بِشُكْرِ مَنْ لاَ يَفْحَجُ[2]
لأنوبَ عنك بِشُكْرِ (فيصل) منشدًا ... تَاللَّهِ لَمْ يُجْزِ النشيدُ المُبْهِجُ
لكنْ رَعَاكَ اللَّهُ هلاَّ تستمعْ ... إنَّ النشيدَ بِمِقْوَلِي.. يَتَمَوَّجُ
(يا ابنَ الإِمَامِ) المستعينِ بِرَبِّهِ ... مِنْكَ التواضعُ للعواطفِ يَحْنجُ[3]
طبَّقْتَ شرعَ المصطفى ورشفتَ مِنْ ... آياتِهِ وإلَى الفَخَارِ تُهَمْلِجُ[4]
رِدْ منهلَ الأرْواحِ إنِّي واجِدٌ ... مَغْنَاكَ من فَرْطِ الندا يَتَشَجَّجُ[5]
واشرب فكأسُك مُتْرَعٌ مُتَزَخْرِفٌ ... والحبُّ في أرْواحِنا مُتَبَهْرِجُ
إنَّا تركنا للوُشاةِ حُقُودَهُمْ ... ولقد نَبَذْنا ما يَرُومُ المِغْفَجُ[6]
بدمي أفدِّي كلَّ بَهْلُولٍ به ... سُنُحٌ[7]، إذا شطَّ اللئيمُ الْفَجْفَجُ[8]
هبط اللئيمُ بِلُؤْمِهِ مُتَعَفِّرًا ... وهوَى على زَلِجٍ[9] الرَّدَى يَتَدَحْرَجُ
وانقضَّ في أحشائه سهمُ الرّدى ... وطوَاهُ طيَّ الحادثاتِ الهَجْهَجُ[10]

---

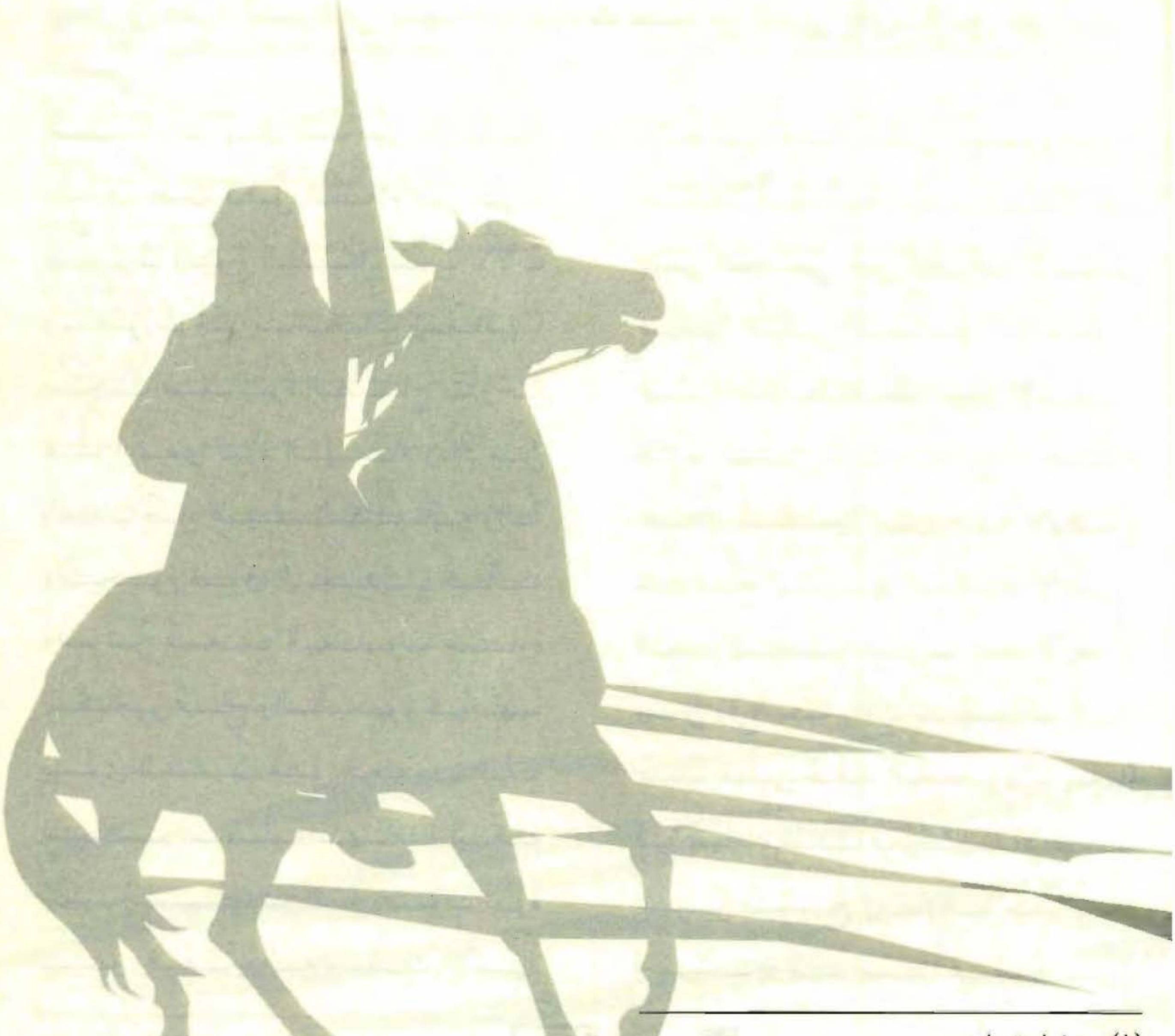
(١) رسغًا دملج: صَلْب أو سَويٌّ لصنعة حسنها.
(٢) لا يفحجُ: لا يتكبر.
(٣) يحنج: يميل.
(٤) تهملج: تسرع.
(٥) يتشجج: يتشقق.
(٦) المعفجُ: الأحمق.
(٧) سُنُح: الميمون، أو الجواد (من سنَح الطير: فَرَّق المياسر إلى الميامن، والعرب يتيمنون به فهو سنيح جمع سُنُحُ).
(٨) الفجفج: الكثير الكلام، الدَّعي.
(٩) زلج: زَلْق (زلج المطان: زلق واملاسَّ فزلت فيه القدم).
(١٠) الهجهج: الأرض الصلبة.

آهِ لِنَجدٍ ما أُحَيْلَى أهلَها..! ... واللهِ ما فيهم جَبَانٌ غَمْلَجُ[١]
قَلْبي (لِنَجْدٍ) مُنجِدٌ يا حَبَّذا ... نجدٌ ففي (نجدٍ) لشِعْرِي عَوْهَجُ[٢]
ما إن تَضِيقُ بي الطبيعةُ مَوْهِنًا ... فالشعرُ كأسي، والأماني فَيْهَجُ[٣]
فلسوفَ تشكُرُكَ النفوسُ بحبها ... والعيشُ عَذْبٌ في جِوارِك خُرْفُجُ[٤]
فَإِنَاؤُكَ الفياضُ بحرٌ زاخِرٌ ... وإناءُ غيرِك في البسيطةِ حَشْرَجُ[٥]
ضَمَّتْكَ ضَمَّ العاشقينَ قُلُوبُنا ... فالعُرْبُ غَابَاتٌ وَأَنْتَ الْخَزْرَجُ[٦]
وتلوت في المَغْنَى (التواضُعُ رِفْعَةٌ) ... واللهُ يَرْفَعُ مَنْ يشاءُ ويُفْلِجُ[٧]
قَالُوا: دَمَقْرَطَةٌ ونحنُ عبيدُهَا ... قومٌ هم نحو التَّغَطْرُسِ أدْلَجُوا
تاللهِ ما فَتِئوا وفي أزواجِهم ... من عَنْجَهِيَّتِهِمْ غَبَاءٌ أدْعَجُ[٨]
إنَّ التَّمَدُّنَ في الكتابِ وحِزْبِهِ ... والمبْلِسُون لَدَى الضَّلاَل تَفَرْنَجُوا
أغْرَتْهُمُ الأهواءُ فَاسْتَهْوَتْهُمُ ... أَلْقَابُها وَخَيَالُهَا يَتَبَهْرَجُ
ما (البَيْكُ) و(البَاشَا) وما أضرَابُهَا ... إلا وَسَاوِسُ يَصْطَفِيهَا الأَهْوَجُ
عَبدوا من الألقابِ أوثانًا وقد ... رَفَعُوا لها المَغْزَى ومنها تُوِّجُوا
لا فَرْقَ بين المَلِكِ إلاَّ بالتُّقَى ... والخادِمِ الصعلوكِ - سُرُّوا أو شُجُوا[٩]
هذا حيالُ البيتِ فيصلُ كُلُّهُ ... شِمَمٌ تَنُمَّ عن العُلا تَتَوَهَّجُ
من أرَشَقِ اللحظاتِ يُبْهِجُ صحبَهُ ... وعليه من سِيما الحِجى مَا يُنْتِجُ

---

(١) الغملج: الذي لا يثبت على حال، المتردد.
(٢) العوهج: الظبية الطويلة العنق.
(٣) الفيهجُ: الخمر.
(٤) العيش الخرفج: العيش الرغيد.
(٥) حشرج: الكوز الصغير ليس فيه إلا الماء القليل.
(٦) الخزرج: الأسد.
(٧) ويفلج: وينصر.
(٨) أدعج: أسود، شديد.
(٩) شُجوا: أحزنوا.

يا فيصلَ الْعَزَمَاتِ قد عرفَ الورَى ... ما أنت إلا للفضائل مَنْهَجُ
فَكَأَنَّ وَجْهَكَ والطبيعةُ غَضَّةٌ ... مَرْجٌ بَدا لِلْمُقْلَتَيْنِ مُخَرْفَجُ[1]



(١) مخرفج: واسع.

(١٤)
تحت ظِلالِ الحَرم

تحت تلك الظلال المقدسة الشذية الوارفة، ينشد الشاعر قصيدته هذه، بُعيد العشاء، للأمير فيصل في قصره الميمون في الشهداء، وكان ذلك بطلب من السري الكريم الشيخ عبد الرحمٰن القصيبي. . !

عُقِدَتْ بأذيالِ الدُّجى الأفكارُ ... والقلبُ فيه على الهوى إصْرَارُ
وَتَدَحْرَجتْ قُلَلُ الظلام من الرُّبا ... خَلْفَ التُخُومِ وهاجَتِ الأنْوَارُ
كُسِرَتْ زُنُوجُ الليلِ لما لألأتْ ... بين الحِمَى عَنْ ثَغْرِهَا الأسْحَارُ
وَتَدَهْوَرَتْ من شامخاتِ شِعَافِهَا ... فَجْرًا على أعْقَابِهَا الأخْطَارُ
ضَجَّتْ سماسِرةُ الصّباحِ بدوْحَةٍ ... غَنَّاءَ فَارْتَعَشَتْ لها الأشْجَارُ
هَذَا ارتدَى بُرْدَ الهُيَّام وذاكَ مِنْ ... فَرْطِ النوى مُتَفَجِّعٌ مُخْتَارُ
وَمُسَاجِلٌ طيفَ الصبابَةِ وَالِهٌ ... جَاثٍ تَمُورُ بِروحِه الأوَطَارُ
وَمُحَوِّمٌ فوقَ الغدِيرِ كَأنَّهُ ... شبحٌ تَبَدَّى نابَهُ الإذْعَارُ
ومرتلٌ شَغَفَ القلوبَ غِنَاؤُهُ ... فتراقَصَتْ طربًا له الأزَهَارُ
الفَجْرُ ساجٍ والشُّعورُ كأنها ... من رَوْعِ ما رَاءَتَ بها تَيَّارُ
يسري النسيمُ على الغصونِ كأنه ... صبٌّ على مُلْدِ الغُصُونِ[1] يَغَارُ
عبثَتْ أنامِلُهُ بهامةِ أيْكَةٍ ... فَزِعَاءَ غَنَّتْ فوقَها الأطْيَارُ
وَتَبجَّستْ من كلِّ صَوْبٍ ثَرةٍ ... عينٌ تَسُحُّ وماؤها خَرْخَارُ
للّه وقفةُ وَالِهٍ مَلَكَ الأسَى ... أحشاءَهُ مُذْ شطَّ عَنْهُ مَزَارُ

(١) الأملد من الغصون: الناعم اللين.

فَثَوَى يُناغِي البِذْرَ في رَيْعَانِهِ ... ولَه لَدَى أمْرِ الهَوَى أطْوَارُ
مَلأَتْ مَحَاجِرَه الدموعُ كأنها ... سُحُبٌ بها هَطْلٌ وهُنَّ غِزَارُ
يَهْفُو وقدْ مَدَّ الظلامُ رَوَاقَهُ ... فوقَ البسيطةِ والحِجَى زَخَّارُ
والنجمُ مُؤتَلِقٌ كأنّ بريقَهُ ... سِحْرٌ له بين الفؤادِ أُوَارُ
والليلُ مُعْتَكِرُ الجبينِ كأنّه ... بحرٌ خَضِمٌّ مَوْجُهُ هَدَّارُ
فكأنني والحادثاتُ رهيبةٌ ... دُقَّتْ بِعَمْقِ جوانحي الأَوْتَارُ
أَتَبَرَّدُ الآلامَ في حَلَكِ الدُّجى ... والأُمْنِياتُ طِوَالُهُنَّ قِصَارُ
هل صخرةٌ أنا يا زَمَانُ صَلِيْبَةٌ ... لَفَحَتْ جَوَانِبَ جِرْمِها الأَقْدَارُ؟.
أو كُلَّما صَارعتُ أشْبَاحَ الأسَى ... سُدِلَتْ عليَّ من الأسَى أسْتَارُ؟..
لولا منادمةُ الخيالِ لصُوِّحَتْ(1) ... مني الغُصُونُ، وجَفَّتِ الأَثْمَارُ
إنّي على رَغْمِ الصدودِ وجُوْدِهِ ... مَحَقَتْ سخيمةَ نفسِيَ الأشعارُ
وتقادَحَتْ جمراتُ عقلي إذ بَدَا ... لِلْمُلْتَقَى بَعْدَ النَّوَى الإِسْفَارُ
فوقَفْتُ أنْسُجُ من فُؤادي جُنَّةً ... عَجَزَتْ بِحَلِّ رُمُوزِهَا الأَخْبَارُ
ناءٍ يُطيفُ عَلَيَّ نَدْمَانُ الهَوَى ... حَتَّى رَوِيتُ ولَيْسَ بي دُوَّارُ
ولقد شفيتُ من الكؤوسِ حَرَارَةً ... أَنَحَتْ على رأسٍ بَرَاهُ خُمَارُ
اتْرَعْ بِرَبِّكَ من سُلافَةِ كاهِنٍ ... تُذْكِي لهيبَ الشوقِ وَهْيَ عُقَارُ
عُصِرَتْ بمجهولِ العُصُورِ وَعُتِّقَتْ ... في دَنِّها ما مَسَّها الخَمَّارُ
هي خمرةُ الأرواحِ يَنْفَحُ ضَوْعُهَا ... بالسَّاهِرِيَّةِ فَضَّهَا المِقْدَارُ
إني لأَمْزُجُهَا بِمَاءِ مَدَامِعِي ... وَلَدَيَّ بين كُرُومِهَا أَعْذَارُ
هِيَ شِرَّةٌ في النفسِ تَقْدَحُ زَنْدَهَا ... ذِكْرى، ولَيْلِي كُلُّهُ تِذْكَارُ

(١) صُوِّحت: يبست.

هي: لَمْعَةٌ في (عينِ لَيْلَى) خِلْتُهَا   وَمْضَ البُرُوقِ، وفي الجَوَانِحِ نَارُ
فَلَقَدْ جَفَانِي النَّوْمُ حَتَّى مَلَّنِي   تحتَ الأَضَالِعِ مَضْجَعِي الْفَوَّارُ
أَفَشِقْوَةٌ؟.. يَا لَيْلُ أَنْتَ أَثَرْتَهَا   أمْ قَلْبُ لَيْلَى لَمْ يَرُعْهُ طِمَارُ؟..
رِفْقًا مَهَاةَ البيدِ هَاكِ قَصيدَتِي   ظَمْأَى، وعَيْشِي كُلُّهُ أكْدَارُ
فلقد تَفَتَّقَت القُرُوحُ فَضلَّ في   أعْمَاقِهَا الْمِقْيَاسُ وَالْمِسْبَارُ[1]
أُذْكي لِقَلْبِي من لِحَاظِكِ شُعْلَةً   تُشْفِي، فَتَفْضَحُ نِغْمَتِي الأسْطَارُ
غَرَّرْتُ فيكِ بِمُهْجَتِي فَتَمسَّكِي   بِعُرَى الهُيَامِ فما لَدَيَّ قَرَارُ
لا تَنْقُضِي الْعَهْدَ القديمَ فإنني   بَاقٍ عليهِ وَلِي بِهِ أَسْرَارُ
لَوْلاَ مُنى في الروحِ فاضَ نميرُها   سَحَرًا لَمَا استَهْوَتْنِيَ الأسْفَارُ
دَنِفٌ تُساوِرُني الشكوكُ فأنْثَنِي   شَجنًا، وليلُ الْعَاشِقِينَ شِجَارُ
هل كانَ يومُ الْبَيْنِ آخرَ ساعةٍ   هَمَدَتْ على خَلَجَاتِهَا الأَذْكَارُ؟.
لا وَالَّذِي أجْرَى ينابيعَ الندى   في الأرضِ، وهو الواحدُ القَهَّارُ
لكنَّ خَلْفَ الحُبِّ حُبٌّ مُشْرِقٌ   زاهٍ له عَلَمُ الطُّمُوحِ إِزَارُ
فأطعتُه رغْمًا على أنفي فَمَا   منه بأيامِ النِّزَالِ فِرَارُ
وشَدَدْتُ رحلي والمصائبُ جمَّةٌ   ومصابِحُ الآمالِ فِيَّ تُنَارُ
وعَلَوْتُ بارقَ عزمتي فتلاطمتْ   في رُوحي الآرَاءُ وَالأَفْكَارُ
وعقلتُ جَنْبَ الْبَيتِ صُبْحًا نَاقَتِي   وَلَعَلَّ صُبْحًا يُضْرَمُ التَّسْيَارُ
ووقفتُ بَيْنَ (الْمَروَتَيْن) تَرُوقُنِي   قُبَلٌ تُرَدِّدُ لَثْمَهَا الأَحْجَارُ
فَوَرَدْتُ وِرْدَ اللاثمينَ بِقُبْلَةٍ   رَنَّتْ عَلَى تَرْجِيعِهَا الأَقْطَارُ
خَلَدَتْ من (الْحَجَرِ الْمُقَدَّسِ) نشوةٌ   في الرُّوحِ تَفْنَى طَيَّهَا الأَعْمَارُ

(١) المسيار: ما يسبر به الجرح.

وتقشعت سحب الظلام (بفيصل)   لمعت صحيفته ورن غرار
أهويت كلتا راحتي مجربا   نفسي، وجرح الأكرمين جبار
وهتفت: (فيصل)..! والضحى متوهج   نورا، جداه فضة ونضار
وخدا نفرت إليك لما رنقت   عيشي، بأرباض (الكويت) شفار[1]
وجمعت أطماري وقد برح الخفا   أفلي الظلام وللأسى أطمار
طورا يجن بي الجنون وتارة   يضبي حجاي سكينة ووقار
فأهاب بي (نجم السعود) موطدا   عزمي وأنت من السعود عذار
السيف إسمك غير أنك فوق ما   عهد السيوف، المخذم[2] البتار
ومن الأرومة طاب فيك نجارها   وبك اشتفت يوم الفخار (نزار)
إن كان فخرا بالجدود فأنت من   (شيبان)، إن هز الكرام فخار
وأبوك سيد يعرب ومليكها   ولكم ذمار في العلا وديار
فخرت بكم حقا سلائل يعرب   بجلالها مذ هبت الأحرار
ولقد أثرتم أنفسا مضرية   عطشى، لها يوم الحفاظ غوار
بكم (العروبة) مشرق سيماؤها[3]   كالبدر لم يحجب سناه غبار
وكأن أركان الفضائل لم تقم   إلا بكم وبغيركم تنهار
وبكم تكشفت العزائم في الوغى   عن شهبها لم يخفها الإنكار
وبكم تململت الأسود يثيرها   حنق، وأيقظ بأسها الجبار
للحق قمتم ما اشتهت نزعاتكم   ولمنكريكم، ذلة وصغار
جذ الرجيم بسيفكم يوم اطبى[4]   أراوحكم يوم القراع ذمار

---

(١) الشفار: الشدّة. وشفر المال: قل وذهب.

(٢) المخذم: القاطع وقد تقدمت.

(٣) السيماء: العلامة.

(٤) يوم اطّبى: يوم اشتداد الأمر.

بِكُمُ اسْتَتَبَّ مِساكُ دَوْلَةِ يَعْرُبٍ   وهَوتْ على أذقانِها الكُفّارُ
ورفعتُمُ للهِ أجملَ رايَةٍ   وَقَفَتْ عَلَى إعلائِهَا الأعْمَارُ
مِنْ جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ كَانَ شِعَارُهَا   وَلَهَا بِكُمْ حُمْرُ الدِّمَاءِ شِعَارُ
نامَتْ عُيُونُ الناسِ حينَ سَهِرتُمُ   للدينِ يومَ تَهَاوَتِ الأقمارُ
وَنَسَجْتُمُ الإكليلَ في كَبِدِ السَّمَا   ليلاً وَتيجانُ الأنامِ عَوَارُ
لا اللَّهْوُ يُصْبِيكُمْ إلى نزواتِهِ   ولكم على نُوَبِ المَصَائِبِ ثارُ
لَمَّا جَسَسْتُمْ نَبْضَ أُمَّتِكُم جَرَى   لِلْعِزّ عُنْفًا منكُم الأخْيَارُ
وَلَهَوتُمُ بالمرهفاتِ وَلَفْحُهَا   سُمٌّ وَمِنْهُ لِلْعُداةِ زُحَارُ
ريعَتْ أُسُودُ الأرضِ من هَبَوَاتِكُمْ   ولكم عليها في الحُروبِ إطَارُ
أمَّا الغُوَاةُ نبَتْ بِهِمَ وَثَباتُكُمْ   ولهم وَبالٌ ماحِقٌ وَدَمَارُ
أذكيتُم لهبَ الوغى فتلهَّبَتْ   زُمَرٌ عَلَيْهَا للعُلا زُنّارُ
وتألّفت فيكم بُعيدَ شتاتِها الـ   آبـاءُ، والأبْنَاءُ، والأصْهَارُ
تَتَزَاحَمُ الأبطالُ حَوْلَ لَوائِكُمْ   لِلْحَقِّ وَهْيَ مَلائِكٌ أطْهَارُ
«لِلّهِ دَرُّكُمُ وَدَرُّ أبِيكُم»   (عبد العزيز) السيدُ المِغْوَارُ
نِيطَت بكم أرواحُنا وتَعَلَّقَتْ   بِعُرَاكُمُ الآمَالُ وَهْيَ كِبَارُ
أبِمَجْدِكُمْ آلَ السُّعودِ وَعِزِّكُمْ   كُثُبُ المَرَابِعِ، وَالسُّهُولُ تُزَارُ؟..
أكرِمْ بِهَا رَيَّانَةً جَنَبَاتُهَا   بالأُنْس وهو الصَّيِّبُ المِدْرَارُ
مهلاً سَلِيلَ الأكْرَمِينَ لَئِنْ بَدَا   شَجَنِي فَمَا لِي عَنْ هَوَايَ نِفَارُ
إذْ أنتَ للأحرارِ أحْصَنُ مَؤْئِلٍ   رَحْبٍ به كأسُ الحَيَاةِ يُدَارُ
ضُرِبَتْ بكَ الأمثالُ وهي بديعَةٌ   صَحَّتْ بِهَا بِمَسِيرِهَا الأخْبَارُ
وتضارَبَتْ فيكَ الرُّوَاةُ وقد شَفَى   كَبِدِي بِيَوْمِ لِقَائِكَ السُّمَّارُ

تفديكَ يا قطبَ المُزَاةِ قلُوبُنا[1] ... واسلَمْ فأنْتَ الكوكبُ السيَّارُ
وافخَرْ على رأسِ الطَّلائِعِ سَيِّدًا ... إن الشبيبةَ عَزْمُهَا كَرَّارُ
ولك الشيوخُ إذا نطقْتَ مُرِمَّةٌ ... فاحْكُمْ لَكَ الإعزازُ وَالإكْبَارُ
اضربْ بسيفِ الشرعِ أعناقَ العِدَا ... حَطِّمْ، فإنَّ نبيَّكَ المُخْتَارُ
ولك الخَيَارُ بما تَراهُ صَالِحًا ... للدين مَا لِسَوى مُنَاكَ خَيَارُ
بمشيئة الباري بَنَيْتُمْ عِزَّكُمَ ... إذ أنْتُم لِكِتَابِه الأنْصَارُ
هذا (الكِتَابُ) وتلك (سُنَّةُ أحمَدِ) ... رُفِعَا بِكُمْ وَانْدَكَّتِ الأوْزَارُ
(البيتُ) يبسُمُ والحِمى مستبْشِرٌ ... شَبَه العروسِ يَرُوقُهَا الإبْكَارُ
تَبْدُو ذُكاءُ بِعَسَجَدِيِّ شُعَاعِهَا ... فَوْقَ المُرُوجِ وَلِلْهَوَى اسْتِعْبَارُ
والطيرُ شَدَّاءُ السُّرورِ مُغَرِّدٌ ... والماءُ مُنْسَكِبُ الصَّفَا مَوَّارُ
إني رأيتُ بكلِّ شيء آيةً ... لِلَّهِ قَدْ كُتِبَتْ لَهَا الأسْفَارُ
كُلٌّ يُوَحِّدُ رَبَّهَ وَلَهُ مِنَ التَّـ ... ـرتيلِ مَا اهْتَزَّتْ لَهُ الأشْجَارُ
جَهَّزْتُ (يَا نَجْمَ السُّعودِ) قَصِيدَتِي ... هَذِي وَدَارَ لَهَا بِفَيِّ صِنَارُ[2]
وأقمتُ في روض الخلود سِنَادَهَا ... فَأَقِمْ لِوَاهَا، إنْ يقالُ عِثَارُ
مِنْ لَوْعةِ الأرواحِ جاء رَوِيُّهَا ... ومِنَ المشاعرِ نِقْسُها[3] الثَّرَّارُ
لو جئتَ تَنظُرُ والظلامُ مُخَيِّمٌ ... نَخوِي وقلبِي جَاشَ فيه سُعَارُ
أتَصَيَّدُ الأفكَارَ وَهْيَ سَوانِحٌ ... شِبْهَ الظُّبا قَدْ رَاعَهَا الإذْعَارُ
حَتى قَضَيْتُ عَلَى فِنَاهَا لَيْلَةً ... تُزجى بِيَ الحَسَراتُ وَهِي حِرَارُ
أوْغَلْتُ في جَمعِ الشَّوارِدِ وَالهَوَى ... مَوْجٌ لَهُ بَيْنَ الفؤادِ غِمَارُ

---

(١) المزاة: العظماء.
(٢) صِنارُ: بَهاء.
(٣) نِقْسها: مِدارُها.

فَأَقِلْ عِثَارَ جَمَالِهَا الوَسْنَانِ إذ   هِيَ مِثْلُ لَيْلَى حُرَّةٌ مِخْفَارُ
فَإِذَا أَتَيْتُكَ بِالْقَصِيدَةِ فَارْعَهَا   عَطْفًا فإنّ فتى العَفَافِ يُجَارُ
هِيَ قِطْعَةٌ من مهجتي أوْ من دَمِي   جُرَعٌ، وَلَيْلِي في حِمَاكَ نَهَارُ
فَاشْرَبْ فَدَيْتُكَ مِنْ سُلافِ[1] مَشَاعِرِي   فَلَقَدْ بَرَا مِنْ حُبِّكَ الإِسْكَارُ

(١) السّلاف: الخمر.

(١٥)

ظِلاَلُ التَّوْحِيدِ

أنشدت في قصر الملك عبد العزيز في (البياضية) في بطحاء مكة المكرمة، بعد العشاء، خلال الحفلة التي أقامها الملك لضيوفه من جميع طبقات حجاج بيت الله الحرام، وذلك قبيل الحج.

بَسمَ الكونُ، فَانبرَى الصَّدَّاحُ   يتغنَّى والأمِنيَاتُ مِلاَحُ

واعتَلى مِنبرَ الحياةِ مُغَنٍّ   ألمَعِيٌّ يُصْبِي القلوبَ صُباحُ

قامَ يستنْهِضُ النفوسَ بذكرَى   وَثَبَتْ عِندَ فجرِها الأرْوَاحُ

هي ذكرَى المجدِ الأثيلِ أُديرَتْ   من حُمَيَّا جَلاَلِها الأقْدَاحُ

وَقفةٌ حَوْلَ (كعبةِ اللّه) تُشْجِي   من ثُغُورٍ رُضَابُها نضَّاحُ

بعَثَتْ بي للأعصُرِ البيضِ لَمَّا   رَفَعَتْنِي إلى الهُيامِ رَدَاحُ[١]

غادةٌ شِبْهُ صفحةِ الشمسِ تِيهًا   برزتْ في الحِمى فَلاَحَ الصَّباحُ

والمغاني الحسانُ هيَّجْنَ وَجْدِي   وبقلبي من حُبّهِنَّ جِرَاحُ

فكَأنّي بِعِشْقِهَا (قَيْسُ لَيْلَى)   نَابَهُ في الغَرامِ أمْرٌ مُتَاحُ

أنا أهوى مَهدَ العُرُوبَةِ فيها الـ   ـعِزُّ والفضلُ والعُلاَ والصَّلاَحُ

أنا أهوى (حِمى الجزيرةِ) أهْوَى   طولَ عُمرِي وَمَا عَلَيَّ جُناحُ

أنا أعلنتُ للجزيرةِ جُهْدِي   فَعُذُوّي بها، وَفيها الرَّوَاحُ

قَد تَذَوّقْتُ لذةَ العيشِ فيها   حَبَّ هَذِي الرُبَا وَتِلكَ البِطَاحُ

وعرفتُ النعيمَ بينَ بَنِيهَا   فهمُ الأسدُ والأُباةُ الفِصَاحُ

---

(١) الرداح: المدة الطويلة.

نشقةٌ من هوائِها الطَّلْقِ عندي   كعبيرِ الفِرَدَوْسِ فيها ارْتِيَاحُ
جرعةٌ من زُلالِها العَذْبِ تُشْفِي   لِهَبَ القلبِ وهي للرُّوحِ رَاحُ
أنا يا عاذِلِي خَلَعْتُ عِذَارِي   بِهَواها وَهْيَ المُنَى وَالفَلاَحُ
وتَهَتَّكت بين (أرْبَاعِ لَيْلَى)   ومن الحبِّ لي لِلَيْلى وِشَاحُ
يا بلادي لك الخلودُ بروحي   لا أبالي إنْ نَابَنِي الاجْتِيَاحُ
يا بلادَ الإسلامِ يا جنةَ الفِرْ   دَوسِ تزهو بدارِكِ الأفْرَاحُ
يا عرينَ اللُّيوثِ يا دارَ عَدْنَا   نَ فَخَارًا فيك الْعُلاَ وَالرِّيَاحُ
أنا أهْوى مجدَ العروبةِ يا مَنْ   مِنْكَ رَاحٌ يوم الجِلاَدِ مُبَاحُ
أنتَ عَلَّمْتَنِي بديعَ الْقَوافي   مِنْ محيًّا كَأنَّهُ مِصْبَاحُ
أيّ قَرْمٍ سِوَاكَ يا ابْنَ نِزَارٍ   بِحِمَانَا انْبَرى به الإِصْبَاحُ
قد أُنيرتْ بك الشعورُ بِلَيْلٍ   عَيَّدَتْ جنحَهُ بِنَا الأَتْرَاحُ(١)
فتولَّى ذاك الظلامُ وثارَتْ   بَعْدَ لأيٍ بِعَزْمِك الأشْبَاحُ
مَهَّدَ اللَّهُ فيك للدين مَجْدًا   وَبِمَسْعَاك شِيدَ لِلْعُرْبِ سَاحُ
أيُّ شيءٍ يعوقُنا أنْ نُلَبِّي   لك أمرًا يُصْغي له النُّصَّاحُ
لا تَلُمْنِي (عَبْدَ الْعزيزِ) إذا ما   هاجَ بي الْوَجْدُ وَاعْتَلَى بِي الصِّيَاحُ
إنما أنْتَ عِلَّةُ الحُبِّ فينا   وبرأسٍ من الحَمَاسِ لَحَاحُ
حقَّقَ اللَّهُ فيكَ عَذْبَ الأمَانِي   يَا إمَامُ سَنَاؤُهُ لَمَّاحُ
إيه (آلَ السعودِ) فخرًا على الأقْـ   ـوامِ دهرًا بكم تَرَدَّى الطَّلاَحُ(٢)
كلُّ يومٍ لكم مآثرُ شتّى   ضاقَ عن حصرِ عَدِّها الإِفْصَاحُ

---

(١) الترح: محرّكة الهمّ.
(٢) الطّلاح: الفساد.

لذّةُ العَيْشِ في ظِلالِ حِماكُمْ ... وعلى هاجِريكُمْ المِكشَاحُ[1]

رُبَّ فَذمٍ عَوَى فَليسْ يَضُرُّ - ... - الشمسَ من ذلك الْعُتُلِّ النِبَّاحُ

أو جهولٍ يهوِي هُوِيًّا تَضلّى ... خَرَّمَتْهُ مِنَ الحُقُودِ رِمَاحُ

لكُمُ في الحياةِ أفضلُ ذِكْرِ ... نَقَلَتْهُ الأَرْوَاح ثُمَّ الرِّيَاحُ

ما رأينَا في الكونِ أجملَ مِمَّنْ ... لِبسَ الدينَ لَمْ يُشِنْهُ الجِمَاحُ

إنَّمَا الدينُ قُوَّةٌ من قُوَى ... اللَّهِ فَهَلاً ارعَوَى الْغَرُورُ الشّحَاحُ

رَبِّ أيّد لِمُنقِذِي الشَّرْعِ عَرْشًا ... وَلْيَكُنْ دَائِمًا لَدَيْهِ النَّجَاحُ

غدًا الحجُّ فَاسْتَجِبْ لِي دُعَائي ... فَلَقَدْ هَزَّنِي إلهي الْكِفَاحُ

وَلْيَعِشْ كُلُّ مُسْلِمٍ يَتَفَانَى ... في سَبِيلِ الإِسْلامِ مَا اخْضَرَّ سَاحُ

وَاهْتفُوا يَا أُسُودَ قَوْمِي ليَحْيَا ... في الْحَيَاةِ المُؤَيَّدُ الْجَحْجَاحُ



(١) المكشاح: حد السيف.

(١٦)

الملحمة اليتيمة

يَوْمُ الزِّينَة «أمام جبل النور ودوين منى»[(١)]

رفَّ الجمالُ (على حِمَى عَدْنَانِ) ... يَسبي العقولَ بحُسنِه الفَتَّانِ
يَا أيَّها السارُونَ ليلاً حَسْبُكُمْ ... عُوجُوا اسْمعُوا مِنِّي نشيدَ جناني
وَاصغُوا لِتَرْتيلِي المُثيرِ لَعلكُمْ ... تَرثُونَ للقلبِ الكليم الفانِي
أنا عَاشِقٌ حسبُ العَذُولِ فإننِي ... (أهوَى خَيَالَ المَجْدِ) في الْبُلْدَانِ
يَا مَجْمَعَ الأَحْيَاءِ (في أُمِّ القُرَى) ... تَاللَّه طَوَّفَ في البَيَانِ لِسَانِي
دِينِي جمالُ الكَوْنِ (دينُ مُحَمَّدٍ) ... مِنْ سالِفِ الأجيالِ وَالأَزمَانِ
هو نُورُ هذي الأرضِ بَل هُوَ نَارُهَا ... أَعجِبْ بذي الأنوارِ والنِّيرانِ
المؤمنون تشعشعوا بضيائه ... لمّا تَجَلَّتْ روعةُ الإيمانِ
والمارِقُونَ تقلبوا بِجَحيمِهِ ... لما رُمُوا بوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ
يا (أُمَّةَ الإِسْلاَمِ) عيشي وَاهْنَئِي ... عِيدَانِ للإسْلامَ مُزْدَوِجَانِ
أهنيكُمُ يا مسلمونَ بِحَجِّكُمْ ... فاستبشروا بِالعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
وَتَنَعَّمُوا بِمَثُوبةٍ تُزْجَى لَكُمْ ... من عَالِم بالسِّرّ والإِعْلاَنِ
فتمسكوا (بالعروة الوثقى) ولا ... تستسلموا للذُّلِ والخذلانِ
وتألَّفوا وتعاضدوا وتكاتفوا ... إن التفرُّق آفةُ السُّكَّانِ
وتدرَّعوا بالمكرمات فدينكُم ... بين البرية (سَيِّدُ الأديانِ)

(١) نشرت في جريدة أم القرى، العدد ٢٨٤، في يوم الجمعة ١٧ من ذي الحجة ١٣٤٨هـ.

وتدارسُوا (الشرعَ الشريفَ) ومحِّصوا الـ إسلامَ بالإجهاد والإدمانِ
وتجنبوا شَتَّى الطرائقِ واهجُروا زُمَرَ الضلالِ ومَجْمَعَ الخُوَّانِ
لاندَّ للخلَّاقِ في ملكوته وهو المنزَّهُ عن شريكٍ ثانِي
العونُ منه ولا تنادُوا غيرَهُ عند الشدائد يا أُولي الأذهانِ
في المسلمين اليومَ داءٌ مُزْمِنٌ أكلَ العقولَ وحطَّ بالآذانِ
هو ذلك الوَهْمُ الغَريبُ أصابَهُمْ وسرى كمسْرَى الخَمْرِ في السكرانِ
قبضوا على الأوهام ثِمَّ تمرَّغُوا في حَمْأَةِ الإضلالِ والبُطْلانِ
هذا من الإلحاد جُنَّ وذاك مِنْ هوسِ الجُمُودِ حياتُه كَدُخَانِ
أو جاهلٌ قد ضَلَّ عن سُبُلِ الهُدى وثوى هَلُوعَ الْقَلبِ كالظمآنِ
لا تلمَسُوا الإسلام في أهوائكم بل نقِّبُوا عنه بذا (الْقُرْآنِ)
وتتبعوا (سنن الحديث)، تأثَرُوا سلفًا، وخَلُّوا منهجَ العِصيانِ
الدِّينُ يبرأُ من خُرافةِ مشركٍ ما تلك إلا (ضَلَّةُ الْيُونَانِ)
هم عَدَّدوا الأرباب قِدْمًا وانثنوا يأتونها لِلَحَجِّ بالإذْعَانِ
سِخْ في (بلاد المسلمين) تجدْ بِها (أهلَ القُبورِ) ودولةَ الأوثانِ
(قبرٌ بِعَاصمةِ الرَّشِيدَ) وآخرٌ (في مصرَ) (للبَدويِّ) و(الجيلاني)
(بجِزيرة العُرْب) الكرام عقيدةٌ سَلِمَتْ من الأوهام والأدرانِ
أهوى الجزيرةَ قبلَ منبتِ عارِضي بل قبلَ تكوينِ الإله كيانِي
لجبالها وتُلولِها وسهولِها ورمالِها حبٌّ سما فبرانِي
إني لأشعرُ بالسُمُوِّ يحُفُّنِي بين الجبالِ السُّودِ وَالكُثبانِ
كم وقفةٍ ما بين (نجدٍ) و(الْحَسَا) و(النِّيرِ) أحييتُ كامنَ الأشجانِ
وعلى (تِهَامَةَ) كم سكبتُ مدامعًا سَحَّتْ لها من سُحْبِها أجْفَانِي
لِلَّهِ ما أحلى (الحجازَ) وكم سرى طيفٌ أثار بمهجتي تَحْنَانِي

أُسْمِعْتُ أنَّاتِ الجدودِ فَلَوَّعَتْ ... قلبي الشجونُ وفيَّ رَوْحُ أَمَانِي

أبدًا أحِنُّ وفي الحنينِ لذاذَةٌ ... للعقل إن مُزِجَتْ بِلُطْفِ بَيانِ

كم ضجعةٍ فوق الصخور حسِبْتُنِي ... فيها ضَجِيعَ نَمَارِقٍ وَجِنَانِ

ولقد وقفتُ اليومَ جنبَ (مِنىً) وَلي ... صوتٌ يردِّد أعذبَ الألحانِ

لِلَّه بين المسلمين أَزُفُّهَا ... أُغرُودَةً تَرْجِيعُهَا أحيانِي

إني أشدت بها مآثِرَ أُمَّتي ... للدين والتاريخ والأوطانِ

قومي بنو عدْنَان أبطالُ الورى ... سادوا الأنامَ بطاعة الرحمٰنِ

ملكوا عنانَ الأرضِ دهرًا يوم أن ... هَبُّوا على اسم القاهرِ الدَّيَّانِ

نَقَشَ[1] الخُلُودُ بِصفحتيهِ أحْرُفًا ... كَالتِّبْرِ تزهُو رُصِّعَتْ بجُمَانِ

ضَاءَتْ على كر العصور كأنَّهَا ... شُعَلٌ تضيء وتختفي لِلَعَانِي

وكأنَّها النِّبْرَاسُ للسَّاعِينَ في ... وَغْرِ الجِهَادِ بلا ونىً وتوانِي

فاسأل (فَرَنْسَا) عن جلال خلودها ... وابحث عن الآثارِ في (الأَسْبَانِ)

وانظر تَلُولَ (القَيرُوانِ) بنظرة ... ظَمْأى، وسل (رُومَا) عن الفُرسانِ

واسأل (أوروبا) مَنْ أَثَارَ حَمَاسَهَا ... للعلم والأخلاقِ والعِرْفَانِ

تنبيك (عن مَجْدِ العُرُوبَةِ) إنهُ ... أُسُّ الحضارةِ رَهْنُ كلّ مَكَانِ

واطرقْ رُبوع المشرقين مُسَائلاً ... عن تالِدِ التَّمدينِ وَالعمرانِ

للعرب يُنْمَىٰ كلُّ عِزٍّ باذخٍ ... والعُرْبُ ساداتٌ بكل زمانِ

واللَّهِ لم تَهْلكْ سليلةُ يَعرُبٍ ... لكنها هجعت على الأحزانِ

رقدت بملءِ جُفُونِهَا وتوسَّدتَ ... حَجَرًا من الآلام والحَدَثانِ

رقدتْ على ثوبِ الدُّهور ونَابُهَا ... بَرْخٌ مِن التخديرِ واليَرَقَانِ

(١) هكذا في الأصل، والصواب: نقشوا.

لكنها نَهَضَتْ وفي أعضادِهَا   شِبْهُ الفُتُورِ كنهضةِ الكَسْلاَنِ
رَشَقَتْ بِنَجلاوَيْن مهجةَ ضَيْغَمٍ   والفجرُ يُرسِلُ بُرْدَه بأَمَانِ
فتهافت (البطلُ العظيم) وفي الحجى   للمجد فكرةُ مُنقِذٍ متفاني
اللّه شدَّد عزمه وَقُواهُ في   يوم الطِّرادِ بحومَةِ الميدان
بطلٌ إذا ذُكر المُزاةُ فإنه   قُطْبٌ لهم من شاسعٍ أوداني
ينهى ويأمر باسم شَرْعِ المُصْطَفى   فيُطاعُ دون تطلُّع لِضَمَانِ
يا حامِيَ البيتِ الحرامِ أليَّةً   لك في الفؤادِ العهدُ من ولَهانِ
فامدُدْ يَدَيْكَ فكُلُّنا بك نرتجي   تشييدَ مجدٍ شامخ البنيانِ
ولقد أنطْنَا فيك أشطانَ المُنى   فَافتِلْ بكفك أطيبَ الأشطانِ
إذ أنت أكرمُ مُنقذٍ عَرفَ الحِمى(١)   بصفائك البَرَّاقِ كالعِقْيانِ(٢)
حَقِّقْ أماني العُرْب يا قُطْبَ المنى   واضربْ بسيفك عصبةَ العُدوَانِ
وارفعْ لواءَ المسلمين بعَزْمَةٍ   شَمَّاءَ في الصحراءِ والوِدَيانِ
(أرضِ الجَزيرة) ملتقى الأبطالِ في   يومِ الجهادِ المُقْبلِ الغضبانِ
تأتي الوفودُ إليك وَهْيَ حصينةٌ   بِنَقاوةِ الأفكَارِ وَالوِجدَانِ
بالعُروةِ الوُثقى ندينُ ونحتمي   بِكَ بعد ربِّ العَرش عن إهْوانِ
فاضربْ لها وَعْدًا لِتَجْمَعَ شملَهَا   صبحًا وتزأرَ في (حِمَى قَحْطَانِ)
في الشرقِ قومٌ للجزيرة أشرفُوا   بقُلُوبهم والكُلُّ ضِمْنَ رِهانِ
وقفُوا على خَطِّ الحُدُودِ وَدونَهُمْ   أملٌ يُضيءُ بداخِلِ الأجْنانِ
لِشُيُوخ يَعرُبَ في المحافل ضجةٌ   غضبى(٣) تُفَجِّرُ حِدَّةَ الأذهانِ

---

(١) في «أم القرى»: إذ أنت أبرك منقذ عرف الورى.
(٢) العقيان: أصفى أنواع الذهب.
(٣) في «أم القرى»:
لشيوخ يعرب في العواطف ثورة   حيرى ....

وعلى خطوط النار[1] آسادٌ هُمُ ... من مجمع الشبان والشيبانِ
يتناوبون لظى الكفاحِ وما وَنَتْ ... أكتافهم بتعنُّت الطغيانِ
حملوا التروسَ وفي الأكف صوارمٌ ... لَمَعتْ على الأعناق والأذقان
ورَدوا وما ورَدوا الهناءَ وصارعوا ... شَبَحَ الهوانِ فرُوِّعوا[2] بهوانِ
حُرِموا تُراثَ الغابرين وخيَّموا ... بالقَفْرِ في نأيٍ عَنِ الإخْوانِ
عبثت بهم أيْدِي الْقَوِيِّ وشُتِّتُوا ... قسرًا فضجَّ من الردى الثَّقَلانِ
ويحَ الغَشوم من الضعيفِ فإن في ... نار الضعيف تأجُّجَ البُركانِ
ويحَ الغَشوم من الضعيف فإن في ... نار الضعيف[3] تفجُّرَ الغَلَيَانِ
فاقصف رؤوس الظلمِ يا خِذْمَ الوغى[4] ... واعصِف بها بصوارمٍ وسِنانِ
طاشتَ قُدُورُ الهَوْلِ فاطفىء نارَها ... بإشَارَةٍ تُرْدي العدا بِبَنانِ
العُربُ[5] لو جمعوا الشتات بِرَبْعِهِم ... في الأرضِ[6] مَا صَارُوا بِذَا الخِذْلاَنِ
هذا هو التاريخُ أصدقُ شاهدِ ... للعُرب عند تصاولٍ وطِعانِ
العُرْبُ يا (مَلِكَ الجزيرة) أمةٌ ... تهواك حتى زُمْرةِ الولدانِ[7]
هم وُلْدُكَ المتأجِّجون حماسةً ... فاضرب بهم يا مطمح الجيرانِ
ضربوا القفار إليك وَخْدًا والدُّجى ... كالبحر ساجٍ ضاربٍ بِجِران
تتراقص[8] الآمالُ بين جنوبهم ... شبهَ الغواني الغيدِ[9] والغِزلانِ

---

(١) في «أم القرى» وعلى تخوم الحرب.
(٢) في «أم القرى»: ورُوِّعوا.
(٣) في «أم القرى»: نفس الضعيف.
(٤) في «أم القرى»: يا عَلَم الهدى.
(٥) في «أم القرى»: فالعرب.
(٦) في «أم القرى»: في الكونِ.
(٧) في «أم القرى»: زمرة الشبان.
(٨) في «أم القرى»: تتراوح.
(٩) في «أم القرى»: الغُرّ.

(من مهبطِ الوَحْيِ) استمدُّوا قوةً ... فتها فتُوا لِلْبِيضِ وَالْمُرَّانِ
ورنَوا إلى قَبَسِ المُنى متألِّقًا ... في قلب (نجدٍ) موئل الضِّيفانِ
هذي طلائع مجدك السامي أتت ... ترعى نداءك يا عظيمَ الشَّان
آل السُّعود ولو أردتَ[1] وليدهم ... فَرِضًا بيَومِ الحرب غيرَ جَبَان
همْ عصبة اللَّه الذين إذا مشَوا ... للحرب كانوا الخُمسَ لِلفُرقَانِ
شُكُسٌ إذا سَلّوا السيوف بواسلٌ[2] ... وَهُمُ بيومِ السِّلْمِ كالرَّيْحانِ[3]
هذا (وليُّ العَهدِ) ضَمَّ فؤادَه ... ضَمَّ المحبِ حرارةَ الإيمانِ[4]
والنَّدْبُ (فيصَلُ) كالشهاب إذا جرى ... في حَلبَةِ الهيجاء للأقرانِ
(وَمحمّدٌ) رمز الذكاء و(خالدٌ) ... في دوحة العليا هما صِنْوانِ
والشهم (عبد اللَّه) ذو العقل الذي ... دارت عليه مجامعُ الشُّجعانِ
هذي أقانيم البطولة كُلّها ... لم يَغزُها داءٌ من النقصانِ
إن كان فتح في (منىً) عَمِلَتْ به ... أيدي الذّؤوبِ الحازم القطّانِ
فلأنتَ أفضلُ[5] فاتِحٍ في عصرنا ... وعلى (منى) شَطْرٌ من البُرْهانِ
اليوم يُفتَحُ حولَ (مَكَّةَ) شارعٌ ... وغدًا نرى باللَّه فتحًا ثاني
نصرٌ[6] له هامُ الحِرابِ مَفَاتِحٌ ... وعلى العدا سيلٌ مِنَ الْقَطِرانِ
يا ناسِجِ البُرْدَينِ، بُرْدَ المُرتقى ... فخرًا، وبردَ الدِّين بِالْإتقانِ
العلمُ إن تُعْلي لِواهُ فإنه ... للمُلك أُسٌّ راسخُ البُنيَانِ

---

(١) في «أم القرى»: قصَذت.
(٢) في «أم القرى»: ضياغم.
(٣) بعد البيت السابق في نص «أم القرى»:
يتواثبون إلى الكفاح إذا رنا ... طرْفُ الإمامِ لكريمه الخُرْصان
(٤) في «أم القرى»: عوامل الرجحانِ.
(٥) في «أم القرى»: أكبر.
(٦) في «أم القرى»: نصرًا.

والجهل ناموسُ الخراب لأمةٍ ... هرعَتْ لِوردِ المقصدِ الريَّانِ
أملٌ يُخَامِرُني وإنّي وَاثقٌ ... باللَّه، أنَّك مُنهِضُ الوَسنَانِ
فلسوف تبنى في حمى (نجدٍ) ضُحى ... دَارَ العلوم لِزُمرة الفِتَيانِ
وتميسُ أكنافُ (الحسا) بِمَدارِسٍ ... من بعد ليلِ الجهلِ والحِرمَانِ[١]
وتكونُ أرجاءُ الحِجَازِ كأنَّها ... تاجٌ يُفَاخِرُ أجملَ التِّيجانِ
في ذِمَّةِ التاريخِ دونَك فِتيَةٌ ... بِهِمُ الذكاءُ يَغُور في الأكْنَانِ
لو هُذِّبُوا لرأيتَ كيف نُبُوغهُم ... متلألِئًا كَوَشَائجِ الأفْنَانِ
لو عُلِّمُوا العلمَ الصحيحَ لَشَاطَروا الـ ... عليا بحظٍ راجحِ المِيزَانِ
إني أخاف (على فتى عدنانَ) من ... وَغْدٍ يُفسِّدُ خُلْقَه أو جَانِ
إني أخاف (على فتى عدنانَ) من ... رَهْطِ الشرورِ وعُصْبةِ الشيطانِ
إني أخاف (على فتى عدنان) من ... غاوٍ يغولُ بمخلَبِ السِّرْحَانِ
إني أخاف عليه خوفَ مُرَوَّعٍ ... من نزعةِ الإلْحَادِ منْ أقْرَانِ
إني أخاف عليه خيفةَ هالعٍ ... من خُدعةِ الشَّيطانِ والغيلانِ[٢]
رفقاً بهذا الطهر يا حامي الحمى[٣] ... أدْرِكْ فَدَيتُك عُصْبةَ الصبّيانِ
ابْنِ المدارسَ[٤] وليَعمَّ شعارُها ... بحرًا وبرًّا مجمعَ الوِلدانِ
هم يا (إمامَ المسلمين)[٥] طلائعُ الـ ... علياءِ للأوطانِ بعدَ زمانِ
هم يا إمام المسلمين[٦] بشائرُ الـ ... مجدِ الأثيلِ الباسِمِ الجذلانِ

---

(١) هذا البيت في «أم القرى»:
وتميس أكناف الحساء بمعهد ... للدين والأخلاق من حرمان
(٢) في «أم القرى»: من خدعة الإفسادِ والبُحْرانِ.
(٣) في «أم القرى»: يا رمز الهدى.
(٤) في «أم القرى»: فابن المدارس.
(٥) في «أم القرى»: هم يا أمير المؤمنين.
(٦) في «أم القرى»: هم يا أمير المؤمنين.

أولادُ دَوْلَتِكَ الفتيَّةِ كلُّهُمْ   بك علَّقوا الآمالَ رهنَ تفانِي(١)

قُدْها، فأنت المستعينُ بخالقٍ   متنزه عن قولِ ذي بُهتانِ

قدها، إلى أوجِ الرُّقيِّ فهذه   أفواجُها تأتيك دون توانِي(٢)

وَجَدَتْ بك اليومَ الرهيبَ مُجلّياً   بسنا الحقيقة فتنةَ اليقْظانِ

هَتفتَ مَعَاذَ اللّهِ يا حامي الحمى   أن ننقضَ الميثاقَ بالإذْهَانِ

ما يومُ تشميرِ الجزيرةِ ضحوةً   للحق إلاّ (سُنّةُ الأكوانِ)

عصرانِ: عصرٌ قد هوت أركانُهُ   واليَوم عصرُ تَجَدُّدِ الأركانِ

هي سنةٌ قد سَنَّها ربُّ الورى   إنَّ التطوُّرَ مسرحُ الإنسانِ(٣)

هذي الحياةُ وكلُّنا عشاقُها   والناسُ إمّا صاعدٌ أو دَانِي

نفنىٰ ويبقىٰ طيلةَ الأجيالِ في   الدنيا صنيعُ الفضلِ والإحْسَانِ

يا منقذَ الإسلام والأوطانِ كم   لك في تعاريجِ الصُّعود(٤) يدانِ

أحيا بك اللّهُ العظيمُ مَوَاتَنَا   يومَ الصِّراعِ وأنت أكرمُ بانِي

شهدتْ لك الدنيا بأنك ثائرٌ   للحقِ، ثِبْ..! يا مُدرِكَ الأوطانِ(٥)

---

(١) في «أم القرى»: علقوا الآمال بالإيمانِ.

(٢) في «أم القرى»: أفواجها في الحرب كالعقبانِ.

(٣) في «أم القرى»: غاية الإنسان.

(٤) في «أم القرى»: الكمال.

(٥) هذا البيت في «أم القرى»:

شهدت لك الدنيا بأنّك واحدٌ   يا واحد الإسلام والأوطان

(١٧)
التَّحَايَا وَالتَّهَانِي[1]

أنشدت للأمير سعود ولي العهد في قصر البياضية، في بطحاء مكة، يرحب بها بالأمير ويهنئه بالحج المبرور.

تَرنّى فأشْدى مُذْ شَفى قلبَه الرِّيُّ حبيبٌ له من مهجتي الوِرد والرِعْيُ
ألَمَّ على أيكِ الجوارِح شاديًا وأثوى على نفسي له الأمرُ والنَّهْيُ
تلاعبَ في الأفكار ما شاء حكْمُهُ أميرٌ هوى قسرًا على حكمِه الرأيُ
فقُمتُ على رَغْمِي وأخْفيَّةُ الكرى يُعابثها التَّشهيد، يُغشينِي الأَنيُ
ففاحت بريا اليلمعيّين[2] نغمتِي ينمُّ عليها هاتفُ الحب والدَّهْيُ
أرىٰ ظلَّ ليلى وانبرى موكب الضحى بهيًا عليه من ندا مِقولي وشْيُ
ومن شرف الإخلاص أنِّي شاعرٌ يسيل هيامًا للأُباةِ بِي الحَيُّ
فأقتافُ للشعر الشواردَ دائبا فيسمُو بنفسي فوق مجهودِي الثَّنْيُ
أنارَ فمي غمرُ الرِّداءِ ببسمة فأرخيتُ رأسي إذْ يُسَاجِلُني الأَلْيُ
تَجَمّى[3] جِيالَ البيت شُمُّ مَعَاطِسٍ[4] على رأسهم حامٍ حمى حُبُّهُ الْحَيُّ
يحفُّ به في الربع أبطال وائل وأبطاله في البيت يُصبيهم الفقيُ
ولَمَّا قضى ركبُ الرياضِ طوافَه وناداه داعي المروتين أو السَّعْيُ
تَجلَّىٰ وليُّ العهدِ نفسي فداؤه على معبر الترحيب يزهو به الزَّيُّ

---

(١) نشرت في جريدة «أم القرى» بتاريخ يوم الجمعة ٣ محرم الحرام ١٣٤٩ هـ.

(٢) اليلمعي والألمعي: الذكي المتوقد.

(٣) تَجَمّى: تجمع.

(٤) شُمُّ مَعَاطِس: شُم الأنوف أي أعِزاء.

ولمّا بدا في جانب البيت مُخرِمَا ... حَضَا نارُ وجدي بعد أن حفَّني النَّأْيُ
فَجَابَهْتُهُ والقلبُ يقطر رقةً ... وحِسًّا له شحذٌ بفكري أو بَرْيُ
سلوتُ هجوعي والهوى يستحثني ... لنجدِ تهاوى في مضاجِعِي الدَّأْيُ
وماجتْ بأفواج السلام شوارعٌ ... هوىً، وسماءُ الشوق رهنُ الحمى صَحْيُ
أجل يا سعودًا لاح من مشرق الحمى ... فكانَ كشمسٍ ما غشى نورَها اللأيُ
فيا أيُّها البحرُ الذي عَمَّ بحرُهُ ... شغافَ الرّبا، يطفو بآذيِّه[1] الأَرْيُ[2]
ركبتَ طِمِرَّ[3] الشوقِ لِلحجّ والمنى ... كأنَّ مناحيْها بليلِ الهوى أَشْيُ[4]
وَوَدَّعت أرباضًا يُطوِّق ساحَها ... طُوَيْقُ المَغاني وهو باللّه مَبْنيُّ
وأصبحتَ في أم القرى متخشعًا ... وغَرَّبَ ثِنْيٌ للدجى واختفى ثِنْيُ
على العِزِّ يا سبَطَ الأنامِلِ منزلاً ... تحلُّ به ولْيَمْتَزِجْ بَيْننا الحِسْيُ
على العزِّ يا نورَ الشبابِ ونارَهُ ... وموئله انزِلْ، إنَّ ربعَك مَظْمِيُّ
على العزِّ يا رَوْحَ الحجى وجحيمَهُ ... تحكَّمْ فما فينا بصبحِ المُنى عِيُّ
على العزِّ يا رَوضَ الشعور ولجَّهُ ... تقدمْ فإنّا راقنا جنبَكَ المَشْيُ
تضمُّك أجنانُ الأعاريبُ والهوى ... له نغمٌ بين المشاعر أو وعيُ
تضمك حتى أن ترى الموتَ أحمرًا ... أو المجدَ زخارًا وليس به هذيُ
تَوَفَّزَ عدنان وشمَّر يعربٌ ... وثار نزار والربوعُ هي الجِذْيُ[5]
بجنبك يصطفُّ الشبابُ مرتّلاً ... أغاني التّفاني، لا يتعتعه الْجَزْيُ
تفصّلَ من صخرِ الأخاشب عزمُه ... ومن شأنه في المرتقى الهدمُ والبَنْيُ

---

(١) الآذي: الموج الشديد.
(٢) الأَرْيُ: العسل.
(٣) الطِّمِرُّ: الفرس الجواد الشديد العَدْو.
(٤) أَشْيُ: غُرّة الفرس.
(٥) الجذيُ: الأصلُ.

تململت الآسادُ في أَجَماتِها ... وأنت لها بَذْقٌ[1] وقوسُك مَبْرِيُّ
تحرَّك دولابُ الحياةِ بربعِنا ... ودار كما دارَ الهلالُ أو الجَدي[2]
هو العيشُ يُومي بالمصائب تارةً ... وبالفوز أخرى والغرور له ثَذْيُ
غَفَوْنَا وأطبقنا الجفونَ على القَذَى ... عُصُورًا طِوالاً والتندّمُ مَقْضِيُّ
هجعنا ورُمْنَا الأُمنياتِ على الونى ... زمانًا وللتفريق في دارنا وَهْيُ
وكنَّا بِمَذْحَاةٍ[3] من الجهل سَبَسبٍ ... فضلّت أمانينا وغاب لنا الْجَلْيُ
تَمشَّقَ تَهْوَاءٌ من الليل فارتَمى ... غُرابُ الدجى يُشْفَى على رأسه الْحَثْيُ
وأصبحتِ الذؤبانُ ترعى مع الظِبَا ... وبين غُيُولِ الأُسْدِ جُحْرٌ وأُدْحِيُّ[4]
وقد أَمِنَ الصيَّادَ سربُ القَطَا فَلَمْ ... يُرَعْ والحمى يحميهِ باللَّه مَحْمِيُّ
مواعظُ مَرَّتْ فارْعوى الشعبُ ناهِضًا ... وكُلُّ فتىً لِلقَرْمِ في سَعْيِهِ سَقْيُ
بهمَّتِه عبدُ العزيز وآلِهِ ... تبدَّد دُلْسُ النومِ وانقشعَ الْغَمْيُ
وَمَنْ حادَ عن نهج الرشاد أصابهُ ... بأحشائهِ من فرط تنغيصِهِ الْوَرْيُ[5]
ففي قصةِ الأعراب للناس عبرةٌ ... وها هُم أُسارى الهَمّ مذ غُيِّبَ الخَيُّ[6]
خنى الدهرُ لم تُنتَج لِسُلْطَان رأيه ... وأعوانُه للحق يوم الوغى سَبْيُ
تصلّى على لفحِ اللهيب (....) ... وَنَاوَأ واسْتَشْلى وأتباعُهُ عُمْيُ
وقد وألتْ[7] والحربُ جنَّ جنونُها ... إلى الفسقِ أحزابٌ فمزقها الرَّميُ

---

(١) البَذْقُ: الدليل في السفر.
(٢) الجدي: برج الجدي صورة من صور النجوم في السماء.
(٣) المذحاة: الأرض التي لا شجر بها.
(٤) الأدحيّ: هو الموضع الذي تبيض فيه النعام وتفرخ.
(٥) الوري: قيح في الجوف، أو جرح شديد يقاء منه القيح والدم.
(٦) الخَيُّ: القصد.
(٧) وأل: رجع.

فسيقوا على حر الظهيرة نُكَّسًا ... وما رقَّ في ناديهم المجدب السّقْيُ
وأُترع بالسُّم الذعاق إناؤهم ... فناولهم من فتيةِ الغرب وحشيُّ
أصمَّ صداهم بارئ الناس جهرة ... وضاق بلقياهم على رحبة السَّيُّ
هُمُ زَيّفوا بالتّرّهاتِ نفوسَهم ... ومبدأهم بالكذْبِ والإفكِ مَطْلِيُّ
فذاقوا وبالَ الفعل فوقَ سيوفِهم ... ومشربُهُمْ مَأْجٌ ومَطعمُهم شَرْيُ
ألا فليذوقوا غِبَّ ما غرست لهم ... أياديهم السوداء يُزهقهم عِيُّ
فما في رماد الشرّ في الربع بَصْوَةٌ[١] ... وفي الربع للأشرار الذبح والنفيُ
بقيّة ربّ الناس خير على الولا ... فأيُّ فتى لم يصفُ إيمانه أيُّ
رمى الله جمع القاسطين بضربة ... تقلَّصَ في أعقابها الغيُّ والبْغيُّ
تشظّىٰ جذاذًا والمرازي كثيرة ... بغاليةِ الأفعى على أنفه السبيُ
تأجَّجَ قلبُ الطُّغْمِ وابتزّه الرّدى ... فَظَلَّ فلا ضَيعٌ لديه ولا تَثْيُ
عُلاً يا أميرَ العرب أنت حبيبها ... وشاهدها دهرًا إذا نتب الثَّأْيُ[٢]
إذا الجرح أجدَىٰ كُنتَ ضامد ثغره ... لأنّكَ حَامٍ والقلوب هي الجَزْيُ
تبازيت في ثوب من المجد أبيضٍ ... وأنت لِبُرْدِ المَجد بين الورى حِليُ
وآليت صبحًا أن تردّ الذي مضى ... وحزمُك للعرب الألىٰ وَثبُوا هَدْيُ
وأقسمتَ أن تُذْكِيْ اللهيبَ لطارق ... على هَضْبَةِ الأيام من فوقِهِ الشَّيُّ
يروقك توحيدٌ لِبَكْرٍ وَغالبٍ ... وَعَبْسٍ وَذُبْيانٍ إذا ما شَدَا طَيُّ
تبيتُ ويستهويك تشييدُ ما غما ... وأنْ تُحْكِمَ الصِهْرِيجَ إن مُزّق النِحيُ[٣]
وترسلُ أذوادَ النياقِ وتنتقي ... لِدَرْبِ العُلا حَوًّا[٤] وَلاحيكَ مَغْشِيّ

---

(١) بصوة: جمرة.
(٢) نَتبَ الثَأْيُ: وَرِمَ الجُرحُ: (أي إذا زاد الفساد والشر).
(٣) النّحيُ: الزّق، أو ما كان للسمن خاصة.
(٤) حَوًّا: واضحًا، بيّنًا، (أو خضر: تميل إلى السواد وكلها صفات لدرب العلا الذي ذكره الشاعر).

ومن منبع الإيمان للحق تستقي   طِلاك وكأسُ الهُونِ يطفو به الْوَذْيُ
إلى المجد ثب يا ابنَ الإمام وسيفَه   وحَلِّقْ على العليا فقد هَمْهَمَ الْوَلْيُ
بجنبِك يا نجمَ الجزيرة تنتشي   بمجدٍ وللمَغبونِ يومَ الوغى الخِزْيُ
فقد أشرقت شمس الحياة ورَتَّلت   نشيدَ العُلا الأطيارُ وابتهج الظبيُ
وغنَّى هزارُ المجدِ والدهرُ عابرٌ   على معبرِ الدُّنيا وأشباحُه عُرْيُ
بِكُمْ يا سيوف اللّه تُبنى معاقلٌ   لبيضة دين اللّه فالنّاس قدَ عَيُّوا
لِوَاؤُكُمُ بالعدل عالٍ عَمُودُهُ   متينٌ، وبندُ الفاجِر العَقِّ أُفْقِيُّ
على المجد يا آل السُّعود تسنّموا   فليسَ لدينِ اللّهِ غيَرُكمُ رِعْيُ
يميناً عَلَيَّ اليومَ أن أبعثَ الهوىٰ   نشيدًا فلا مَطْلٌ لَدَيَّ ولا لَيُّ

(١٨)

نَجْمُ الْبَحْرَين

الشيخ عبد الرحمٰن القصيبي أحد سراة البحرين المحسنين وقد زاره الشاعر في البحرين عند مروره إلى العقير فالرياض. . ! ثم التقى به في أم القرى. والشيخ القصيبي هو أحد رجال الإمام الأقربين.

أنشدت في بيت القصيبي في مكة المكرمة.

أو ميضُ برق؟. . أم هوىً رَجَّافُ ... بعثا الرَّجَا، أمْ دالحٌ[١] وكَّافُ[٢]

أم مَوُقِفٌ، زخر الشعورِ بشعره ... مثل الغديرِ ولِلهوى إعنافُ[٣]

أم رُوحُ حُرٌّ رتَّلتْ نَغَمَ الهَوى ... فَوَنَتْ عَلى تَرْدِيدِها الأعطافُ؟

طيفٌ يُشَنِّفُ مسمعي نشيدُهُ ... سِحْرًا، وَمنِّي لِلورى أشْنَافُ

لم يستملني المُوصِلِيُّ ومَعْبَدٌ ... أو رنَّةُ الأوتارِ والعُزّافُ

لكِنَّني أصبحتُ من فَرْطِ الهَوىٰ ... أُنشُودةً يشتفبها الإرهافُ

ومن الطبيعة قد سَكَبْتُ قصائدي ... نَشوىٰ يموجُ بها الهَوىٰ يقتافُ

وسَلَبْتُ من نَغَم القمارى نغمتي ... ومن الهزار، فحَفَّت الألفافُ[٤]

وتلوْتُ من سَكَب البُثوق[٥] نشائدًا ... إسنادها جرسٌ لها هفَّافُ

وبحب ليلى قد أذبت عواطفي ... والقلبُ في مَرَجِ الهوَى رفَّافُ

---

(١) دالح: السحابة البطيئة السير من كثرة الماء فيها.
(٢) وَكّاف: تقطر الماء قليلاً قليلاً.
(٣) إعناف: شدَّة.
(٤) الألفاف: الجماعات من الناس.
(٥) البثوق: ج البَثْق وهو موضع انبثاق الماء.

لي في الغنا شرف الرُّبوعِ وحُبُّها ... وعلى الفُؤادِ من الحمى أرْسَافُ
جاريتُ إرفافَ النسيم على الرّبى ... ولمقولي فوق الرّبى إرفافُ
وركبتُ أعَنَاقَ المزونِ كأنّني ... طيفٌ على سُحْبِ الهوى طوافُ
وسَبرتُ أكنافَ الحمى فأصاخ بي ... قلبي، وللأفكار بي إعصافُ
ما بَجَست بي للقريض قريحتي ... إلا لديَّ من المنى أهدافُ
إني بَرِئتُ من المديح وأهلِه ... إن لم تُنَسَّقْ للحمى الأفوافُ
لَمنِ الجَوَى ينتاش قَلْبي سَهْمُهُ ... فيَهُزّني، وَجْدٌ لَهُ إلْحَافُ
أبدًا يَرِنُّ الحُبُّ بين جوانحي ... إنَّ الجزيرةَ حبُّها خطافُ
لسهولها وجبالها في مُهجتي ... نَغَمٌ تُرِدّدُ جرسَها الأخيافُ(١)
ولِكلّ شِبرٍ من حِماها حُرمة ... في النفس يُخزى دونها الإرجافُ
فلتهتصر غُصني إذا أنا لَم أَرِدْ ... وِرْدًا يُشرّق نحوه المِهْيَافُ(٢)
وِرْدًا تلألأ للعيون جِمَامُه ... وتشعشعتْ من حولِه الأجْرافُ
وِرْدًا حمتْهُ من العِدا أُسْدُ الشرى ... كالثلجِ طَامٍ لم يُصِبْهُ جَفَافُ
دارُ العروبة دارُ كلِّ شمَردلٍ ... صَعْبٍ له للمرتقى استشرافُ
هي خيفةٌ هَزَّ المليكُ أسودَها ... عبدُ العزيز الحازمُ الهتّافُ
نفسي الفداء له ولولا حُبُّه ... لأمضَّني الإرْقالُ(٣) والإيجافُ(٤)
ولآله الغر الأباة أزفها ... دعوى لها عَرْفُ الشذى وزفافُ
إني لأسخر بالوشاة إذا وَشَوا ... بطرائقي أو نقّبوا واقتافُوا
لولا الكرامُ لما أثار مَشاعِري ... شِعرٌ وَمَالِي في القريضِ مطَافُ

---

(١) الأخياف: الإخوة أمهم واحدة والآباء شتى.
(٢) المهياف: الشديد العطش.
(٣) الإرقال: السير السريع.
(٤) الإيجاف: خفوق القلب واضطرابه من الخوف أو من الحب.

إنـي لأسـكـب لـلأبُـاة سُـلافـةً ... مـن ذِكَـريـاتٍ ذاقَـهـا الأسـلافُ
عَـبَـقَـتْ بـأشـذاء الـحـيـاة عـتـيـقـةٌ ... ولـشـاربـيـهـا نـشـوةٌ وهُـتـافُ
لـمـا انـتـشـى قـلـبُ الـحـيـاةِ بـحَـسُـوها ... خـطـرَ الـكَـمـيـنِ تـضـمُّـه الأصـدافُ
ورَنَـت لـنـا فـي الـربـع مـقـلـةُ سـيـدٍ ... بَـلَـجٍ يَـشُـعُّ بـوجـهـه الإلـطـافُ
نَـهَـضَـتْ بـه عَـزَمـاتُـهُ مـصـقـولـةً ... يـزهُـو عـلـيـهَـا الـبُـرقـعُ الـشَّـفَّـافُ
عَـذْبُ الـشـمـائـل يـطَّـبـيـنـي دائـبـا ... لـلـمـجـدِ وَهْـوَ الـمُـحـسـنُ الـمِـتْـلاَفُ
شَـهْـمٌ ألـمَّ عـلـى الـحـجـاز فـرحَّـبَـتْ ... فـيـه الـوجـوهُ الـبـيـضُ والأطـرافُ
وتـلـهـفـتَ لِـلِـقَـاه كـلُّ كـريـمـةٍ ... تَـتْـرى، وخَـفَّـقَـتْ لِـلـقَّـا الآلافُ
يـا عـابـدَ الـرَّحـمٰـن إن لـم تَـرْتـقـب ... مـنـي الـنـشـيـدَ فـذلـك الإجـحـافُ..!
أيـروقـك الـصـوتُ الـرخـيـمُ مُـرَدِّدًا ... شـعـراً لـه مـن مَـبْـسِـمـي تـرشَـافُ
فـلـقـد أَفَـقْـتَ وكـنـتَ أولَ راكـبٍ ... مـتـنَ الـمُـنَـى وَسَـمَـتْ بـك الأَوْصَـافُ
وقـسَـوْتَ فـي طـلـب الـفـضـائـل مـعـلـنًـا ... جُـهـدًا وأنـت الـحـاذق الـعـطّـافُ
وغَـرَسـتَ بـذرًا نَـسـتـغـلُّ ثـمـارَه ... ونـوالُـه بـيـنَ الأنـامِ عَـفـافُ
يـا قـدوة الـمـتَـمَـوّلـيـن..! صَـنَـائِـعٌ ... لـكَ فـي الـرّبـوع كـأنّـهـنّ شِـعـافُ
غـامـرتَ فـي طـلـب الـفـضـائـل جـائـبًـا ... بُـلـقَ الـذرى، ولَـهـا بـك الـوُصـافُ
غـادرتَ دارًا فـي أُوَالَ مُـنـيـفـةً ... ضَـاقـتْ بـهـا الـرّحـبـاتُ والأسـيَـافُ
يـجـتـازهـا مـن كـل حَـذْبٍ طَـارقٌ ... ويـؤُمُّـهـا الـقُـصَّـادُ وَالأَضـيـاف
وأتـيـتَ لـلـبـيـت الـحـرام تـحـجُّـه ... وحـيَـاك لـلـغُـرِّ الأبـاةِ مَـصَـافُ
رجـحـت صـنـائـعُـك الـحـسـانُ بـوزنـهـا ... والـفـضـلُ فـيـك سـجـيـةٌ تُـغـتَـافُ
الـلّـهُ يـشـهـدُ لـم أبـالـغْ مـادحًـا ... لـكـنْ عـلـى رَغْـمِـي قَـضـى الإنـصـافُ
لـولا دمـاثـةُ خُـلـقِـك الـسّـامـي لَـمَـا ... نُـسِـجَ الـقـريـضُ وأُدْرِكَ الإسـعـافُ
نـاصـرتَ سَـيْـرَ الـعِـلْـم فـي وثـبـاتـه ... فـي الـشـرق سـاقـك لـلـعُـلا اسـتـعـطـاف

فَرَصَدْتَ للدين القويم نُجومَهُ — وَسَقَيْتَ زهرًا قد عَراه جفاف
للمسلمين بذلتَ كلَّ نَفيسةٍ — فالتفَّ حولكَ في الحِمى الأحلافُ
هذِّب فتى عدنانَ عطفًا واسقه — ماءَ الحياة يُريقه الغُرَّافُ
حَطِّمْ بُنودَ الجهلِ في أوطانِنا — إذْ أنتَ للأَوَدِ المُخِلِّ ثِقَافُ
هَاجِمْ جيوش الجهلِ منكَ بحملةٍ — يَنْدَكُّ منها الموكبُ الخَرَّافُ
الجهل، ويحَ الشعبِ من آفاته — إن الجهالة للأنام زُعَافُ
باللّه يا عَصْرَ العُلاَ هل رَجْعَةٌ؟.. — تَشْفي فُؤَادًا شَاقَهُ التَّطْوَافُ
يا عابدَ الرحمْنِ هَذي نَفْثَةٌ — ما شَابَها التَّبذير والإِسْرَافُ
الثِمْ فديتُك كأْسَها وتَوَقَّها — فالخَلُّ خَلٌّ، والسُّلاَفُ سُلاَفُ
إن كنتُ من خَزَفٍ أتيتُك صانعًا — فلقدْ أجادَ بصُنْعِهِ الْخَزَّافُ..!!!

(١٩)
مَطْمَحُ الآمَالِ[١]

من وقعة (السبلة) إلى خمود نيران الفتن في الجزيرة العربية المقدسة إلى قبيل الحج . . !

محلة أجياد ـ في مكة المكرمة بتاريخ ١ ذي القعدة سنة ١٣٤٨هـ

وقد نشرت في جريدة «أم القرى» قبيل سفر الشاعر إلى بلاد إندونيسيا . . ! بعد الحج . . !

ملحمة الإمام.. مطمح الآمال... «أمُّ الشُّعُوب»[٢]

طَغَتْ لُجَةُ الآمالِ والفكرُ طامحٌ ... وضَمَّتْ جميلاتِ الأماني الجَوانحُ

وناءَتْ بَتزْخَار[٣] الشؤونِ مَحاجِرٌ ... كأنَّ مجاريْها مُزُونٌ سَوافِحُ

فَمَا كَفْكَفَتْ إلاَّ على ضَوءِ لُقْيَةٍ ... بِهَا اهتدَتِ الحوبَاءُ وَالْهَمُّ جانِحُ

هوَتْ بي إليها وهي في دوحةِ الحمى[٤] ... فطاف على الخدينِ ثغري يُمَازِحُ

شَفتْنِي بَعدَ البين من لَوْعة الجَوى ... وجدّي خَفَّاقُ الجناحين رابِحُ

فَلِلَّهِ ما أشهى بأرباعها الهوى[٥] . . ! ... ولله ما أسمى[٦] النُّهَىٰ وَهْوَ رَازِحُ

---

(١) نشرت مختارات من هذه الملحمة في كتاب «خطوات فوق الصخور» لمشاري بن عبد العزيز، مطابع الرياض، شارع المرقب ١٣٨٨هـ (ص ٦٣ ـ ٧١). وقد قدَّم لها بقوله: «في هذه القصيدة المطوّلة، يحاول الشاعر أن يروي بلغة الشعر قصة الملك عبد العزيز بأسلوب الملاحم، فيرافق مختلف مراحل نضاله، ويرسم من شخصية الملك عبد العزيز، كما رآه الإسلام ورأته العروبة لمحات خلأبة تتوثب بالحماسة والإعجاب، ولا غرابة في ذلك، فالملك عبد العزيز في نظر أبناء العروبة في ذلك الحين أسطورة فذة من أساطير البطولة التي افتقدها العرب منذ أن دالت دولة الأبطال الذين يفخر العرب بهم ويعتزون، فجاء الملك عبد العزيز يعيد السيرة الأولى ويكتب للعروبة مجدًا جديدًا» (ص ٦٤).

(٢) نشرت في العدد (٢٩١) من «أم القرى» في ٨ من صفر ١٣٤٩ المقاطع: أم الشعوب، وصوت الجزيرة، والعروبة، وأبطال العرب، والأقاويل تحت عنوان «مطمح الآمال ـ ١».

(٣) في «أم القرى»: بأعباء

(٤) في «أم القرى»: وهي في معرك الحمى.

(٥) في «أم القرى»: بمبسمها اللُّمَى.

(٦) في «أم القرى»: ما أبهى.

خَلعتُ عِذاري يوم هِمْتُ بحبِّها ... وحاوَرْتُها والصبحُ للسرِّ بائحُ
أُحِبُّكِ يا أُمَّ الشعوبِ[1] وَمَنْ أرى ... بها كلُّ ما تهوَى الأُباةُ الجَحاجِحُ
أحبكِ حتى مَازَحَ الحبُّ مُهْجتي[2] ... وقد صَدَحَتْ بالحبِّ مِنِّي الجَوَارِحُ
أحبكِ لولا الحبُ واللَّهِ مَا جَرَتْ ... نُفوسٌ إلى غَايَاتِهَا وَمَطَامِحُ
سَأَدْأَبُ يا مهوَى الميامين[3] جاهدًا ... بحبكِ، حتى تحتويني الفَوادِحُ
فَأهلُكِ أهلي والربوعُ مَوَاطني ... سَأَسْتَنُّ كالينبوع إنْ شذَّ جامِحُ[4]

❊ ❊ ❊

صَوْتُ الْجَزِيرَةِ

أفدِّيك يا مهد[5] الشعوبِ بمهجتي ... ورُوحي، وإن هُدَّت عليَّ الطوائِحُ
مغانيك[6] منذُ الأعصرِ البيضِ ملتقى ... مواكبِ مجدٍ موجُها[7] مُتَناطِحُ
ودينُكِ دينُ اللَّه واللَّهُ ناصِرٌ ... وبندُكِ بند الحقِ[8] مَا دَبَّ رَاشِحُ
وأهلكِ جندُ العدل[9] في كل ساحةٍ ... لهم غُرَرٌ بين الورىٰ ومَنَاجِحُ
هدأتِ ولم يَعْدِمِ لك اللَّهُ منقذًا ... يَلُمُّ شتاتًا بَعْثَرتْه الجوائحُ
أبالمُقْلةِ الوسنىٰ أهبتِ بروحه ... أم الصوتُ للعلياء في الفكر صائحُ[10]

---

(١) في «أم القرى»: ياسر الوجود.
(٢) في «أم القرى»: خاطري.
(٣) في «أم القرى»: يا بنت الأعاريب.
(٤) البيت في «أم القرى»:
فأهلك أهلي والبلادُ مواطني ... على رغم حسادي وإن شذ جامح
(٥) في «أم القرى»: يا أم.
(٦) في «أم القرى»: فربعك.
(٧) في «أم القرى»: موجُهُ.
(٨) في «أم القرى»: وبندك فوق الكون.
(٩) في «أم القرى»: وقومك جند الله.
(١٠) في «أم القرى»: صارح.

أجاءتكِ من عبد العزيز مِهابةٌ ... فكنتِ كمن ضاءت عليه المصابحُ
أجل إنه صوت الجزيرة نَحْوَه ... تَخُبُّ وما تدوي العقول الصّحائحُ

***

الْعُرُوبةُ

تسامَتْ وَجَلَّتْ كالعُقَابِ وَحَلَّقَتْ ... بِرَحْلَةِ مجدٍ والأَمَاني سوانِحُ
ضُحىً أَلَّبَ الأبطالَ والدربُ لاحبٌ ... ثُباتٍ[1]، بها ضاقَتْ ربىً ومَنَادِحُ
تنحَّت سبيلَ المتيهانِ قُرُومُها[2] ... وَمِنْهَا دُوَيْنَ الغارمين كوابِحُ
سرتْ واستشاطت وَهْيَ غيرُ مُرِمَّةٍ ... وفي النفس نيرانٌ لها تتقادَحُ[3]

***

أبْطَالُ الْعَرَبِ

مُنىً عقد المَلْكُ العزيزُ لِوَاءَها ... وشمّر وَالتفَّتْ عليه الملاقِحُ
إليهِ من الصِّيْدِ الفوارسِ بَادَرتْ ... جموعٌ بها قحّامُ هَوْلٍ صُمَادحُ
وآخرُ في يوم الكريهة مُعْنِقٌ ... يَرُدُّ المنايا وَهْو أبلجُ واضِحُ
هُمُ وَرَدُوا قَسْرًا على شقة الردى ... مَواردَ عزٍّ، والمنايا كوالِحُ
أطافوا على أصل البُثُوقِ خُيُولَهُم ... وللغير مأجٌ من حسايا ومالِحُ
فَصَالُوا وهبَّتْ للجِهادِ جموعُهم[4] ... تُنَاضِلُ أعْدَاءَ الهُدَى وَتُكافِحُ
وساروا إلى العلياء وخُذًا كأنّهم ... أسودٌ تَصَدَّتْها الوَرَى وَجَوارِحُ
وما وقفوا إلا عَلَى رَأْسِ قمّةٍ ... أحاطتْ بها بُلْقُ الذُرا والبَطائِحُ

---

(١) في «أم القرى»: ثباتا.
(٢) في «أم القرى»: جموعها.
(٣) بعد هذا البيت في نص «أم القرى»:
ودانتْ لها والأزل غادر دارها ... رؤوسُ العِدا والمكرماتُ لواقِح
(٤) في «أم القرى»: شباتهم.

صَفَاةٌ على عَلْيا الرّواسي توشَّجَتْ مَهَامِةٌ في أطرافها وسرائِحُ
فواحدهُمْ كالألفِ إن جَنَّ حادث[1] وهم لحِصونِ المفخرات مَفَاتِحُ
لهم قصبات السَبْقِ في كل وقعةٍ إذ المُلْكُ رَحبٌ والصدورُ فَسَائِحُ
وما فيهمُ إلا كميٌّ مُدَجَّجٌ عزيزٌ حَفِيٌّ بالمكارم سَادحُ[2]

***

قَوْمِي الْعَرَبُ

أُولئك قومي اليعربيُّونَ قَادَهُمْ إلى العِزّ بعدَ النوم قَرمٌ مُجَالِحُ[3]
أولئكَ لم يُحْمَلْ على الأرض مثلهم فواحدُهم بين السِّمَاكَيْنِ رَامِحُ
أهابَ بهم عبدُ العزيز فأخْلَصُوا إليه قلوبًا لم تُخِفْهَا الْمَطَاوِحُ

***

الأَقَاوِيلُ

لقد ظَنَّ قومٌ بالعروبة موهنًا ظنونًا سُدَاهَا التُّرهَاتَ الصحاصح[4]
فقامت شعوبُ الأرضِ تَشْتُم تارةً وتصخب أخرى واستمرَّ التَّصَايحُ
وقالوا: ألا أينَ الإِمَامُ[5] وجُنْدُهُ أيهْجَع والأعْرابُ صُمٌّ جَوَامِحُ؟..
أيغفُو؟.. وفي أرض الجزيرة فتنةٌ تُزَلْزِلُ أركانَ الحِمىٰ ومذابحُ
ومن قائلٍ إن البُداة تفجَّرُوا على مَلْكِهمْ غيظًا وضاع[6] التَّصَالحُ
ومن قائِل إنَّ العروبة مُزِّقَتْ وآخرُ وَثَّابٌ إلى البغي قَادِحُ

---

(١) في «أم القرى»: فواحدهم ألفٌ إذا جنَّ حادثٌ.
(٢) في «أم القرى»: عزيزٌ، كريم الراحتين، وسادح. وسادح: مُخصِب.
(٣) المجالح: الأسد.
(٤) الترهات الصحاصح: الترهات الباطلة.
(٥) في «أم القرى»: المليك.
(٦) في «أم القرى»: وثُلَّ.

يقولون إن ليس الإمَامُ بِقَادِرٍ … على زُمَرِ الأعراب يَوْمَ تَنَاطحوا
أبى اللَّه إلا أن يُرى الحقُ جَهرةً … عيانًا، ونَجْمُ الحقِّ في الأفقِ لائحُ

***

الْفِتْنَةُ[1]

هي الفتنةُ العمياءُ قامَ يثيرُها … زعانفُ بَدْوٍ لم تُفِدْهُم نَصَائِحُ
وهزَّتْ عفاريتُ الضلالِ رؤوسَها[2] … وبانَ صحيحٌ في البلاد وَطَالِحُ
وصاحَتْ بأشتاتِ البَدَاوَةِ نَعْرَةٌ … يؤجِجُهَا الشيطانُ والشر لافِحُ
فهبُّوا لَها شَبه الذئاب وراقهم … عُوَاءُ نذيرِ الشرِّ والليلُ جَانِحُ
تُخَالِجُهُمْ باسم الشريعةِ ضَلَّةٌ … وأكبادهم بالمُخزِيات رَوَازِحُ
تَلكَّأَ حاديهم وتاه دليلهم … وساروا على عشواءَ والحقُّ واضِحُ
قَضوْا أربعًا لا يرجعون إلى الهدى … وطافَ عليهم في دُجى الحِزج[3] بَادِحُ

***

الرأيُ قبل العملِ

هنالِك في (مغنى اليمامة) ضَيْغَمٌ … تَحُفُّ به الأمجادُ[4] والكل صالِحُ
تلألأ سيف العدلِ[5] كالشمس في الضحى … يقول ألا أَنْعَمْ منهجُ الحقِّ صابحُ
بنفسي أفدي سيد العُرْبِ ما زهت … رياضٌ وما هَلَّت غيوث روائحُ
تُدارُ عليه في المجالس قهوةٌ … ومن حوله شُمُّ الأنوف الصرائحُ
يقول (أيا للَّه) ما فعل العدا … ومبسمه الشعشاعُ بالبشر ناضحُ

---

(١) نشرت في «أم القرى»، العدد (٢٩٢)، في ١٥ من صفر ١٣٤٩هـ، تحت عنوان «مطمح الآمال ـ ٢» وتضم عناوين: الفتنة، وثبة الليث، الضربة الهائلة، عاقبة الخونة، انتكاس الأشرار».

(٢) في «أم القرى»: رؤوسهم.

(٣) دُجى الحِزج: ج دُجْية وهي الظلمة. والحِزج هو الإثم.

(٤) في «أم القرى»: تحفُّ به الأشباك.

(٥) في «أم القرى»: سيفُ اللَّه.

فيصدح بالحسنى ويرشف قهوةً ... ويهتف بالبُشرى ضحىً ويصارحُ
ويَبْعث في أرواحِ آسادِ خيفةٍ ... شعورًا أنيرَتْ من سَناه القَرَائحُ
بمبسمه تحيا النفوسُ وتنتشي ... إذا قام في صدر الكرام يصافحُ
إمام[1] على عرش اليمامة مطرق ... وأعداؤه بالقاذفات تشايحوا
فمن ذا رآه وَهْوَ يكسر ضده[2] ... بعيدًا وهُمْ بالمرهفات تصافحوا
هُو الرأي، لولا الرأيُ ما ساد سيدٌ ... ولا خاض في لُجِّ المعامِعِ سالحُ[3]
هُوَ الرأيُ زاد اللّه للرأي بسطة ... مِن العلمِ إنَّ الرأيَ في المُلْكِ راجِحُ

***

وَاحَرْقَتَاهُ..![4]

فَتَاةٌ على رأس الخليج يسودها ... من الجهل ليلٌ والنفوسُ ضرائحُ[5]
تَئِنُّ أنينَ الوالهين وأهلُها ... سَقَوها ذعافَ الويل والغُولُ لامحُ
ألا رُبَّ شَرٍ سِيقَ للرَّبْعِ بُرهةً ... يزولُ ويحمي أمةَ العُرْبِ فاتحُ
فَلِلَّه ما أشهى المنى وهي غضة ... بقومي إذا هم للوئام تَفَاتَحُوا

***

الملكُ وَالشَّاعِرُ في الرِّيَاضِ

ألا إنَّ يومًا مَرَّ وَلَّت هُمُومُهُ ... أجِدُّ بهِ والقَفْرُ للجيَشِ فَاسِحُ
فيا حَبَّذَا صُبحُ الرياض وَيَا لَهَا ... مُنىً تتسامَى والليوثُ تَفَاسَحُوا
مُنىً زَخَرتْ في النفسِ والصبحُ مُشرقٌ ... وقد رُتِّلَتْ فِيَّ القوافي الفَصَائحُ

---

(١) في «أم القرى»: عزيز.
(٢) في «أم القرى»: فمن ذا رأى لينًا يمزقُ ضدَّه.
(٣) سالح: معه سلاح.
(٤) في «أم القرى»: واحرقتاه عليك يا.
(٥) ضرائح: ج ضريح وهو القبر.

مُـنًـى بَـشَّـهَـا عـبـدُ الـعـزيـز بـبـسـمـةٍ … فقبَّلْتُ منه الأنفَ والصُّبْحُ فاضِحُ..!!

فَـطـار إلـى أقـصـى الـحـدود تـحُـفُّـهُ … قُـرُومٌ شِـدَادٌ فـي الـوغـىٰ مَـا تَـفَـاتـحُـوا

وسِـرْتُ إلـى أُمِّ الـقـرى تَـسـتَـفِـزُّنـي … بـنـفـسـيَ أشـواقٌ وعـقـلـيَ فَـالِـحُ

ولـمـا وَرَدْنـا زَمْـزَمَ الْـبَـيـتِ مَـوْهِـنًـا … وطَـابَ الـتَّـلاَقِـيُ وَالـتَّـلَـهُّـفُ قَـادِحُ

* * *

بَشَائِرُ الظَّفَر[1]

أتَـتْـنَـا بـنـاتُ الـريـح تـعـلـن لـلـورى … عُـلاً وكـلامُ الـمـغـرضـيـن قـوارحُ[2]

وَرَدْنـا حِـيـاضَ الـعِـزِّ بـالـلَّـه ضـحـوةً … ومـا فـي رِعَـاءِ الـقـوم فـي الـربـع قـامحُ[3]

وكـانـت (خَـبَـارِىٰ وَضْـحَـةٍ) وهـي سَـبْـسَـبٌ … تـمـيـسُ بـهـا الـخـضـراءُ والـعـطـرُ فـائحُ

تـنـاهـىٰ عُـلاهـا والـوفـودُ تَـؤُمُّـهـا … ومـا صَـدَّهـا فـي مُـدَّة الـسَّـيْـرِ كَـابِـحُ

بـهـا الـيـومُ مـيـمـونُ الـمـظـاهـر زاهـرٌ … وقـلـبُ الألَـدِّ الـخَـصْـمِ بـالـرَّوْع كـادِحُ

فَـمِـن طـالـبِ جَـدْوى ومـن طـالـبِ عُـلاً … ومـن مـسـتـجـيـرٍ لائـذٍ لاَ يُـكـافِـحُ

ومِـنْ طـالـبِ صُـلْـحًـا، ومـن طـالـبٍ لـه … وِدَادًا، ومـن سَـاجٍ[4] وسـيـمـاه كـالِـحُ

حـوادثُ هـذا الـيـوم مـرَّت عـلـى الـورى … تـشُـقُّ الـفـيـافـي، والـمُـشـرَّدُ لائِـحُ

* * *

نِهَاية البُغَاةِ

وَبَـيْـنَـا مـلـيـكُ الـعـرب فـي مُـسـتَـقـرِه … إذَا بـالأعَـادِي فَـوْقَـهـا الـنـارُ لافِـحُ

أتـى لـ..... الـخـطـبُ وَابـتَـزَّه الـردَّى … وقـد مَـسَّـهُ غـمٌّ وبِـالـخِـزْي لاَقِـحُ[5]

---

(١) نشرت في «أم القرى» تحت عنوان «مطمح الآمال ـ ٤»، العدد (٢٩٥) الصادر في ٧ ربيع أول ١٣٤٩هـ، وتضم: بشائر الظفر، نهاية البغاة، بطل العرب في البحرين، الحق يعلو ولا يعلى عليه، إلى الرياض، إلى الحج.

(٢) القوازح: ج قازحة وهي نُفَّاحة الماء التي تنتفخ فتذهب.

(٣) قامح: ممتنع عن الماء لِعلةٍ.

(٤) في «أم القرى»: ومن صاحٍ ساج: السائر رويدًا.

(٥) لائح: عاقل.

وَمِن ثَمَّ سيقَ الطَّغْمُ جَهرًا وحولَهُ
شقيقان، شرّير لئيم، وطالِحُ
يقودُهُم من آلِ سَكْسُون كافرٌ
وليس ابْنُ ذاكَ الغَرْبِ للعُرب ناصِحُ
ولكن قضى حكمُ الإلهِ بأن نرى
عُلُوجًا على أذقانِها تتراوحُ
فَزُجَّ بأعماق السُّجُونِ ثلاثةٌ
لهُم من كُبُول الموبقات مراوحُ
ألا حَيِّ يومًا فيهِ مُزِّقَ شملُهُم
وحَيِّ زَمَانَ الأَمْن والدهْرُ مازِحُ
تَبَدَّد إعصارُ التفرقِ وَاعتَلت
يدُ الحق رغمَ الشرِ واللَّه مَاسِحُ

* * *

الْمَلِكَانِ يَلْتَقِيَانِ[١]

وغادَرَ زَوْراء الفراتينِ فيصلٌ
وغرُّ الأماني كالفيافي فسائحُ
تَعجُّ به بنت البخارِ بلُجَّةٍ
كأن ذراريها ظُبًا ومسائحُ
جرىٰ فيصلٌ في حَلْبَةِ الشوق ضحوةً
فكانَ أبو سيفٍ به الودّ مانحُ
فمَنْ ذا رأى القِرْمينِ يومَ تعانقا
وقد بَكَيا والدمعُ غيثٌ مُمانحُ
وكلٌّ ينادي في العِناق أخي أخي..!
وقد وَحَّدَ القلبين والحبُّ ناصحُ
أتخفق أعلامُ الوئام على الرُّبا
ويُكسرُ قرنٌ للسياسة ناطحُ..!

* * *

الْبَطَلُ فِي البَحْرَيْنِ

يَرومُ هُواةَ الظلمِ للعربِ فُرْقَةً
ولكنَّ وَجهَ الظلم أسودُ كَالِحُ
وزارَ (أُوَالاً) سيدُ العرب عُنوةً[٢]
لِيَقْضِيَ لُبَانَاتِ الهَوَى وَيُفَاتِحُ
فلما شفى من مَجْلس الشَّيْخ نَفْسَهُ
وجاذَبَهُ حُلْوَ الحديثِ يُطَارِحُ
تَوَارَى وَرَبُّ الْعَرْشِ يَنصُر جُنْدَهُ
وأنصارُ إبْليسَ اللّعينِ رَوَازِحُ

---

(١) هذا المقطع الذي تحت عنوان «الملكان يلتقيان» ـ وهو من ستة أبيات ـ لم ينشر في نص «أم القرى».
(٢) في «أم القرى»: جهرةً.

الْحَقُّ يَعْلُو..![1]

سَيَأكُلُ سَنُّورُ السَّيَاسَةِ فَرْخَهُ ... ويرجعُ عهدٌ بالأماني نَافِحُ
ويُعْقَدُ إكليلُ المَعَزةِ[2] في السُّهَا ... وتشرق للغُرب الأباةِ اللَّوائِحُ
وكلُّ هُمَامٍ قد يُرى في جهادِهِ ... لبكر العُلاَ في دَوْحَة العزّ نَاكِحُ
ويُولَدُ رُوح الحقّ في الربع أدهرًا[3] ... تَربَّتْه أُسْدٌ في الحمىٰ لا المناكحُ

* * *

إلى الرياض

فلما[4] استقر الإتحادُ وأُحْكِمت ... أواصرُ قربى واستتبَّ[5] التناوحُ
سَرَى الركْبُ في الصَّمَّانِ[6] حتى تَضايقت ... من الرّكب وديانٌ له وَمَنادِحُ[7]
وعَجَّتْ رُبَى الدَّهْنَاءِ بالخيل فوقَها ... كُمَاةٌ عَلَيهمْ لِلسِّلاَحِ وَشائِحُ
وَمِنْ دَارِجَاتٍ تحسبُ الرملَ لجةً ... فتزحفُ زحْفًا لم ترقْها الوضائحُ
وعِيسٌ بَراها السيْرُ وَهْيَ مُجدَّةٌ ... وقد مُلِئَتْ بالمثمِنات الولائحُ
إلى أنْ أتىٰ أرضَ الرياضِ وحلَّ في ... غياط المغاني والأماني رواجحُ

* * *

إلى الحَجِّ..!

فَهَبَّ وَنَادى أمةَ اللَّه بَادِرِي ... إلى الحجِ إن النعمياتِ رَوَاجِحُ
وسار[8] بكتف المسلمين مؤيدًا ... وفي القلب شوقٌ للقاء مطارحُ

---

(١) في «أم القرى»: الحق يعلو ولا يُعلى عليه.
(٢) في «أم القرى»: الشريعة.
(٣) في «أم القرى»: أعصرا.
(٤) في المخطوطة «فلم»، وفي «أم القرى»: ولما.
(٥) في «أم القرى»: واستتم.
(٦) في «أم القرى»: الأحساء.
(٧) منادح: ما اتسع من الأرض.
(٨) في «أم القرى»: فسار.

تخطّىٰ شناخيب الأخاشب جمعةً[1] إلى حيث لم توجد بُشُوقٌ موالحُ
إلى كَعبةِ الإسلامِ وَهْيَ طروبةٌ بقبلةِ حاميها وسالت مسايحُ
وقد ضَحِكتْ أرضُ الحجازِ وأُنْعِشَتْ نقوشٌ وغنَّى طيْرُها المُتناوحُ
وجَلَّلَ نورُ الحقِّ[2] آكامَ مكةٍ وهَبَّ على الأعْطَافِ في الحي صَابِحُ
فَلبّىٰ وأدى الفَرضَ من بعد عُمرةٍ وشمَّر لِلإصلاح واغْتَمَّ كاشِحُ

✻ ✻ ✻

رَجَاءٌ..![3]

أعِنْ نفسَ حُرٍّ يا ابنَ أبركِ عابدٍ فهذا نشيدي طيبُه يتفاوحُ
فبالقلبِ بل بالروحِ أفديك والدِّما وإنيَ عنْ داري شَجٍ متنازح
أحبُّكَ يا لَيْثَ العُرُوبَةِ وَالهَوَى يُطيلِ أناشيدِي وإنِّي مُكادِحُ
حَنانيكَ لم أقصد على رغم حاجتي نوالاً ولو أنّ النّوالَ سحائحُ
ولستُ كمن يرجو على الشعر حاجةً إذا دفعتني للكرام المدائحُ
ولكنَّ حبًّا قد تغلغل في الحشا وإنّي كماء المُزْنِ بالشعر سائحُ
فحبّك يا عبدَ العزيز رجاءُ مَنْ له في سجلات الخلودِ مصالحُ
أناغي بك الآمالَ آمالَ أُمتِّي وأسْبُكها شِعرًا دُجىً وأطارحُ

---

(١) في «أم القرى»: جيشة. الشناخيب: أعالي الجبال، والأخاشب: جبال.
(٢) في «أم القرى»: نور المجد.
(٣) هذا المقطع ـ من ثمانية أبيات ـ ليس موجودًا في نص «أم القرى».

(٢٠)

نشوة السَّحَرِ حَوْلَ البَيْتِ الحَرامِ وَتَحْتَ ظِلاَلِ الكَعْبَةِ المُشَرَّفةِ!

صُور الحياةِ

عُجْ نحو مُنْتَجَعِ العَرَارِ الدَّيْحَسِ[1] … وَهْنًا، وخُفَّ إلى المَلاذِ الأَقْعَسِ[2]

وَدَعِ الذَّعَالِبَ[3] للقِفارِ فإنَّها … هَدَّارةٌ حَنَقًا لِسَيْرٍ مُحْلَسِ[4]

كَبْتُ الوُجُومِ يَقُدُّ[5] أصْلادَ الصَّفَا … فانْعَمْ فَدَيْتُكَ بارْتِيَادِ البَسْبَسِ[6]

أوَمَا عَلِمْتَ بأنَّ حَظَّكَ خانِعٌ … ما دُمْتَ في شَرَكِ الهُجُوعِ الدُخْمُسِ[7]

فَالشَّمْسُ لوْلا جزيُها لَمَلَلْتَهَا … والبَدْرُ لَوْلا نَقْصُهُ لَمْ يُؤْنَسِ

أُنْظُرْ إلى العَلْيَاءِ مُعْتَبِرًا دُجىً … وَدَعِ اللَّوَاحِظَ لِلْجَوَارِ الكُنَّسِ

كَمْ كُنتَ تَدْعُو يَا سُهَيْلُ إذا بِهِ … يَخْتَالُ بَيْنَ العَادِيَاتِ الخُنَّسِ

الأَرضُ تدأبُ والنُجُوم سوابحٌ … والشمسُ تجري للمقَرِّ المُشْمِسِ

والطيرُ يصدحُ في الرياضِ مغنيًا … والحوتُ، يسبح في الخِضَمِّ القَوْمَسِ[8]

أُنظرْ إلى النَّحْلِ المُجِدِّ لِشَهْدِهِ … والنملُ عن تنظيمِهِ لَمْ يَنْعَسِ

---

(١) الدَّيْحس: الكثير من كل شيء.

(٢) الأقعس: المنيع العزيز.

(٣) الذعالب: ج الذِّعلبة وهي الناقة الربعة.

(٤) سير مُحلَس: لا يُفْتَر عنه.

(٥) يقد: يشق.

(٦) البسبس: القفر الخالي.

(٧) الدُّخْمُس: (بضم الدال والميم) المُظلم.

(٨) القومس: البحر العظيم.

هذي صنوفُ الوحشِ تطلُبُ رزقَها ... مِن أطْلَسٍ يَغْوي بليلٍ أشْرَسِ
وَعَمَلَّسٍ[1] خاوي الحَشَا ومُضَرِّسٍ[2] ... كَرِهَ العرينَ وثعلبٍ متجسِّسِ
تِلكَ الخليقةُ جِنُّها أوْ إنْسُها ... والوَحْشُ تَسعى في الحياةِ لِمَلْمَسِ
هذي لنا صُوَرُ الحياةِ تَعَدَّدَتْ ... وتكبَّرَتْ في فكرةِ المُتَحَسِّسِ
كلٌّ على لَيْلاهُ غَنَّى طَالِبًا ... دربًا يُوَصِّلُهُ لأرفعِ مَحْدَسِ[3]
فَمُوَثَّقٌ طافٍ وآخَرُ راسبٌ ... والعيشُ ما بين العُلا والمَطْمَسِ
إني رأيتُ الجِدَّ يرفعُ أهلَهُ ... والهَزْلُ يُودِي بالأذَلِّ الأنْكَسِ
فَلِكُلِّ شَخْصٍ غايةٌ محبوبةٌ ... والناسُ في الغاياتِ رَهْنُ الأنْفُسِ
فَاهْرَعْ إلى أَسْمَى المطالب صَامِدًا ... وَاضْرِبْ سَبيلَ الحازِمِ الْمُتَمَرِّسِ
وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ عَزْمَةً قَعْسَاءَ لَمْ ... تَفْتُرْ بِلُجِّ الْخَطْبِ أوْ تَتَوَجَّسِ

* * *

وَجْنَاءُ الهَوى

وَيَلُمِّ دَاهِيَةٍ رَكِبْتُ سَنَامَهَا ... في مَهْمَهٍ وَعْرٍ وَلَمْ أَتَنَكَّسِ
فكأنَّني والحادثاتُ رهيبةٌ ... ليثٌ يُطارِدُ كُلَّ وَحْشٍ أشكسِ
اللَّيلُ يُرخي كالحاتِ سجوفِهِ ... والنجمُ مغبرُّ الضِّيا لم يَخْلَسِ
ولأمِّ حذرفَ[4] ضجةٌ والأسد لا ... تَنْفَكُّ، تزأر في دجن المُعْجَسِ
ما لِنْتُ يومًا في السرى وعريكتي ... تجتازُ وُخْدًا سامقاتِ الكُبَّسِ
فلقد شددت القلبَ لما غَرَّبتْ ... نفسي، ولِلأدماءِ[5] صَبرُ كَرَوَّسِ[6]

---

(١) العملّس: الذئب الخبيث.
(٢) المضرّس: الأسد.
(٣) المحدس: المَطْلَب.
(٤) أم حذرف: الصُبح.
(٥) الأدماء: الناقة البيضاء.
(٦) الكروس: الجمل الشديد الصبور.

وَجْناءُ[١] يعْمَلَةٌ[٢] يُلاطِمُها الدُّجى   فَتهُمُّ بالإخْفافِ نحو المِكْنَسِ[٣]
إني سكبتُ على سُراها من فمي   صَوتًا من الشعر البديع الأنْفَسِ
فتكادُ تسمعُ للكُدىٰ[٤] من بطشها   صَوْتًا يُزَعزِعُ كلَّ ليثٍ بَيْأَسِ[٥]
تنقضُّ كالبازيِّ رَامَ فريسةً   وتخوضُ بَحْرَ الرمل خَوْضَ الدِّهْرِسِ
تجري تَهُزُّ القُفَّ هَزًّا مُكْرِبًا   وتشنُّ فوقَ الدِّعْصِ غارَةَ بَيْهَسِ
وإذا ابْذَعرَّ[٦] النقْعُ عنها واكتمى[٧]   هَمَّتْ تَخُبُّ على الذرا والعِربسِ[٨]
صَخَّابَةٌ حَرَّ الهِجَان تقوَّبت   هَلَعًا لشدة ما رأت من عِرمسِ[٩]
تسري تكافحها العواصفُ في الدُّجى   ويثيرُها غضبًا حفيدُ العَنْبَسِ[١٠]
يا ناقُ بوركتِ المحيّا سارعي   واشفي الحشا من لوعةٍ لم تُطمسِ
واستدبِري المِسْعَ العجوز وغلغلي   عينيك في ربع العلاءِ الأَقْدَسِ
وإذا عوى الذئبُ المشُوعُ تشدَّدِي   فعليكِ مَسْعِيٌّ أشمُّ المَغْطَسِ
خُطِّي على الكثبان دربًا لاحبًا   حتى تَوَارىٰ في الظلام الأدمسِ
للربوة الوعساءِ[١١] يا ناقُ اهرعي   للنُّغْمَيَاتِ إلى الغُصون المُيَّسِ
خَبَّتْ كجُلْمُودٍ تحدَّر من علٍ   وكأنها فقهت عظيمَ تهجُّسي

---

(١) وَجْناءُ: الناقة الشديدة.
(٢) يَعْمَلة: الناقة النجيبة (والجمل يَعْمل).
(٣) المكنس: المأوى أو المكان المستتر بين الشجر.
(٤) الكدى: الأرض التي أبطأ نباتها.
(٥) بيأس: متكبر، من باس يبيس تكبّر على الناس.
(٦) ابْذَعرّ: تَفَرّق.
(٧) اكتمى: استتر واختفى.
(٨) العِربس: السهلُ من الأرض.
(٩) العِرْمس: الصخرة.
(١٠) العَنْبَس: الأسد.
(١١) الربوة الوعساء: ذات الرمل اللين.

ولـقـد عَـلَـوْتُ عـلـى أشـمٍّ شـامـخٍ ... بـيـن الـشَّـنَـاخـيـبِ الْـعُـتَـاةِ الْـعُـبَّـسِ
فـجـذبـتُ أطـرافَ الـزمـام مُـحَـمْـلِـقـاً ... مـتـجـسِّـسًـا عـن مِـشْـعَـلٍ أو مَـقْـبِـسِ

❊ ❊ ❊

بَحْرُ الشَّدَائِدِ

أرسـلـتُ طـرفـي فـي ديـاجـيـرِ الـدُّجـى ... أتـرسَّـم الـجَـنَـبـاتِ كـالـمُـتَـعَـسِّـسِ
هــذا الــظــلامُ وكُــلُّ شــيءٍ هــادئٌ ... غـيـرَ الـفـؤادِ الـخـافـقِ الـمُـتـحـمِّـسِ
الـقَـرُّ قـاسٍ، والـنَّـسـائـمُ حُـرْجُـفٌ[1] ... والـوَعْـرُ يـحـوي فـك كُـلِّ دَرَوْمَـسِ[2]
طَـالَ انـتـظـاري والـمـصـائـبُ كَـشَّـرَتْ ... أنـيـابَـهـا، والـصـبـح لَـمْ يَـتَـنَـفَّـسِ
الـصـبـحُ!.. يَـا لـلـصـبـحِ أيـن جَـنَـابُـهُ ... يـا قـلـبُ فـي هـذا الـرَّدى لاَ تَـيْـأَسِ
أبـدًا أحِـنُّ وَلِـلْـوَجـيـبِ تـوقُّـدٌ ... في مُهَجَتِي الحَرّى وَلَسْتُ بِمُوجِسِ
لَـهَـفِـي! وَمَـنْ يَـشـفـي فُـؤَادَ مَـتَـيَّـمٍ ... أمسَى شَرِيدَ الفِكَر كَالمُتَخَلْبِسِ[3]
لَهْفي!.. وهل يَشْفي التَّلَهُّفُ لوعةً ... يـا حَـرَّ قـلـبِ الـمُـسـتـهـام الـكَـيِّـسِ
طَـأْطَـأْتُ رأسـي والـمـدامـعُ ثَـرَّةٌ ... وغَـرِقْـتُ فـي بـحـر الـدمـوع الأخْـلَـسِ[4]
فـلـقـد طـمـى بـحـرُ الـشـدائـدِ والـتـقـى ... بـحـرٌ بـبـحـرِ قـريـحـتـي الـمـتـبـجِّـسِ
لـفَّـعـتُ فـي حـلـك الـدّجـنّـةِ سِـحْـنـتـي ... وهـتـفـتُ يـا لـك مـن ظـلامٍ أهـوسِ

❊ ❊ ❊

وَادِي الأَمَل

إنِّـي سـمـعـتُ مـن الـغـنـاءِ ألـذَّهُ ... فـرفـعـتُ رأسـي فـجـأةً بِـتَـنَـفُّـسِ
فَـتَـوَهَّـجَـتْ فـي الـروحِ شُـعْـلـةُ فَـرحَـةٍ ... وَالـفَـجـر يـنـشـر بُـرْدَه بِـتَـوهُّـسِ

(١) حَرْجَف: باردة.
(٢) الدَرَوْمَس: الأفعى.
(٣) المتخلبس: المضطرب الذي لا نظام له.
(٤) الأحلس: الدائم غير المنقطع.

الْـمَـنْـجَـعُ الـوادِي الـرغـيـبُ جَـلا الـرَّدَى … عـن مُـهْـجَـتـي مـن رَوْعِ روضٍ سُـنْـدُسـي
تـلـك الـخـمـائـلُ والـنَّـوَائِـعُ بـيـنـهـا … مِـنْ سـابـحٍ حُـلْـوِ الـغِـنـا ومُـقَـدِّسِ
وَمُـرَتِّـلِ آيَ الـجَـلالِ وَهَـاتِـفٍ … لِـيُـهِـيـبَ صُـبْـحًـا بـالـنِّـيـام الـنُّـعَّـسِ
وَمُـمَـجِّـدٍ رَبَّ الْـبَـرِيَّـةِ سَـاجِـعٍ … وَمُـعَـرِّسٍ سَـاجٍ وَغَـيْـرِ مُـعَـرِّسِ
فـنـفـحـتُ رُوحِـي نَـفْـحَـةً مُـضَـرِيَّـةً … وسَـجَـمْـتُ مِـن ثـغـري الـغِـنَـا بِـتَـحَـمُّـسِ
......[1] في النَّعف[2] يعترض السَّمَا … بـفـنـائـه مـن كـل قَـرْمٍ أشـوسِ
ولـطـمـتُ بـالـقـدمـيـن غـاربَ نـاقـتـي … وحـثـثـتـهـا غَـرْبًـا لـدارةِ عـسـعـسِ[3]
حَـتـى اسـتَـقـرَّ بـي الـنـزولُ بـبـاحـةٍ … فـيـهـا مـن الأبـيـاتِ كُـلُّ مُـطَـوَّسِ[4]

***

هيفاءُ الـمَجْدِ

فَـإِذَا بـذات الـخـدر يـنـفَـحُ ضَـوْعُـهـا … فَـزَمَـجْـتُ[5] سـاحَـتَـهـا بِـدُون تَـوَجُّـسِ
ذَا الـسَّـجْـسَـجُ[6] الـريَّـانُ فـي عَـرصَـاتـهِ … مـن كـلِّ دَفَّـاعِ الـحَـصـى مُـتَـبَـجِّـسِ
إنـي غـرضـتُ إلـى الـلـقـاء فـجـاش بـي … شَـجـنٌ فـصِـرْتُ كـسـادرٍ مـتـرهِّـسِ[7]
لـمـا نـظـرتُ إلـى تـنـاصُـفِ وجـهـهـا … دُهِـش الـفُـؤادُ، ومِـقْـوَلـي لـم يَـنْـبِـسِ
حَـيْـرَانَـةُ الأعَـطَـافِ تَـسْـرُجُ شَـعـرَهَـا … بـأنـامِـلٍ ضَـلَّـتْ بِـلَـيْـلٍ أغْـبَـسِ
يَـا حُـبُّ عَـذْبٌ، يـا شـجـونُ تَـقـادَحِـي … يـا شَـوْقُ بَـرِّحْ، يَـا هَـوَى لاَ تَـغْـبَـسِ
حَـلَّـقْـتُ فـي جـوِّ الـهَـوَى مُـتـرنِّـمًـا … وغَـمـرتُ فـي لـجـج الـغـنـا كـفـقـنُّـسِ[8]

---

(١) غير واضحة في الأصل.
(٢) النَّعف: ما انحدر من الجبل، وارتفع من منحدر الوادي.
(٣) دارة عسعس: غَرْبِي الحِمَى.
(٤) المُطَوَّس: الشيء الحسن.
(٥) زمجتُ: دخلت بلا إذن.
(٦) السَّجْسَج: الأرضُ ليست بصلبة ولا سهلة.
(٧) المترهِّس: الذي يسير باضطراب.
(٨) الفَقَنَّس: طائر عظيم ذكره ابن سينا في «الشفاء» بمنقاره أربعون ثقبًا يُصَوِّت بكل الأنغام والألحان العجيبة المطربة.

... [1] وقد صبغ الحياء جبينها وتبسَّمت خجلا بثغرِ ألْعسِ [2]
وَرَنَتْ بدعجا وين ثم تنفست وَخَطَتْ إليَّ بهيبةٍ وتغطرسِ
... [3] ثم ذُهلتُ، ثُمَ تَخاذَلت قَدَماي تحتي، والتلهُّفُ بُرْنُسي

❊ ❊ ❊

الْمُنَاجَاة

رُحماكِ، يا أملي، وغايةَ مَطْمَحي رُحماكِ يا ذاتَ الجمالِ الأنْفَسِ
جُودِي بربِّكِ وارفقي بِمُعَذَّبٍ عَبَثَ الهيَامُ بِجِسْمِهِ المُتطمِّسِ
رُحماكِ!.. رُوحي!.. يَا حَيَاةُ لكِ الفِدا وَالْجِسَمُ!.. والقلبُ الكليمُ!.. فَنَفْسِي
يَا ضَوءَ عَقْلِي يا شُعَاعَ بَصيرَتي يا نورَ نِبْرَاسي اشْرَقِي، يَا مَقْبِسي
يَا مِحْوَرَ العُشَّاقِ يا شَمِسَ الورى يا كَوكَبَ الشُعراءِ يا مُتَلمِّسي
يا هيكلَ الحُسْنِ المُخَلَّدِ رحمةً يا دُمْيَةَ الحُكماءِ يا مُستَأْنَسي
يا غايةَ الأبطالِ والعظماءِ والـ عُلَماءِ، والنُسَّاكِ، والمتقدِّسِ
رِفْقًا!.. فقد أصبحْتُ من ألَم السُّرى حَرِضًا بحبِّك يا مَهاةَ المَكْنَسِ
يا مُهجتي!.. قالتْ: كفى يا مُذْنَفُ ثِبْ لِي فَحَقُّكَ في الْهَوَى لَمَ أَبْخَسِ

❊ ❊ ❊

الْعِنَاقُ الطُّهُورُ

عَانَقْتُها حَتَّى شَرِقْتُ بأَدْمُعِي وَوَهَبْتُها طُهْرِي وَلَمْ أَتَدَنَّسِ
سَيَطُولُ مُكْثِي في العِنَاقِ أَلِيَّةً مَا دُمْتُ حَيًّا، في هَوَاهَا، مَحْبَسِي
سأَظَلُّ أرْشُفُ مِنْ رَحيقِ رُضابها الـ مَغسُولِ حَتَّى أنْ أرَى في الرَّمْسِ

---

(١) كلمات غير واضحة في الأصل.

(٢) ثغر ألْعَس: فيه سواد في حمرة، وهو مُستحسن عند العرب.

(٣) كلمات غير واضحة في الأصل.

إلْهَامُهَا لِلرُّوح شِعرٌ خَالِدٌ   وَجَمَالُها مَعْنىً لِشِعْرِي الأَسْلَسِ

***

الْحُبُّ الخالِدُ

لا بُدَّ مِن رَيْبِ المَنُونِ وإنّما   سَفَرُ الهَوى القُدْسِيّ غيرُ مُدَهمسِ
لَوْ صَوَّر الشُّعراءُ حُبّي كُلُّهُم   وتَلذُّذي لأَتَوْا بقولٍ مُلْبِسِ
أوْ أنَّ أرْبابَ البلاغةِ أعربُوا   لتَنَكَّبُوا عن وصفِ حُبّي الأشمسِ
حبّي لِعَذْراءِ الخُلُودِ حبيبةٌ   في الْعَالَمِينَ لِكُلِّ نَدْبٍ أحْمَسِ
عَرَبِيَّةٌ خَلَدَتْ عَلَى كَفِّ العُلاَ   مِنْ ضَوْئِها يَأتي الضِيَا للأَرؤسِ
عانْقتُهَا بَيْنَ الأُسُودِ وَخُضتُ في   نَهْرِ الهُيام الكوثري المُؤْنِسِ
فَبَدهْتُها والحبُّ طَافَ بكَأسِهِ   رُوحي!.. فَهَمَّتْ أنْ تُفارِقَ مَجْلسي
قَالتْ: مَهٍ!.. يَا صَاحِ واسْمَعْ نَغْمَتِي   وأرخْ فُؤَادَكَ لاَ تَكُنْ كَالمُوبِسِ
فَسَجَمْتُ دَمْعِي قُلْتُ: بِاللّه ارْحَمِي   قَالَتْ: تَصَبَّرْ!.. قُلْتُ: لا تَتَعَبَّسِي
فَرَنَتْ، وَنُورُ الأُنْسِ يَغمرُ وجْهَهَا   وَتَرَنَّمَتْ بتأوُّهٍ، وَتَرغُّسِ

***

نشيد المجد

أنا غادةُ الأبطال لهْوِي دائماً   للمجد!.. عرشِي فوق هامِ الخُنَّسِ
أنا ربَّةُ المجد العظيمِ وها هُنَا   أرْجاءُ قومي الباسِلِينَ الرُّؤسِ
أنا دُرّةُ المجد الأثيل وحوليَ ال   آسَادُ تَترىٰ للملاذِ الأقْعَسِ
أنا موئلُ الأَحْرَارِ مِن قِدَمٍ وفي   صَرْحي تَسَامَتْ عالياتُ الأنفسِ
أنا شُعلَةُ التَّاريخِ في مَرْجِ العُلا   رَغْمَ الأنامِ، ورَغْمَ كلِّ مُدَلِّسِ
أنا لا أمُوت وهذهِ رُوحي على   عَرش الجمال تَرُفُّ فوق الأرؤسُ
مِنّي اسْتَمَدّ النّاسُ قُوةَ رُوحِهِم   وَرَنتْ شُعُوبُ الأرض نحو تَنَطُّسِي

بِجَزِيرَةِ العُرْبِ الأَشَاوِسِ مَنْبَتِي ... وَبِأَنْفُسِ الأَمْجَادِ شُيِّد مجلِسِي
مثْوَايَ مَدْرَسَةُ الفضائلِ للوَرَى ... وشذى الحصانةِ والنُّهى من مَغْرِسي
هذي مآثِرِيَ الحسانُ كأنّها ... تاجٌ على رأس الخلود الأَشْوَسِ
سِرْ في البسيطة واسأل الدُّنْيا عَنْ الـ ... ـمجدِ العجيب وللكمال (. . . .)[1]
هلك الجُدودُ الغابِرُون وخَلّدوا ... في الدهر صوتًا داويًا بتحمّسِ
ما ذاكَ إلاَّ صَوْتيَ الجذّابُ لَم ... يَخْفُتْ على كَرِّ العُصُور ويخنسِ
لِيَ في الزمان بكلّ يَوْمٍ نَغْمَةٌ ... يُصْغِي لَهَا عُشَّاقُ مَجْدِي المُشْمِسِ
صَدَحَتْ لَدَى الأَحْفَادِ مني نغمةٌ ... فَتَسَمَّعُوهَا رَهْبَةً بِتَرَهُّسِ[2]
فَتَوَاثَبُوا وسُيُوفُهُمْ مَسْلُولَةٌ ... بِسَوَاعِدٍ مفتولةٍ كَالقُبْرُسِ[3]
وعلى تُخُومِ حِمَايَ موتٌ أحمرٌ ... لِمُخَاتِلٍ أو خَائِنٍ مُتَجَسِّسِ
فَأَنَا «العُرُوبَةُ» لَنْ أُهَانَ وَكُلُّ مَنْ ... رَامَ الكِفَاح فَذَاكَ جِدُّ مُهَوِّسِ

***

جَمَالُ الْعُرُوبَةِ

العُرْبُ قومٌ دارُهم أوجُ العُلا ... وَالكُلُّ لَمْ يَخْنَسْ وَلَمْ يَخْرَمِّسِ[4]
قَوْمٌ إذَا ذُكِر الحِفَاظُ تَوَاثَبُوا ... شَوْقًا إلَى سَاحِ الوَغَى بتحمُّسِ
إنّ العروبَةَ لَن يُهَانَ شَبَابُهَا ... أبدًا وَحَادِي القَوْمِ لَيْسَ بِمُوبِسِ
فَهُمُ الأسُودُ إلى النهوض تَوَفَّزُوا ... وَتَحَفَّزُوا للحَقِّ دُونَ تَعَكُّسِ
ظَهَرَتْ طَلائِعُهُمْ عَلَى أُسُس العُلاَ ... كَكَوَاكِبِ الْخُسَّانِ[5] لم تَتَدَخْمَسِ[6]

---

(١) غير واضحة في الأصل.
(٢) بترهُّس: باضطراب.
(٣) القُبْرُس: (بالضم) أجود النحاس.
(٤) اخرمّس: ذل وخضع.
(٥) الخُسّان: النجوم التي لا تغرب، كالجري والفرقدية.
(٦) لم تتدخمس: لم تُستر.

قَومٌ إذَا افْتَرَّت ثُغُورُ شُيُوخِهِمْ ... خَلَبُوا العُقُولَ لَدَى الْبَيَانِ المُخْرِسِ
وإذا تَنَادَى العزمُ بين شبابهم ... هَبُّوا بغير تَغَشْمُرٍ وَتَمَيُّسِ
سُمْحُ الوُجوهِ سريعةٌ خُطَوَاتُهم ... لِلْعِزِّ دونَ تَخَوُّفٍ وَتَوَهُّسِ
وإذا نظرتَ إلى الرضيع كأنَّهُ ... نَجْمُ العَذَارَى المُحْصَنَاتِ اللُّعَّسِ
حتى إذا اجتاز الصَّبَاوَةَ خِلْتَهُ ... أسدًا يُبَارِي كُلَّ لَيْثٍ كَهْمَسِ
غَرٌّ وكلُّ كريمةٍ عَرَبِيَّةٍ ... تَسْمُو بِذَيْلٍ طَاهِرٍ لَمْ يَدْنَسِ
هُنَّ المَنِيعاتُ المنالِ شَرِبْنَ مِنْ ... عذبِ الفَضَائلِ في الخِبَاءِ السُّندسي
هُنَّ العفيفاتُ اللَّواتي ما بدا ... منهنَّ طرفٌ للفتى الْمُتَنَجِّسِ
قَدْ صَانَهُنَّ اللَّه في مَغْنَى الحَيَا ... إنَّ الحَيَاءَ لَهُنَّ طَبْعُ المَغْرِسِ
هَذَا الجَمَالُ وَكُلُّهُ بِجَزِيرَتِي ... في شِيبِهَا وَشَبَابِهَا المتحمِّسِ
في الأمِّ، في العذراءِ في الخُودِ التي ... زُفَّتْ، وفي الطفلِ الصغيرِ المؤنِسِ
سَلْ كُلَّ شِبْرٍ في الجزيرة كُلِّهَا ... عن كل فَضْفَاضِ الرِّداءِ مُفَرْدَسِ
فيها تَمَخَّضَتِ الحقائقُ عَنْ عُلاً ... إشْعَاعُهَا مِنْ ذَا الكِتَابِ الأَقْدَسِ

* * *

يَنْبُوعُ الْحَقائِقِ

في حِكْمَةِ القُرآنِ مَا يُغْنيكَ عَنْ ... سُقْرَاطَ[1] أو بُقْرَاط[2]، أو إقْليدِسٍ[3]
لو خُضْتَ في أعماقِهِ لَوَجَدْتَهُ ... بَحرًا حوَى من كل دُرٍّ أَنْفَسِ
هَذَا هُوَ السِّفْرُ العَزِيزُ وَإِنَّهُ ... عن شرحه عَجَزَتْ جَميعُ النُّطَّسِ[4]
وَقَفَ الأنَامُ لِكُلِّ حرفٍ خُشَّعًا ... من أحْرُفِ الذكر الحكيم الأَسْلَسِ

---

(١) سقراط: فيلسوف يوناني قديم عاش قبل الميلاد.
(٢) بقراط: طبيب يوناني عاش قبل الميلاد.
(٣) إقليدس: رياضي يوناني عاش قبل الميلاد.
(٤) النطس: جمع ناطس وهو العالم.

أَوْحَى الْإِلهُ كِتَابَهُ لِمُحَمَّدٍ … فَخرِ الخَليقَة والبشيرِ الأَشْوَسِ

* * *

جَوامِعُ الكَلِم

وَلِخَيْرِ خلقِ اللَّه ما إنْ رُمْتَ مِنْ … وِرْدٍ لِعقلِك وِرْدُهُ لَمْ يُطْمَسِ
المُصْطَفَى الهَادِي لأَعْظَم حُجَّةٍ … مَنْ هذَّب الدنيا بأكرم مدْرَسِ
لاَ تعطني غُوسْتَافَ[1] أو دْيكَارْتَ[2] أو … رِينَانَ[3]، بَلْ ثِبْ للحديث الأَنْفَسِ
أَرْشُفْ رُضَابَ الحقّ من إعجَازِهِ … وَاسْكُنْ بِرَاحِ عُلُومِهِ إنْ لَمْ تُسِي
وَدَعِ الأواخِرَ وَاجْنِ شهْدَ بَيَانِه … وَانهَجْ إلى السَّلَفِ الكِرَامِ الرُّؤْسِ
فَهُمُ البذُورُ وهم خُلاَصَاتُ الوَرى … وَسِوَاهُمُ في وَهْمِهِ كَالمُفْلِس

* * *

حَمَى الأبطَالَ

وَطَنِي الْجزيرةُ مِنْ هَوَاها، في دِمِي … حُبٌّ تَعَمَّق في الحجى وَتَنَفُّسِي
فمِنَ الْخَليجِ إلى اليمامةِ مَرْبَعي … للقلزمِ[4] الزخّارِ غرباً مجلسي
من حضرموتَ إلى الشآمِ مواطني … للبصرةِ الفيحَا لِبَيْتِ المَقْدسِ
فجزيرةُ العُرْبِ الأُبَاةِ بِطُولِهَا … وبعرضِها وطني العظيمُ وَمَأْنَسِي
إني لأَحْفَظُ حُبَّها في مُهْجَتِي … وَلِمَجْدِهَا عَزْمِي الذي لَمْ يَيْأَسِ
سِرْ في صَحَارَاهَا وَبَيْن حُزُونِهَا … وإذا وَصَلْتَ حمَى الأُسُودِ فَعَرِّسِ
أَقْرِىءْ سَلاَمَ الْوُدِّ وَالْحُبُّ الَّذِي … غَنَّى به لِلعِزِّ رُوحُ الأَلْيَسِ
صَدَح العراقُ وإنه من قلبها … فيها وغنَّىٰ الشَّامُ لحنَ الأَنْفُسِ

---

(١) غوستاف لوبون: مفكر ومؤرخ فرنسي حديث.
(٢) ديكارت: فيلسوف ومنطقي فرنسي حديث.
(٣) رينان: مستشرق فرنسي حديث.
(٤) القلزم: البحر الأحمر.

وتوفزتْ مصرُ العزيزةُ وَهْيَ مِنْ … أرضِ الجزيرةِ في المَحَلِّ الأَقْعَسِ
أبناءُ تُونُسَ والْجَزَائِرِ كُلُّهم … أبناؤهَا وَطَرَابُلاً، لاَ تَبْخَسِ
وإلى مُرَاكُشَ إن أردت بلاغةَ السَّ … يْفِ الصَّقِيلِ مِنَ الْمَلاَذِ الْمُشْمِسِ
هذي بلادُ الغُرْبِ تَنْظُر أُمَّهَا الـ … كُبْرى بطرفٍ للعُلا لَمْ يَنْعَسِ
كُنْ في الصَّميم فديتَ حَيْثُ العِزُّ لَمْ … يُلْمَسْ بِكَفٍّ نَاشِزٍ أَوْ يُمْسَسِ

***

مَهْبَطُ الْوحْي

وَتَحَسَّسَنْ لِمُنَاكَ مِنْ نَجْدٍ وَسِرْ … وَخُذًا إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ الْمُؤْنِس
واستَنْشِدِ الشِّعْرىٰ وسلْ أثلاثَها … لِلسِّرِّ لِلنِّير الرَّهِيبِ الأَمْلَسِ
لِلْحَرة الرَّجْلاَءِ حَوْلَ عُشَيْرةٍ … قِفْ صَامِتًا لِصُخُورِها لا تَنْبُسِ
وَانْزِلْ بِذِي سَلَمٍ وَرَتِّل نغمةً … وَاسْأَل مَآثِرَ كُلِّ نَجدٍ أفْرَسِ
وإذا حَلَلْتَ السَّيْلَ صبحًا فاغتَسِلْ … وَاحْرِمْ وَكَبِّرْ خَاشِعًا وَتَلَمَّسِ
واهرَعْ على الأَقْدَامِ مُعْتَمِرًا وَقُلْ … لَبَّيْكَ يا رَبَّ الْوُجُودِ وَلا تُسِي
وَانزِلْ تِهَامَةَ خَاشِعًا وَمُنكِّسًا … رأسَ الخُضُوعِ بلا هوىً وتَوَسْوُسِ
حتى تَرَى البيتَ المشرَّفَ قَدْرُهُ … فَارْجُ الإلهَ بِذِلَّةٍ وَتَنَكُّسِ
وَإذَا اعتَمَرْتَ فَأَدِّ فَرْضَكَ مُقْتَدٍ … بِأَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ يَا ابنَ الحُمَّسِ
وَقُلِ السَّلاَمُ عَلى الحَبيبِ مُحَمَّدٍ … بِمَدِينَةِ النُّورِ الَّذي لَم يُطْمَسِ
أَدِّ المَنَاسِكَ وَالْمَشَاعِرَ رَاجِيًا … غُفْرَانَ ذَنْبٍ بِالحَشَا مُتَأَسِّسِ
لا هُمَّ رَحْمَتَكَ التِي تُغْشِي الوَرَى … لا هُمَّ مَغْفِرَةً لِعَبْدٍ مُفْلِسِ

***

النَّشْوَة الْخَالِيَةُ

مَالِي وَلِلْبَوْبَاةِ أَنْهَبُ وَعْرَهَا … وَأَمَامَ عَيْنِي كُلُّ صَرْحٍ أَقْعَسِ

قَدْ صِرْتُ رُوحًا مُشْرِقًا شَفَّ الهَوَى ... رُوحِي وَكُلَّ كِيَانِيَ الْمُتَقَوِّسِ
إِنِّي نَظَمْتُ لِغَادَتِي عِقْدًا بِهِ ... مِنْ كُل غَالٍ مُسَلْسَلٍ وَمُسَرَّسِ[1]
فَأَمِنْتُ غِبَّ السَّيْرِ فِي الإِدْلاَجِ إِذْ ... صُبْحًا نَجَوْتُ بِصِحَّةِ الْمتَكَمِّسِ
فَاجَأْتُهَا وَالْوَجْدُ يَقْدَحُ شِرَّتِي ... لَبَّيْكِ يَا كَنْزَ الْجَمَالِ الأَنْفَسِ

(١) مُسَرَّس: المشدود بعضه إلى بعض.

(٢١)

الكَوْكَبُ الحَائِرُ

على جَمَراتِ البَيْنِ قلبٌ مُزَعْزَعُ   وليلي بهيمٌ، بالخطوبِ مُلَفَّعُ

جُيوشُ الهُمُوم الداهماتِ كَأَنَّها   عَقاربُ سُوءٍ بين جَنبيَّ تَلْسَعُ

خَوَادِعُ آمالِي الحِسانِ كَأَنَّها   سَرابٌ على مَوْجِ الرِمَالِ مُشَعْشَعُ

فيا نفسُ صبرًا إن دُونَكِ هُوَّةً   لَدَى الموتِ أقصى ما يرومُ المُضَيِّعُ

لَيالِي النّوى هل يجمعُ الدهرُ شَمْلَنا   وتشمَلُنَا بالأُنسِ والعَطْفِ أربعُ

وَيَا رَبِّ إن كانَتْ حياتي سعيدةً   وإلاَّ فَبَطْنُ الأرضِ أولَىٰ وأنفعُ

أبيتُ بِدَارِ الذُّلِّ سَار كأنَّ بي   جنونًا، بأنجامِ السَّمَا مُتَوَلِّعُ

أعُدُّ نجومَ الليلِ والطرفُ شاخصٌ   إلى الملإِ الأَعْلَى وقد سحَّ مَدْمَعُ

نزلتُ على حكم الرَّدَى في دجى النّوى   وقلبيَ فيهِ حائرٌ مُتَفَزِّعُ

فَمَاذَا ترى تُجدِي الحياةُ وكُلُّنَا   على إثْرِ دَرْبِ الموتِ نَقْفُو وَنَتْبَعُ

أأشْقى وفي رَبْعي يَنَابيعُ ثَرَّةٌ   وَقَصرٌ مَشيدٌ بالكرام مُمَنَّعُ

فيا نَغْمةَ الأحزانِ هل بَعْد ذا الأسى   سرورٌ، وصفْوُ العيشِ بالأُنس يُتْبعُ

تَعَطَّفَ نحوي شَامِتُو الناسِ رَحمةً   وَرَبِّك هذا بعضُ ما أتَجَرَّعُ

فيا ويحَ مَن يلقَى مِن الضّدِّ رَحْمَةً   وليس له في العطفِ كَفٌّ وأُصْبُعُ

كُروبٌ وأهوالٌ جِسامٌ وغُرْبَةٌ   وسُقْمٌ، وبُؤسٌ عَارِمٌ وَتَفَجُّعُ

جَمَعْتُ صنوفَ الضُّرِّ من كل جانبٍ   وباللّه أرجو كشفَ ما يُتَوقَّعُ

حكاياتُ أيامِ الفراقِ كأنَّها   سجلٌ بِمَأْسَاةِ الحوادث مُشْبَعُ

أجوعُ وفي مغنى الأَحِبَّةِ مَرْتَعٌ   وَسَهْبٌ خصيبٌ بالنعيم ومَنْجَعُ

أبيتُ وليلُ الهَمِّ فَوْقِي مُخَيِّمٌ
وأهدأُ صَبْرًا والحشا يَتَقَطَّعُ

أُحَرِّقُ أطرافَ البَنَانِ تَأَسُّفًا
وبُعديَ عن مَغْنى الأَحِبَّةِ مِصْقَعُ

تَمُرُّ لَيَالِيَّ الشِّدادُ وَلَمْ أجِدْ
بها غيرَ قلبٍ لِلزُّعُوفِ[1] يُوَزَّعُ

سُهادٌ ودمعُ العينِ مِنِّي هَاطِلٌ
مزيجُ دَمٍ في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ طَيِّعُ

ينامُ الوَرَى مِلءَ الجُفُونِ وَإِنَّني
كَشِلْوٍ عَلَى جَمْرِ الْهُمُوم يُمزَّعُ

تَهزُّ كِيَاني الذكرياتُ إلى الحمى
وتُطرِبُني الأشواقُ والوَجدُ يَدْفَعُ

وتُدْنِي لِيَ الآمالُ أهلي وَمَوْطِني
لِعَيْنِي، ودُوني بحرُ هَولٍ وَبَلْقَعُ

تذكّرتُ أحْبابي الذين رُبُوعُهُمْ
على ساحلٍ فيه المُنىٰ تَتَشَعْشَعُ

تذكرتُ والذكرى كصَابٍ لِذِي الأسَى
وأهوالُ دهري للكيان تُزَعْزِع

تَذَكَّرتُ أيامَ الهَنَاءِ بِمَكَّةٍ
وَحَوْلِيَ أسرابُ الحمائمِ تَسْجَعُ

أُسَائِلُ روّادَ الأماني بحُرقةٍ
لَعلَّ جَوَابًا بالحقيقةِ يَسْطَعُ

فيا صُورَ الآمَالِ كُفِّي وَحَسْبُكِ الزَّ
خَارِفُ والثوبُ البهيج الموشَّعُ

ويا شَبَحًا بالأمنياتِ مُجَلْبَبًا
خَيالُكَ أوهامٌ بنفسِيَ لُمَّعُ

إليَّ طيوفَ الشوقِ هُبيّ بنفحةٍ
مُجَسَّمَةٍ من عالمِ الغيبِ تُقْنِعُ

إلَيَّ طيوفَ النازلينَ بِمَرْبَعٍ
يُحيطُ به ماءُ الْخَليجِ وَمَهْيَعُ

بعيدُون عني غيرَ أنّ طيوفَهُمْ
كَأَطْيارِ شجوٍ في فؤادي تُوَقِّعُ

لِيَالِي النَّوى!.. هَلْ مِنْ سَبيلٍ إلى الهَوَى
فنملأَ كأسَ الأُنسِ صِرْفًا وَنَكْرَعُ

لَيالي النوَى!.. أَوّاه من وَطْأَةِ الجوَى
ففيكِ حنيني للحِمىٰ لَيْسَ يُرْدَعُ

ليالِي النوى فيكِ الغريبُ قدِ اكتَوى
وطاش له قلبٌ ولحظٌ وَمَسْمَعُ

لَيَالِي النَّوَى!.. رَتَّلْتُ فيكِ مِنَ النوَى
أناشيدَ وَجْدٍ، جَرْسُهَا مُتَرَجِّعُ

---

(١) الزُّعوف: المهالك.

أَيَـا حُـرَقَ الأشـواقِ هَـلْ لَـكِ آخِـرٌ ... وهل يَشْتَفي بالقُرْب قَلْبٌ مُروَّعُ؟..

وَهَلْ تَغْمُر المَغْنَى شُموسُ أحِبَّتِي ... وَهَلْ تَتَمَلَّى العَيْنُ فيهمْ وَتَشْبَعُ؟..

وَهَلْ بعدَ هذا البعدِ قُرْبٌ وراحةٌ ... وهل أنجُمُ الأَحبَابِ في الأفْقِ تَلْمَعُ؟.

فيا رَبْعَ (رَيَّا) إنّ فيكَ أحبةً ... لهُمْ أكبدٌ حَرّى إلى اللَّهِ تَضْرَعُ

أتذكرُ (رَيَّا) عهدَ حَادِي مَطِيِّهَا ... إذِ العيسُ تُحْدى وَالنَّشِيدُ يُرجَّعُ؟..

أتذكُرنِي (ريَّا) وقد جَدَّ بِي الهَوَى ... وقد ضَمَّنا في جَنَّةِ الحُبِّ مَرْتَعُ؟..

أتذكر (ريَّا) خيمةَ العز في الحمى ... إذِ الطيرُ شادٍ والجآذرُ[1] تَرْتَعُ؟..

أتذكرُ (رَيَّا) خَالِدَاتِ قَصَائِدِي ... وقد كان عيشي بالمعَزَّة يُمْنَعُ؟..

أتذكر (ريَّا) حيث كنتُ بجَنْبِها ... كقُمريِّ روضٍ للنشيدِ يُنوِّعُ

يقولون (ريَّا) قد سَلَتْكَ وعهدُهَا ... مواعيدُ عُرْقُوبٍ!.. فَمَا لَكَ مُوجَعُ

لقد كَذَب الواشونَ فيها وأوَّلُوا ... ففي قلبِ ريَّا يومَ بَيْنِي تَفَجُّعُ

فتاةُ الهوَى العُذْرِيُّ (رَيَّا) وإنَّهَا ... لها الطُهْر بُردٌ والفَضيلَةُ بُرْقُعُ

لقد حَسَدُونِي في هواهَا وَأَوْغَرُوا ... عَلَيَّ صُدورًا بالحميَّةِ تُوزَعُ

ولم يرقُبُوا في اللَّه عهدي وعهدَها ... شياطينُ إنسٍ بالشرورِ تَدَرَّعُوا

إذَا ضَيَّعَتْ (رَيَّا) عُهُودِي فإنَّنِي ... أُعيذُ سَجَايَاهَا وَلَسْتُ أُضَيِّعُ

أهيمُ ولي من قُربِ (رَيَّا) وبُعْدِهَا ... حديثٌ طويلٌ بالأَسَى مُتَفَرِّعُ

وقد لَمَسَ الوَاشُونَ مِنّي تَعَفُّفًا ... فطاشُوا، وَصُبْحُ الحَقِّ أزْهَى وأنْصَعُ

تَغَامَزَ نحوي الَّلامِزُونَ وَشَيَّعُوا ... إشَاعَةَ سُوءٍ بَيْنَ قَوْمِي وَذَيَّعُوا

أَرَاهُمْ وقد ألفيتُ فيهم بَشَاشَةً ... وَبَيْنَ حَنَايَاهُمْ نُمُورٌ وَأَضْبُعُ

ولم يرقبوا في اللَّه ذِمَّةَ مُسْلِمٍ ... غريبٍ له نفسٌ عن الغَيِّ تُرْفَعُ

---

(١) الجآذر: واحدها جُؤْذَر: ولد البقرة الوحشية.

بِأَيِّ دَلِيلٍ مِن شَرِيعَةِ أَحْمَدٍ ... ومن أي نَصٍّ بِاضْطِهَادِي تَذَرَّعُوا
إِلَيكَ إِمَامَ المسلمينَ وَسَيِّدَ الْـ ... ـمَيَامِينِ بعدَ اللَّه أشْرِي وأهْرَعُ
إِلَيكَ شَكَاتِي بَعْدَ رَبِّك إِنَّ لي ... عَدُوًّا كَشَوْبِ الطَّعْنِ فيَّ يُرَقِّعُ
يُرَائي دَعِيَّ الْعِلْمِ بالدينِ وَالتُّقَى ... وفي قَلْبِهِ نارٌ من الضِّغْنِ تَلْذَعُ
لقد وَعَدَ القُرْآنُ بالنار كل مَنْ ... يرومُ اغتيابَ الخَلْقِ في العِرضِ يُوقِعُ
أَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الإغتيابَ أشدُّ مِنْ ... زِنَا العَبْدِ إن صَحَّ الْحَديثُ الْمُفَرَّعُ
ألاَ إِنَّ مَنْ يهوى إشاعةَ فاحِش ... فَبَشِّرْه نَارًا، بالرَّدَى تَتَقَعْقَعُ
فما لِدَعيِّ العلمِ لا يَسْتَحِي وَلاَ ... يَكُفُّ عن البُهْتَانِ لاَ يَتَوَرَّعُ
أَلَمْ يَدْر أَنَّ السَّتْرَ أَوْلَى بِمُسْلِمٍ ... إذا كَان حَقًّا قَوْلُ مَنْ يَتَنَطَّعُ
فإن كنتُ قد أسْرَفْتُ إسْرَافَ مُسْرِفٍ ... عَلَى نَفْسِهِ إنِّي إلَى اللَّه أفْزعُ
ألم يَخْشَ يَوْمًا حيثُ لاَ خِلٌّ فيهِ لاَ ... بَنُونَ وَلا مَالٌ لدى الحقّ يَنْفَعُ
فَبَهْرًا لِخَرَّاصِ الظُّنونِ وَقَوْلُهُ ... سَحَابٌ بآفاقِ الرَّجا مُتَقَشِّعُ
على أيِّ حَالٍ لاَ أَرَى مِنْ مَطَاعِني ... سِوَى ضَلَّةٍ عَمَّا قريبٍ تَقَشَّعُ
فلي شِيمةٌ لا تقبلُ الهُونَ مَنْزِلاً ... وبي الحِلْم مَطبُوعٌ وَلَيْس تطبُّعُ
وَلي هِمَّةٌ قَعْسَاءُ لا تعرف الوَنَى ... وكأسُ حَيَاتِي بالْمُرُوءَةِ مُتْرَعُ
وَمَا ضَرَّنِي أَنْ كُنْتُ في حِرزِ شيمَتِي ... إذا كانَ وَغْدٌ لِلْكَرَامَةِ يُقْذِعُ
إذا كان عهدُ الناسِ منه شجاعةً ... وَرَبِّك إنِّي منهُ أقْوَى وَأشْجَعُ
فهذا بِحُكْمِ اللُّؤمِ تعلو قناتُهُ ... وإني على حُكْمِ المُرُوءَةِ أخْنَعُ
فكلُّ بِنَاءٍ من ظُنونٍ وَرِيبَةٍ ... بِكُل زمانٍ سَاسُهُ مُتَزَعْزِعُ
أَجَلْ إنني لاَ أَدَّعي غَيْرَ مَا أرَى ... وهذا جَوَابٌ عَمْرُكَ اللَّهُ مُقْنِعُ
سَريتُ على بَرْد اليقينِ مُغَرِّبًا ... أخُطُّ الرُّبَى وَخَدًّا أقيسُ وَأَذْرَعُ
عَلَى مِنْبَرِ الإخْلاَصِ قلبيَ خافِقٌ ... وَمِحْرَابُ إيمَانِي به الفكرُ يَرْكَعُ

إلَيْكَ أمينَ اللّه في الأرضِ أشتكي   مرارةَ شوقٍ نارُهُ تتدلّعُ
أعيذُكَ أن تُصغي لِفريةِ مُغرضٍ   وسمعُك عن هذا أجلُّ وأرفعُ
فإنْ كنتُ قد أذنبتُ ذنبًا علمتُهُ   فعفوُك فيّاضٌ وحِلمُك يوسعُ
ولستُ أُبالي إنْ رضيتَ وإنّني   على رغمِ هذا البينِ للحقِّ أصدعُ
حنانيكَ بشرٌ شاعرًا في الهوى لَهُ   فؤادٌ نقيٌّ بالهمومِ مُبضَّعُ
وإنّي لطمّاعٌ بجدواكَ مُختمٌ   وشيمتُكَ العصماءُ باليُمنِ تنبعُ
فلستُ محبَّ البُعدِ لكنْ بمُهجتي   فؤادٌ بحبِّ الإطّلاعِ مُولَّعُ
أجِرْني بعدَ اللّهِ من غربةٍ لها   بنفسيَ سُمٌّ قاتلُ النفسِ مُنقعُ
أظلُّ وفي الأحشاءِ نارٌ كأنّني   بوادٍ سحيقٍ فيه غُولٌ وأسبُعُ
أبيتُ حسيرًا في الدجى وجوارحي   تحِنُّ إلى لُقيا جوابِك خُشَّعُ
أسيرُ على حرِّ الهجيرِ مخرّقًا   وقوميَ كلٌّ بالصفاءِ مُربَّعُ
لقد أمحلَتْ عيشي شدائدُ جمّةٌ   وأرباعُ قومي خيرُها مُتنبّعُ
فجُدْ لي إمامَ المسلمينَ ببُلغةٍ   أرُدُّ بها وخزَ الشّماتِ وأردَعُ
وبادرْ لنصري بعد ربِّكَ إنّني   حليفُ همومٍ بالسّقامِ مُضعضَعُ
فشيمتُكَ الإحسانُ والجودُ والتُّقى   ومِن كفِّكَ، المعروفُ في الناسِ يُزرَعُ
أيهلكُ بالبأساءِ والضُّرِّ شاعرٌ   لهُ كانتِ الآذانُ تصغى وتسمعُ؟..
أيشقى وفي أمِّ القرى كلُّ سيّدٍ   يحنُّ إلى ترتيلِه يتطلّعُ
أيشقى بأرضِ الأعجمينَ وعندكُم   أناشيدُه تُتلى وتُملى وتُطبعُ
أقِلْ عثراتِ الأكرمينَ ففي الحشا   منَ البينِ من فرطِ المصائبِ مِصدَعُ
أأشقى وفي مغناكَ تهمي سحائبٌ   ونهرُكَ فيّاضٌ يُعِلُّ ويُنقِعُ
أينعمُ بالسحرِ الحلالِ أشاوسٌ   ومُزجيهِ في دارِ الرّدى مُتفجِّعُ
ومن حيِّكَ المعروفُ يعبقُ عَرفُهُ   وفي كلِّ دارٍ طيبُهُ يتضوَّعُ

لِمَنْ أشْتَكِي بَعْدَ الإلَهِ ضَرَاوَةَ الْـ ... مَصَائِبِ، إن تَجْفُو، بِمَنْ أتَشَفَّعُ
ذِمَارُكَ لَم يُخْفَر وَعهدُك أيِّدٌ ... قَوِيٌّ وعهدُ الناسِ عَهْدٌ مُضَيَّعُ
بَذَلْتَ ولِلْحُسْنَى بَذَلْتَ وَلَم يُطِشْ ... يَمينُك إسرافٌ يُحِطُّ وَيُوضِعُ
وحدثتَ بالنعماءِ للَّهِ شاكرًا ... فَريشَ يَتيمٌ في حِمَاك وَمُدْقَعُ
بذلتَ لوجه اللَّه والناسُ كلُّهم ... شحيحٌ لوجه المالِ يَغْزُو ويجمعُ
بذلتَ فَلا منٌّ وأحسنتَ لا أذى ... وأضحى جميعُ الناس لِلرِّفد يَطْمَعُ
وحطَّمْتَ كابوسَ المَجَاعَةِ في الحمى ... فغنَّى بآياتِ المكارمِ مُوجَعُ
حياتُك رَهْنُ العِزِّ في كل بُقعةٍ ... وصوتُكَ رَهْنُ الحقِّ ما جَدَّ مُشْرَعُ
حَفظتَ حقوقَ الدينِ والليلُ عَاكِرٌ ... وغيرُكَ بالإبْدَاعِ والجهلِ ضَيَّعُوا
سَرَيْتَ على نورِ اليقين بليلةٍ ... لها حَلَكٌ في هُوَّةِ الجهل أسْفَعُ(١)
وأيقَظْتَ قومًا للحنيفيَّةِ التي ... سَلاَهَا بَنُوها وَهْيَ كالشمس تَسْطَعُ
فأمرُكَ بالذكر الحكيم مقيَّدٌ ... وسعيُك للدين الصحيح مُوَزَّعُ
مَسَكْتَ زِمَامَ الفضلِ والحِلم والندى ... وأرخيتَ كفًّا للمَكارمِ تُسْرِعُ
أقمتَ بِحدِّ السيف مُلكًا ودولةً ... تذِلُّ لها كلُ المُلوك وتَخْضَعُ
لكَ العزمةُ الكبرى إذا جَدَّ حادِثٌ ... من الفِتَنِ الهوجاءِ أو ضَلَّ مُبدِعُ
نَطقتَ وقولُ الحق من فيك يُرْتَجى ... وَلاَ زَال(٢) طِفْلُ الْمَجدِ مِنْ فيكَ يَرْضَعُ
وأشرقتِ الأجنانُ نورًا بقَوْلِكَ الـ ... صَّريحِ، وقولُ الحق أوْلَى وَأنْفَعُ
قُلُوبُ العِدَا تَصْلَى جَحِيمَ حُقَوُدِهَا ... وَأفئِدَةُ الأمْجَادِ نَحْوَكَ نُزَّعُ
وأورثَك الربُّ القديرُ مَرَابِعًا ... بها كانتِ الظُّلاَّمُ ترعى وَتَمْرَعُ
أقَمتَ على أنقاضِ دولةِ مُلكِهِمْ ... مِنَ الْعَدْلِ مُلكًا روضُهُ مُتَرَعْرِعُ

---

(١) الأسفع: الأسود اللون إلى حمرة.

(٢) الأصح لغة: وما زال. لأن ما زال من أفعال الاستمرار الماضية التي تنفي بـ«ما» وليس بـ«لا».

وَخَبَّ على الأعْقابِ في ليل بَغْيِهم ... سلاطينُ جَوْرٍ بالشَّقاوَةِ أوْلِعُوا
سيوفُ مُلوكِ الأرضِ مفلولةٌ على ... صُخُورِ الونَى لكِنْ سُيُوفك قُطَّعُ
ملوكُ الورى أعْبَادُ دُسْتُورِ قَوْمِهِم ... وأنتَ لِشَرعِ اللّهِ عَبْدٌ وَمَيْضَعُ
فَشَتَّانَ بين الطَّائِعينَ لِقومِهم ... وبينَ إمامٍ قومُه الأُسْدُ طُوَّعُ
فتيجانُ أقْيالِ الأنامِ زَخَارِفٌ ... وَتاجُك مجدٌ بالبُدُورِ مُرَصَّعُ
فلم يَصْطَنِعْكَ المُلكُ عبدًا وإنَّما ... لك المُلْكُ عَبْدٌ خاضِعٌ مُتَضَرِّعُ
وَمَا أنت إلا عبدُ ربِّ الورَى الذي ... حَبَاكَ، ولم يُبطِرْكَ مَالٌ مُجَمَّعُ
فقدْ سُدْتَ بالعقلِ الكبير وَحِكمَةِ الـ ... فُؤَادِ وفيك الرفْقُ طَبْعٌ وَمَنْزَعُ
وأنتَ إمَامُ المسلمين بِأَسْرِهِمْ ... وَخَلْفَكَ خُمْسٌ ساجدُونَ ورُكَّعُ
سَعَيْتَ لِوَجْهِ اللّه والناسُ غُفَّلٌ ... وأحْيَيْتَ ليلَ الزُّهدِ والنَّاسُ هُجَّعُ
عَرَفْتَ وَأدَّيْتَ العبادةَ حَقَّها ... وقمتَ لأصنامِ الضَّلالِ تُصَدِّعُ
وأثَّلْتَ للدينِ القويم صُرُوحَهُ ... فأشرقَ بالأنْوَارِ قَفْرٌ وَمَمْرَعُ
أقَمتَ حُدودَ الشرعِ في كل رُقْعَةٍ ... من الأرضِ، رَغْمَ الأنفِ، مَا شَذَّ أجْدَعُ
وعبَّدْتَ دَرْبَ السالكينَ وأمَّنَتْ ... بهَمَّتِكَ الشَّمَّاءِ سُبْلٌ وَهَيْطَعُ(1)
نُصرتَ بسيفِ الرُّعبِ والعدلُ شامِلٌ ... مَسيرَةَ شَهرٍ وَالعَوَامِلُ شُرَّعُ
ومن حُضْنِك المغمورِ بالفَضْلِ والندى ... إلى النَّاسِ مُدَّتْ بالمكَارِمِ أذْرُعُ
وضجَّ على عَليَا المَنَابِرِ عُصْبَةٌ ... من النَّفَرِ الأمْجَادِ فيكَ وَأبْدَعُوا
فَسَالَتْ بفضلِ اللّه وِدْيانُ حَيِّك الـ ... عَزيزِ بشهدٍ والحِمَى مُتَخَلِّعُ
وأصبحتِ الخيراتُ تَتْرَى كأنَّها ... مُزُونٌ مُسِحَّاتٌ وَبَرْقٌ مُلَعْلِعُ
فخالطتِ الآسادُ آرامَ(2) وَجْرَةٍ(3) ... ورمَّ مُسيلَ السُّمِّ للطيرِ أقْرَعُ

(١) الهيطع: الطريق الواسع.
(٢) آرام: جدين الحرمين.
(٣) وجرة: مأوى الأسد.

دَعَاكَ دُهَاةُ العُرْبِ مَاردَ مَهْمَهٍ ... وما أنت إلا كالمَلاكِ وأورعُ
أتَيْتَ لنا يومَ النِّضَالِ بِآيَةٍ ... كَأنَّكَ فيهَا يَوْمَ أبْرَمْتَ يُوشَعُ
حَكَمْتَ وأدَّيْتَ الحُقُوقَ لأَهْلِهَا ... عَدَلْتَ ولم يَخْدَعْكَ سَيفٌ وَمِدْفَعُ
أتَتْكَ لِيُوثُ الحازمين مُطيعَةً ... ولَبَّاك بالتهليل حَفْلٌ وَمَجْمَعُ
وأَمَّكَ حُذَّاقُ الأُبَاةِ وأوغلوا ... إليكَ وكلٌّ مُسْهِبٌ[1] وَمُتَلِّعُ[2]
وَأرْعَبْتَ أقْيَالَ الأعَادِي وهم عَلَى ... تُخُومِكَ للتنكيل وَالْغَدْرِ أجْمَعُوا
دَحَرْتَهُمُ قَاصٍ وَدَانٍ كَأَنَّهُمْ ... ذِئابٌ لها عند الفِرَارِ تَرَوُّعُ
ومَزَّقْتَ رهطَ الشر كُلَّ مُمَزَّقٍ ... وَأسْمَعْتَ صوتَ الحق مَنْ ليس يَسْمَعُ
وألقيتَ دَرْسًا في البطولةِ لِلوَرَى ... وَأخْرَسْتَ أقوامًا عَلَيْكَ تَشَيَّعُوا
عُرُوشُ مُلُوكِ الأرض تِبْرٌ وَفِضَّةٌ ... كَحِلْيَةِ طِفْلٍ بالنُّضَارِ تُرَصَّعُ
وعرشُك حتى آخِرَ الدهر مشرقٌ ... له الخُلْدُ دَارٌ والحقيقَةُ مَوْضِعُ
فبالعَدْلِ تَاجُ المُلْكِ يَزْهُو سَنَاؤُهُ ... وبالظلم تيجانُ الْوَرَى تَتَصَدَّعُ
وَرَبٌّكَ مَرْعَى الظُّلم أوخَمُ مَرْتَعٍ ... به صَاحَ بُومٌ لِلْخَسَارِ وَأبْقَعُ
وحَقِّ الذي أغْنَى وَأقْنَى بِأنَّكَ الـ ... إمَامُ الهُمَامُ الحازِمُ الْمُتَرَفِّعُ
فيا بَارِي الْقَوسِ العَجيبِ وَصَاقِلَ الْـ ... حُسَامِ تَحَكَّمْ إنَّ سَيفَكَ أقْطَعُ
أتتكَ عَرُوسُ الشِّعرِ رَيًّا وَإِنَّهَا ... عَرُوسٌ يَكَلُّ الطَّرْفُ عَنها وَيَدْمَعُ
مُعَطَّرَةً فَرْعَاءَ مِنَ صُنْعِ شَاعِرٍ ... يَغُوصُ بِحِذْقٍ للقوافي وَيَصْنَعُ
أتَيْتُكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ بِدُرَّةٍ ... هي الكوكبُ الدُّرِّيُّ بَلْ هِيَ أَلْمَعُ
وَلِي قَلَمٌ صَرَّامُ زورٍ وَفِرْيَةٍ ... وسَيفُكَ أمْضَى للشُّرُورِ وَأقْطَعُ
فَكم قَائِلٍ: قد شَبَّهَ السَّيْفَ بِالعَصَا ... شُوَيْعِرُ قَوْمٍ في الهوى يتسكَّعُ[3]

(١) مُسهب: في كلامه إسهاب أي إطالة.
(٢) مُتلّع: رافع رأسه، رفع القدر.
(٣) يتسكع: يتمادى.

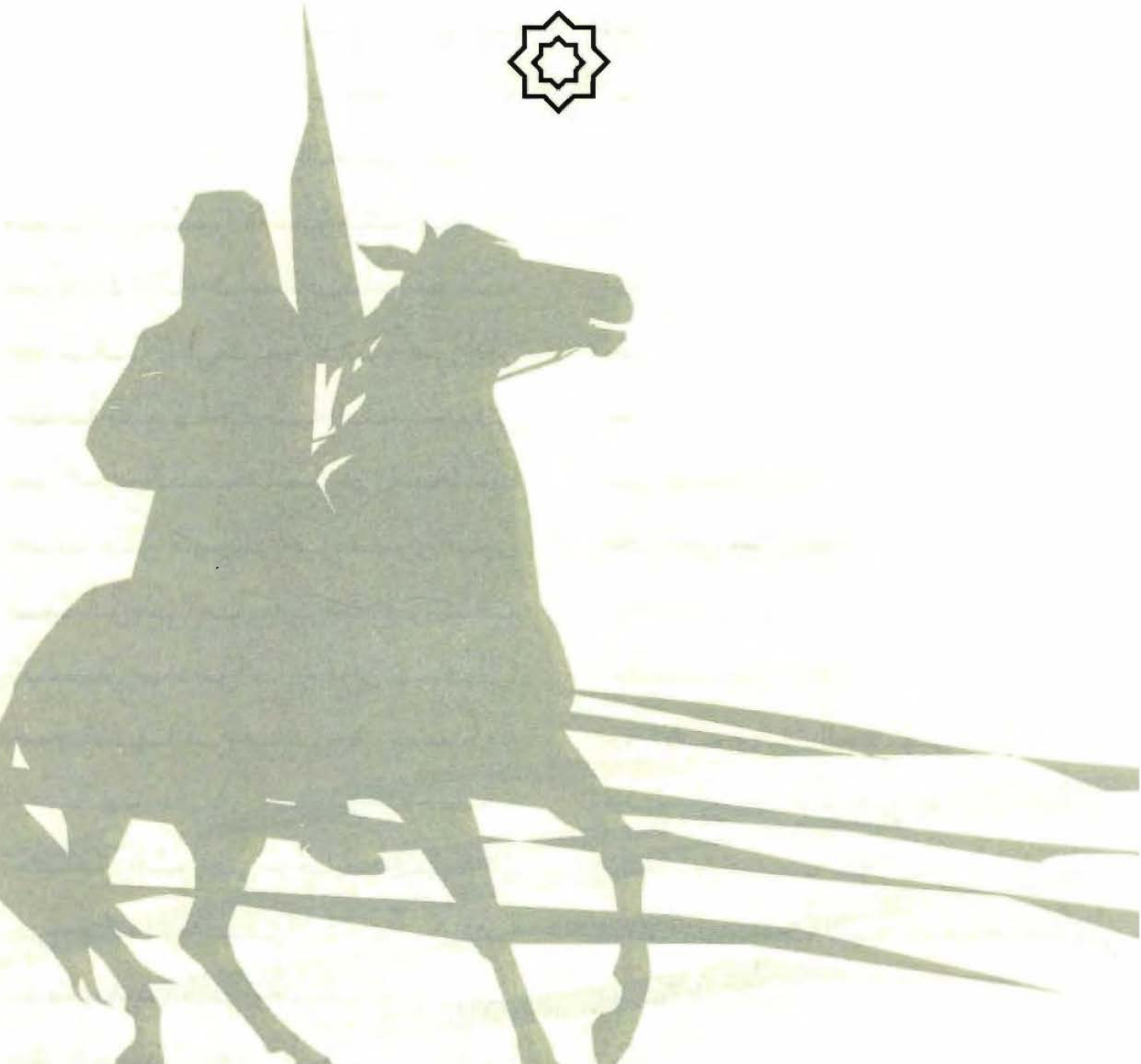
وكم قائلٍ: هذا غُرورٌ وَدَعْوَةٌ … وقول مُدِلٍّ لِلْفَخارِ يُشَيِّعُ
أقولُ على رِسْلِ المُسَيَّرِ إنني … من الحق أسْتوحِي الْقَوافي وَأُبْدِعُ
كفى أنني إن قلت قولاً وَعَيْتُهُ … ومن فِكْرِيَ الأشعارُ تُرْوَى وَتُودَعُ
وحسبيَ فخرًا سَمْعُ سَيِّدِ يَعْرُبٍ … إذا قلتُ شِعْرًا. قالَ: بُورِكْتَ أصْمَعُ
لَيالِي (أجْيادٍ) وَ(غَزَّةَ) وَ(السَّلَى) … بنجد، وأيامُ الْحَسا تَتَطَلَّعُ
وَ(زَمْزَمُ) وَالْبَيْتُ الْحَرامُ وَ(جَرْوَلٌ) … شُهُودٌ وَرَبِّي ما لَديَّ تَنَطُّعُ
وَيَوْمٌ طَرُوبٌ فيه مُدَّ بِبَحْرَةٍ … رُوَاقٌ بِه قَوْمٌ لِشِعْرِي تَسَمَّعُوا
وقد شَهِدَتْ بَطْحَاءُ مَكَّةَ لِي ضُحىً … بأنِّي إلى حُكم الحقيقةِ أرْجِعُ
يقولونَ هذا القولُ أحلامُ شاعِرٍ … يطيرُ بأجواءِ الأمانِي ويُخدَعُ
فقلتُ أجل رؤيا تجلَّى سَنَاؤُهَا … أُضِيءَ بهِ أُفْقٌ بهيجٌ وَمَطْلَعُ
أجَلْ إنَّها بُشْرَى بيوم به الأسى … يَزُول وفيهِ الأُنْسُ لِلصَّبِّ يَرْجِعُ
فقد أول الصِّدِّيقُ رؤياهُ قَبْلَنا … فجاءت كَفَلْقِ الصُّبْحِ بَلْ هِيَ أبْدَعُ
رَأيتُ وَرَبُّ النَّاس أدْرَى بما رأى الـ … فؤادُ بِفَجْرٍ فيه دِفْءٌ وَمَضْجَعُ
رأيتُ كأني أنظمُ الدُّرَّ في الضِّيا … عقودًا بأجياد الكَواعِبِ تُرْصَعُ
ومن بينها عقدٌ لِرَيَّا كأنَّهُ … من البَدْرِ وَالشَّمْسِ المضيئةِ ألْمَعُ
فأوَّلْتُهَا وَاللهُ أدْرَى بِسِرِّهَا … بِأنَّ بَشَاشَاتِ الصَّفاءِ سَتَلْمَعُ
أتيتُك يا عبدَ العزيزِ بِحُلْمِيَ الْـ … بهِيِّ فَحَقِّقْهُ بِمَا هُوَ أمْتَعُ
حَبَوْتُك شِعْرًا لا يُبَاع بِعَسْجَدٍ … وَلاَ لُؤلؤٍ لكِنْ مَدَى الدَّهْرِ يُسْمَعُ
سَتَنْقُلُهُ الأجيالُ عَنِّي لِمَجدِكَ الْـ … أثيلِ، وَيَتْلُوهُ كبيرٌ ومَجْذَعُ
هِيَ الأمنياتُ الفاتِنَاتُ لِشَاعِرٍ … أسِيفٌ بدارِ الهُونِ والذُّلِّ يُصْرَعُ
هو الشاعرُ المكْنِيُّ بالصدقِ جَدُّهُ … ترامى، ولكنْ قَلْبُهُ يَتَشَجَّعُ
خبيرٌ بِقَطْفِ الدُّرِّ من قَعْرِ بحْرِهِ … عليمٌ بترشيح اللآلىء مُبْدِعُ

رَشيقٌ ظريفٌ بالكرامة رافلٌ ... مُحِبٌّ سليمُ القلبِ لاَ يَتَصَنَّعُ
حَظيرةُ عِلْمٍ لاَ يَمَلُّ يَرَاعُهُ ... مِنَ الغُرَرِ الحَسْنَاءِ أوْ يَتَظَلَّعُ(١)
مُلِمٌّ بأدواءِ الحياةِ وطبِّها ... وَجَعْبَةُ فِكْرٍ بالورى مُتَضَلِّعُ(٢)
فإنْ تَحْبُهُ حقَّ المروءة حَبْوةً ... فصدرُك بالإحسانِ رَحْبٌ مُوَسَّعُ
وإنْ تَجْفُهُ فالوُدُّ باقٍ وَأمْرُهُ ... إلى اللَّه، مِنْهُ الجُودُ وَالفَضْلُ أجْمَعُ
وحاشاكَ أن تجفو فتاكَ وإنَّهُ ... كسيرٌ حسيرٌ وَالِهٌ مُتَوَجِّعُ
قِلاَدَةُ (رَيَّا) عَبَّرَتْ عَنْهُ أنَّهُ ... حزينٌ له قلبٌ يسيلُ وَأَضْلُعُ
فمهما يَكُنْ بُعْدِي عن الحيِّ شاسِعًا ... فَبُعْدُكَ عن هَجْرِي وَتَرْكِيَ أشْسَعُ
فَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ بِأسْرِهِ ... تُرَابٌ، ولكنَّ الجَميلَ يُذَيَّعُ
إذَا سُدَّتِ الأَبْوَابُ نَحْوِي أمَامِي الـ ... إلـهُ، وبابُ اللَّه أعلى وَأَوْسَعُ
وإن ضَاقَتِ الدُّنْيَا عليَّ بِرَحْبِهَا ... فلا يأسَ عندي أو بذا البَيْنِ أجْزَعُ
قَصَدْتُ إلهَ العَالَمِينَ وَبَابُهُ ... لَدَى شِدَّة الأهوالِ والكربِ يُقْرَعُ
ولستُ أخافُ الخلقَ طُرًّا إذَا أتى ... فُؤادِي لِرَبِّ الخَلْقِ يدعُو وَيَخْشَعُ
أُعيذُكِ يا نفسي مِنَ العَجْزِ وَالوَنَى ... وَجَهْلٍ بِهِ أهلُ الشُّرورِ تَدَرَّعُوا
فَإِنَّ شَقَاءَ المَرْءِ عَجْزٌ وَذِلَّةٌ ... وجهلٌ بِه العُمْرُ القصيرُ يُضَيَّعُ
وإهْمَالُ نَفْسٍ بالملاهِي وَشَهْوَةٍ ... عَوَاقِبُهَا فقْدُ الحِجَى وَتَكَسُّعُ
ضَلالٌ لَعَمْرِي مَا رَأيتُ مَثيلَهُ ... وَبُعْدٌ عَنِ الربِّ القدير وَمَصْرَعُ
وهل يُصرعُ الإنسانُ إلا بجهله ... وبالعلمِ والتقوَى يُعَزُّ وَيُرْفَعُ
أعوذُ بِربِّ الناسِ من زَيْغِ زَائغٍ ... ودِيْنٍ بِهِ قَلْبُ الجُحُودِ مُلَفَّعُ
ومن كلِ ما يُغشي الفؤادَ عن التُّقى ... ومن خَتْمِ كُفْرَانٍ بِهِ السَّمْعُ يُطبَعُ

---

(١) يتظلّع: يضعف عما لا يطيقه.
(٢) متضلّع: نال منه حظًا وافرًا.

فيا صَبْرُ زِد إنَّ الْخُطَوبَ جَسيمَةٌ   وَيَا نَفْسُ جِدِّي إنْ أقَضَّكِ مَضْجَعُ
وَيَا عُمْرُ طُلْ حَتى أرَى الرَّبْعَ مَرَّةً   فإنِي إلَى يَوْمِ اللّقَا مُتَسَرّعُ
ويا عَبَرَاتِ العَيْنِ بِاللهِ كَفْكِفي   فَإنِّي إلى صَوْتِ الرَّجَا مُتَسَمّعُ
إلى اللّه تَسْمُو النَّفْسُ وَالرُّوحُ وَالحجى   إذَا عَزَّ مَا بَيْنَ الْبَرِيَّةِ مَفْزَعُ



(٢٢)
الْعَرُوسُ الـمَهْجُورَة

«مهداة إلى الأمير سعود بن الإمام عبد العزيز آل سعود».

أَمِـنْ مُـحـيَّـاكِ (رَيَّـا) يُـشْـرِقُ الْـقَـمَـرُ ... أَمْ مِـنْ سَـنَـائِـكِ ضَـوءُ الـشَّـمْـسِ يَـزْدَخِـرُ
رَتَّـلْـتِ لـي مـن زَبـورِ الـعـشـقِ أغـنـيـةً ... سـالَـتْ عـلـى وَقْـعِـهَـا الأَذْكَـارُ والـعِـبَـرُ
أُدِيـرتِ الـكَـأْسُ تِـلْـوَ الـكـأس مُـتْـرعـةً ... مِـن الـرحـيـقِ الَّـذِي مَـا شَـابَـهُ كَـدَرُ
كَـأْسٌ مِـنَ الـنُّـورِ لاَ لَـغْـوٌ لِـشَـارِبِـهَـا الْـ ... أزْكـى الـعـفـيـفِ وَلاَ إثْـمٌ وَلاَ هَـذَرُ
مـن كَـفِّ (رَيَّـا) كـرعـتُ الـكـأسَ مُـفْـعـمـةً ... بـالـحُـبِّ والـشَّـرْبُ لاَ خَـمـرٌ وَلاَ سُـكَـرُ
تَـلَـفَّـعَـتْ بـقـمـيـصِ الـنـورِ فـي أُفـقٍ ... طَـافَـتْ بـأَرجـائِـهِ الأَرْوَاحُ وَالـصُّـوَرُ
رَيَّـانَـةٌ شَـفَّـهَـا الْـحـبُ الـقَـديـمُ وفـي ... شـبـابـهـا هَـامَـتِ الأجـيـالُ والْـعُـصُـرُ
مـن عَـالَـمِ الـغَـيـبِ مَـاسَـتْ لـي مَـعَـاطِـفُـهَـا ... فـي لُـجَّـة الـنـور تَـطْـفُـو ثـم تَـنْـغَـمِـرُ
جَـرَّتْ عـلـى مُـهْـجَـتـي ذيـل الـهَـوى فَـذَوى ... جـسـمـي وخـلَّـدَنـي فـي حُـبِّـهَـا الْـقَـدَرُ
تـمـيـسُ فـي حُـلَّـةٍ تَـزهـو مُـزَرْكَـشَـةٍ ... بـالـلـؤلـؤِ الـرَّطْـبِ لـم تـعـمـل بـهـا الإبـرُ
الـشَّـمْـسُ تَـخْـجَـلُ مـنِ إِشْـرَاقِ مَـبْـسَـمِـهَـا ... وَالْـبَـدْرُ فـي كـفِّـهَـا الـدُّرِّيُّ مُـؤْتَـمِـرُ
عَـانَـقْـتُـهَـا فـي فـضـاءٍ لا رقـيـبَ بـه ... إلا الإلـهُ وَبَـاحُ الـطُّـهْـرِ مُـسْـتَـتِـرُ
وَهَـبْـتُـهـا طُـهْـرِيَ الـغَـالِـي بـأجـمَـعِـهِ ... ولـم يُـدَنِّـسْ عَـفَـافِـيَ الْـعَـارُ وَالْـقَـذَرُ
هَـيَـاكِـلُ الـنُّـورِ فـي أَرْجَـاءِ عَـالَـمِـهَـا الْـ ... قُـدْسِـيِّ فِـيـهَـا فُـؤَادُ الـرُّوحِ مُـنْـبَـهِـرُ
فـي جَـنَّـةٍ لَـنْ يُـطِـيـقَ الـفـكـرُ غَـايَـتَـهَـا ... وَصْـفًـا وتـعـيـا بِـهَـا الأرهـاطُ وَالـزُّمَـرُ
حَـصْـبَـاؤُهَـا الـدُّرُّ وَالْـيَـاقُـوتُ تُـرْبَـتُـهـا ... وَمِـنْ رُبَـاهَـا مِـيَـاهُ الْـوَرْد تَـنْـحَـدِرُ
قَـدْ رُصِّـعَـتْ بِـزُهُـورِ الْـخُـلْـدِ رَوْضَـتُـهَـا ... وَرَفْـرَفَـتْ بَـيْـنَـهَـا الأَرْوَاحُ وَالْـفِـكَـرُ

الوَرْدُ يَغْبَقُ نَشْوَانَ الشَّذَا وَلَهُ   رَوْحٌ لَذيذٌ وَنَفْحٌ بَارِدٌ عَطِرُ
غَنَّتْ عَنَادِلُهَا فَجْرًا فَأَطْرَبَنِي   ترجيعُ قَيْثَارِهَا صُبحًا وَلا وَتَرُ
حَنَّتْ على صَوْتها أوتارُ مهجتِيَ الْ   حَرَّى، فطافَتْ بِيَ الأَحْلاَمُ وَالذِّكَرُ
مَرَّتْ عَرَائِسُ أشْعَارِي بِسَاحَتِهَا   فَحُبِّرتْ في حَنَايا مُهْجَتِي الزُّبُرُ
أمِنْ هِيُولَى الْهَوَى، أَم مِنْ مَعينِ الْجَوَى   أتَى إلَيَّ بِأَشْبَاحِ النَّوَى الدَّهَرُ
أمْ في سَمَاء بِلاَدِي لاَحَ لِي أُفُقٌ   حَامَتْ بِأَنْوَارِهِ أَطْيَارُهُ الخُضُرُ

* * *

أوَّاهُ يَا كَرَمَ الرَّبِعِ السَّعِيدِ ألاَ   تُصْغِي لقَلْبٍ بِدَارِ الْهُونِ يُعْتَصَرُ
إنِّي لأَسْمُو بِأَفْكَارِي وَعَاطِفَتِي   وَبَيْنَ جَنْبَيَّ نَارُ الشَّوْقِ تَسْتَعِرُ
أهيمُ وَلْهَانَ، لاَ دَارٌ، وَلاَ وَطَنٌ   وَلاَ صَديقٌ حَمِيمٌ لاَ وَلا خَبَرُ
يُقِيمُنِي الشَّوْقُ وَالآلاَمُ تُقْعِدُنِي   يَوْمَ النَّوَى وَالأَسَى في الرُّوحِ يَشْتَجِرُ
هَمٌّ يُجَاسِدنِي طَوْعَ الدُّجُنَّةِ في   دَارٍ بِهَا أرْؤُسُ الْخِذْلاَنِ تَنْتَصِرُ
إنِّي بِمَرْبَعِ ذُلٍ لاَ يُلُوذُ بِهِ   إلاَّ الَّذي مَالَهُ عِنْدَ الْعُلاَ أَثَرُ
جَهْلٌ يَجِيشُ وَأَحْلاَمُ تَطِيشُ وَرِعْـ   دِيدٌ يَفُوزُ بِهِ وَالْحُرُّ يُزْدَجَرُ
بِهِ الصَّغَارُ ثَوَى وَالاحْتقَارُ اسْتَوَى   عَلَى تُخُوتِ الهَوَى وَالْهُونُ مُنْتَشِرُ
عِلْمٌ وَلاَ عَالِمٌ، حُكْمٌ وَلاَ حَاكِمٌ   إلاَّ هَوَى النَّفْسِ وَالتَّذْجِيلُ مُشْتَهَرُ
لَهْفَانُ في مَرْبعِ ناءٍ عَلَى وَطَنِي   وَلَيْسَ لِي فِيهِ لاَ وِرْدٌ وَلاَ صَدَرُ
يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى يَوْمِ اللِّقَاءِ وَيَا   لَهْفَ الْفُؤَادِ إذَا مَا غُيِّبَ الذِّمَرُ
فيا نَسَائِمَ أَوْطَانٍ رَفَلْتُ بِهَا   هُبِّي لَعَلَّ الأَسَى يَنْزاحُ وَالْخَطَرُ
قَدْ طَوَّحَتْ بِيَ موجاتُ الْحَيَاة عَلَى   جُرْفٍ يَضِلّ بِهِ الخِرِّيتُ يَنْدَحِرُ
تبدُو إلَيَّ بِأَرْجَاءِ الدُّجَى لُمَعٌ   مِنْ مَسْرَحِ الْوَطَنِ الأَسْنَى وَتَنْسَتِرُ
أيَا سُعُودُ أَبَا الْمَعْرُوفِ مَعْذِرَةً   فَقَدْ هَوَى بِيَ عَنْكَ الهَمُّ وَالكَدَرُ

هَتَفْتُ!.. يَا ابنَ كَرِيمِ النَّاسِ في زَمَنٍ فيه أُولو الْخَيْرِ حَلُّوا الْقَبْرَ وَانْدَثَرُوا
هَذَا حِمَاكَ، فَإِنَّ الْخَيْرَ مُؤْتَلِقٌ عَلَى مَنَاحِيهِ خَفَّاقٌ وَمُزْدَهِرُ
أَبُوكَ في لُجةِ العَلْيَاءِ مُنْغَمِرٌ وَمِنْ أخيكَ سُلاَفُ الْعِزِّ يَبْتَكِرُ
وَأَنْتَ بينهُمَا حُفَّتْ مَيَاسِمُكُمْ كَوَاكِبٌ مَا لَهَا عَدٌّ وَلاَ حَصَرُ
طُهْرٌ يُمَوُرُ وآمَالٌ تَفِيضُ وَأَفْـ كَارٌ يُكَيِّفُهَا مِنْ أَمْرِكَ النَّظَرُ
حَلَّلْتَ والناسُ سَكْرى في تكَسُّعِهِمْ عَنَاصِرَ الْعِزِّ فَأوْضتْ بِكَ الْغِيَرُ
هَزَمْتَ فرعونَ كبرٍ وهو في سَعَةٍ من أنفسِ الناسِ والشيطان مُنْدَحِرُ
وَكدتَ إبليسَ بالتقوى وَقَدْ هَرَبَتْ جُنُودُهُ وَهْوَ مقهور ومنكسرُ
فيكَ الْفُؤادُ بحُبِّ اللَّه مُشْتَغِلٌ وَفيكَ عَقْلٌ لِرَفْعِ الْحَقِّ يَفْتَكِرُ
وفيك روح بروضِ النُّور خَافِقَةٌ وفيكَ كَفٌّ لِبَذْلِ الْخَيرِ مُبْتَدِرُ
تُرَتِّلُ الذِّكْرَ بالصَّوْتِ الْحَنُونِ دُجىً مُذْ رَوَّضَتْ روُحَكَ الآيَاتُ والسُّوَرُ
مِنْ طُهْرِ خُلْقِكَ يُؤْتَى الفَضْلُ مُخْتَزَلاً وَفيك جُرْثُومَةُ الأَبْطَال تختَصَرُ
أَوْغَلْتَ في المجد حتى ضَاق مَهْيَعُه(١) عَلَى الْبَرِيَّة حَتى قيلَ قَدْ عَثَرُوا
وطاوَعَتْكَ الليالي وَهْيَ مُشْرِقَةٌ نشوانَةٌ وَبِكَ الأَمْجَادُ تَنحَصِرُ
تَطُوفُ في العالَمِ الْمَرْئيِّ في فَلَكٍ دَارَتْ عَلَى قُطْبِهِ أَقْمَارُهُ الْغُرَرُ
وَهَلَّلَتْ لَكَ إعْجَابًا بِعَالِمِهَا الـ مَخْفِيِّ أَطْيَافُ عِزٍّ هَاجَهَا الْخَفَرُ
نُعْمى وَحسْبي مِنَ الرَّبِّ المجيدِ عَلَى كَفيكَ مُذْ شَعَّ مِنْهُ الفَوْزُ وَالظَّفَرُ
إذا وَهَبْتَ فَلاَ مَطْلٌ وَلاَ ضَجَرٌ وَإِنْ بَذَلْتَ فَلاَ مَنٌّ وَلاَ صَغَرُ
مُفَرْدَسُ(٢) الصَّدْرِ مِنْكَ الْحِلْمُ مَنْبَعُهُ وَبَاسِمُ الثَّغْرِ لاَ جَهْمٌ وَلاَ عَسِرُ
سُدْ كَيْفَمَا شَاءَ رَبُّ الناسِ في وَطَنٍ فيهِ الملائكَةُ الأبْرَارُ تَزْدَخِرُ

---

(١) المهيَع: الطريق الواسع البيّن.

(٢) مُفَرْدَسُ الصَّدْرِ: واسع.

سَدِّدْ سِهَامَكَ إنْ جَدَّتْ خُطُوبُ وَغىً   وَامْخُرْ بِفُلْكِكَ لاَ خَوفٌ وَلاَ حَذَرُ
وَاسْحَبْ عَلَى الجَبَلِ المَيْمُونِ مِخْذَمَكَ الـ   مُسْلُولَ، ثِبْ فَلَكَ الغَايَاتُ والخِيَرُ
أَنَّى وَطأْتَ فَآيَاتٌ مُطَلْسَمَةٌ   حلَّتْ مَقَاصِدَهَا الأخبارُ والسِّيَرُ
مَغَانِمٌ مِنْ يمينِ اللّه فائِضَةٌ   غَاضَتْ بِلُجَّتِها الأموال والبَدَرُ
قَدْ شَبَّهُوكَ بِلَيْثِ الغابِ إذْ خَلَطُوا   فَكَيْفَ يُوصَفُ بابنِ الأَبْخَرِ الْبَشَرُ
أَمْ كَيْف تُوصَفُ شَمْسٌ في تَوَهُّجِهَا   بِوَحْشِ قَفْرٍ بِهِ الأَقْذَارُ وَالبَخَرُ
قَدْ كَرَّم اللَّهُ لِلإِنْسَانِ رُتْبَتَهُ   بِالْعَقْلِ وَالْوَحْشُ لاَ عَقْلٌ وَلاَ بَصَرُ
مَا هَيْبَةُ اللَّيْثِ فِي تَسْدِيدِ خُطْوَتِهِ   تجَاهَ خَطْوِكَ، إلاَّ شعْرَةٌ ظُفُرُ
أَمْ كَيْفَ يُوصَفُ مَمْلُوكٌ بِمَالِكِهِ   فَذاكَ عَبْدٌ وَهَذا سَيِّدٌ ذَمِرُ
هذا على فرض أَدْنَى الناسِ مَنْزِلَةً   فَكَيْفَ وَالأَمْرُ مَعْكُوسٌ وَمُنْبَتِرُ
قَدْ يُضْرَبُ الْمَثَلُ الأَعْلَى بِأَحْقَرِ مَخْـ   لُوقٍ لِيُقْضَى لِتَسْدِيدِ النُّهَى الْوَطَرُ
قَدْ لَقَّبَ الْمُصْطَفَى قِدْمًا أَبَا حَسَنٍ   بِاللَّيْثِ كَيْ يَقْرُبَ الْمَعْنَى وَيُقْتَصَرُ
لَوْ قُوِّمَتْ أُسْدُ الآفَاقِ أَجْمَعُهَا   لَمْ تَسْوَ ظُفْرَ عَلِيٍّ كَيفَمَا اعْتَبَرُوا
أَنْتَ الْسُّعُودُ بِقَوْمٍ جَدَّ سَعْدُهُمُ   وَفِيهِمُ الصِّدْقُ وَالإِيمَانُ يُخْتَبَرُ
تَذُوبُ في مَعْمَلِ الإِخْلاَصِ أنفُسهُمْ   ذَوْبَ اللُّجَيْنِ إذَا مَا شَمَّرَ السَّحَرُ
لَهُمْ دَوِيٌّ بِأَكْنَافِ الْمَسَاجِدِ بِالْـ   قُرآنِ مِثْلَ سحابٍ بَاتَ يَنْهَمِرُ
خَاضُوا الْمَعَامِعَ وَالأَكْفَانُ أَدْرُعُهُمْ   وَلِلشَّهَادَةِ يَوْمَ الهَوْلِ قَدْ نَفَرُوا
دَقُّوا عَلَى الرَّبْوَةِ الْوَعْسَاءِ رَايَتَهُمْ   كَأَنَّهُمْ أَنْجُمٌ فِي أُفْقِهَا زُهَرُ
أَخْلاَقُهُمْ مثلُ عَيْنِ الدِّيكِ صَافِيَةٌ   فَلاَ غُرورٌ وَلا غِلٌّ وَلاَ بَطَرُ
هَذَا يُرَاعِي لِمَجْدِ الأكرمين دَوَى   صَرِيرُهُ وَبِهِ لِلْحَقِّ أَثَّئِرُ
يَا ابْنَ الإِمَامِ الذي صَحَّتْ عَزَائِمُهُ   لِلْمَجْدِ إِنِّي لِفَضْلٍ مِنكَ مُنْتَظِرُ
وَارْحَمْ حُشَاشَةَ مُلْتَاعٍ تُعَابِثُهَا   أَنَامِلُ الْهَمِّ ـ كَيْ يَدْنُو بِكَ الْيُسُرُ

وَعَاطِ مِنْ ثَغْرِكِ المفترِّ عن كرمٍ   أَبَاكَ عَنّي حَديثًا مِنْكَ يَنْسَفِرُ
فَمِنْ عَرَائسِ أفكاري وَعَاطِفَتِي   تُحْدَى إلَى صَرْحِكَ الرَّوْحَاتُ وَالْبُكَرُ
دَهْرًا تَبَذَّلْتَ بِالْعُرْفِ الجميلِ وَقَدْ   أُميطَ بالعَرْفِ مِنْكَ الْحَادِثُ النُّكِرُ
فَسِرْ مَعَ الصَّفْحِ أَنّي رَنَّ عَنْدَ لُهُ   فَأَنْتَ بالصفحِ لي يَوْمَ النَّوَى وَزَرُ
لَعلَّ شِرَّةَ لَوْعَاتِي يُلَطِّفُهَا   مِنْكُمْ على رَغْمِ أَيَّامِ النَّوَى الْعُذُرُ
إذَا ذُكِرْتَ فَأُنْسٌ مِنْكَ مُنْتَظَرٌ   وَإِنْ جَفوتَ فِإِنّي فيكَ مُصْطَبِرُ
مُرْ نِي بِمَا شِئْتَ لِلْجُلَّى فَقَدْ سَكَنَتْ   رَيًّا بِقَلْبِي فَلاَ جُبْنٌ وَلاَ خَوَرُ
عَفْوًا كِلاَنَا بِدَارِ العِزِّ مُتَّخِذٌ   دَارًا دُوَيْنَ حِمَاهَا تَقْصُرُ الدُّوَرُ
فَأَنْتَ مَالِكُ أَعْنَاقِ الوَرَى وَأَنَا   مَلَكْتُ رِقَّ بَنَاتِ الشِّعرِ لو شَعَرُوا
إنّي نَزَلْتُ عَلَى حُكْمِ الْقَضَاءِ فَلاَ   مَفَرَّ مِنْهُ وَقَدَ أَضْنَانِيَ السَّفَرُ
فَأَنْتَ مَالِكُ رقيَ إنْ جَبَرْتَ لِيَ الـ   قَلْبَ الكَسيرَ وَإلاَّ الصَّبْرُ وَالْخَفَرُ
أُنْسُجْ لِجِدَّةِ أَحْلاَمِي السَّعيدَةِ مِنْ   يُمْنَاكَ نُعْمَى بِهَا أزْهُو وأفْتَخِرُ
اللَّه رَبِّي وَرَبُّ الْخَلْقِ أَجْمَعُهُمْ   مِنْهُ الْعَطَاءُ وَمِنْهُ الْجُودُ يُنْتَظَرُ
مَا عِنْدَ رَبِّكَ بَاقٍ لانَفَاذَ لَهُ   وَالكلّ للَّه مُحْتَاجٌ وَمُفْتَقِرُ
وَالكُلُّ فَانٍ سِوَى دَارِ الْبَقَاءِ بِهَا   إمَّا نَعيمٌ، وَإمَا لِلْوَرَى سَقَرُ
أَقْصِرْ مُنَاكَ لِنَفْسٍ حَلَّهَا نَهَمٌ   وَافْسَحْ لِعَقْلِكَ مَا إنْ ظَلَّ يُبْتَكِرُ
فَشَهْوَةُ النَّفْسِ لاَ تَفْنَىٰ مَطَامِعُهَا   حَتَّى تُسَجَّى بِأَجْدَاثِ الدُّنَىٰ الصُّوَرُ
وَشَهْوَةُ الْعَقْلِ في دَارِ الخُلُودِ لَهَا   نُورٌ، وَكُلٌ إلَى الأجْدَاثِ مُنْحَدِرُ
هَذَا بِأَنْوارِهِ عَوَّامُ مُنْشَغِفٌ   وَتِلْكَ في ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ تَنْعقِرُ
فَاجْعَلْ لِعَقْلِكَ حَدًّا لاَ يُجَاوِزُهُ   في ظِلِّ دِينٍ بِهِ الأَهْوَاءُ تَنْهَدِرُ
وَاجْعَل هَوَاكَ لِشَرْعِ الْمُصْطَفَى تَبَعًا   إنْ رُمْتَ مَجْدًا بِهِ الأَنْوَارُ تَزْدَهِرُ
وَارْبَأ بِنَفسِكَ في دَارِ الْفَنَاءِ عَنِ الـ   لَّهْوِ الَّذي فيه فِكرُ الرُّوحِ يَنْتَحِرُ
وَاصْنَعْ مِنَ العُرفِ وَالإحْسَانِ مَا قَدَرَتْ   بِهِ يَمينُكَ إنَّ الْعُرْفَ يَنْتَشِرُ

(٢٣)

اللؤْلؤةُ المَفْقودَةُ

«مهداة إلى الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود».

راقبْ عرائسَ مجدها يا أهيفُ ... في عالم الأسحار فَهْيَ تُحَفْحِفُ
للعاشقينَ كأنَّ في وَجَناتِها ... نورُ الخلود وشمسُها لا تُكْسَفُ
آياتُها كُتبتْ بعسجد صِدْقِهَا ... وَمَنارُها بالمعجزات مُزَخْرَفُ
يَحظى بظل سَمائها الأمجادُ بالـ ... عيشِ الرغيد وخيرُها مُستَطْرَفُ
المسكُ تُربتُها وعينُ نَميرِها ... عينٌ لها قلبُ الهوى يتلهَّفُ
إنَّ الثريَّا عُلِّقَتْ بسمائها ... والبدرُ فيها مشرقٌ لا يُخسَفُ
ما أدهشَ الإشراقَ في جنباتها ... وأجلَّ فيها روضَها المتلفّفُ!..
حورُ الزهور على الخمائلِ رُقَّصٌ ... يُذْكِينَ شوقَ العَندليبِ فيغْرِفُ
يشتاقُها عقلُ الحكيم وَينْثَني ... لجمالها وجلالها المتفلسفُ
ويذوبُ عشقًا تحت هيكلِ مجدِها ... روحُ الأسيف وعقلُه المتشقفُ
ينبوعُها أبَدًا يَسِحُّ بكوثرٍ ... للناهلين وغصنُها لا يَعْجَفُ[1]
تَستيقظُ الأنفاسُ من أنفاسِها ... ويهيمُ بين جِوائِها المتعفِّفُ
العُمرُ فيها جَنةٌ وجحيمُهُ ... لَهوٌ جريءٌ جائرٌ متعسِّفُ
تُطْوى بها الآمالُ طيَّ صحيفةٍ ... مجهولةٍ وشَقاؤُها لا يُعرَفُ
الوَجدُ فيها كالحيَا متدفقٌ ... والحبُّ فيها بَانُهُ متعطِّفُ
كَروانُها الغِرِّيدُ يتلو آيةَ الـ ... حُسنى فيأخُذُ بالنهى ويُشنِّفُ

---

(١) لا يعجف: لا ييبس.

الحوار

قال الأُلى ظَنُّوا المحالَ حقيقةً ... إنَّ الملاهي للهُمُوم تُخفِّفُ
قالوا بهوليُوُودَ نعمةُ عصرِنا ... قلتُ: الحياءُ خَلاَعَةٌ وتكلُّفُ
قالوا: بِبَارِيسَ الخليعةِ راحةٌ ... للعقل، قلتُ: العقلُ فيها يتلفُ
قالوا: بِبَرْلينَ القوَّيةِ عِصْمةٌ ... قلتُ: الجحيمُ على رُبَاها تَشْرُفُ
قالوا: بِرُومَا للحياة حماسةٌ ... قلتُ: السلامُ له الحسامُ الأرهفُ
قالوا: على رُوسْيَا الإخاءُ مُخَيِّمٌ ... قلتُ: اسمعوا فوضى الوَرَى تَتَحَيَّفُ
قالوا: بَنُو سَكْسُون في عَزَماتِهِم ... قلت: الرّدى وسِيَاسَةٌ تَتَخَطَّفُ
قالوا: بِمُونْتْ كَازْلُو الهناءُ مرفرفٌ ... قلت: الحياةُ على الموائد تُنْتَفُ
قالوا: إذنْ في الشرق أمتعُ راحةٍ ... قلت: الكلامُ مزخرفٌ ومجوَّفُ
قالوا: الطبيعةُ قلت مَلْهى شَاعِرٍ ... في كل وادٍ هائمٌ يَتَوَقَّفُ
قالوا: إذن هل أنت لست بشاعرٍ ... قلت: الحقيقةُ ضوؤها يَتَكَشَّفُ
قالوا: (مَدُورَا) عشتَ فيها حِقْبَةً ... قلت: الظلامُ مركَّبٌ متعجرفُ
قالوا: اعتزِلْ هذا الوجودَ كَرَاهِبٍ ... هذي المجاهلُ إنْ عداك النَّفْنَفُ[1]
قلتُ: اسمعوا أُنشودةً فائِيَّةً ... تصغي لها العَليا ولا تتأفَّفُ
أودَعْتُها قلبي وما مَلَكَ الحجى ... والروح في إنشادها لا يُسرِفُ

* * *

دار السلام

أهوَى التُّقى في ظِلِ غصنٍ أهيفٍ ... للخالدين، به السلام يُخَيِّفُ
إن الفَضيلَةَ أينما كانت هي ... الروض الأريضُ وَجَنَّةٌ لاَ تُوصَفُ
يَطوِي بها الساري على نور الهدى ... جنحَ الدّجى، وشعوره مُتَعَفِّفُ

---

(١) النفنف: المفازة.

أُمُّ الْقُرى دارُ السلامِ وإنّها ... الصرح المُمَرَّدُ في المَرابع نَيِّفُ
في جوها بحر السعادة زاخرٌ ... وهديرُهُ بين الأضالع يَرْجُفُ
وعلى شواطِئِها ملائكةُ العُلاَ ... تُزجي نشيدًا نَسْقُه مُتَألِّفُ
عَيْنَاؤُهَا أُنُفٌ تلاشَى بينها ... أسفُ الحزين وسُقْمُه المُتَطرِّفُ
يَلْقى بها الحيرانُ بُلْغَةَ نفسِهِ ... والفكرُ من وَطْفَائِهَا[1] يَتَنَطَّفُ[2]
الأمنُ فيها ناشرٌ أبْرَادَهُ ... والعطفُ من خُلُقِ الأَحِبَّةِ ألْطَفُ
والدينُ رائدُ أهلِها الغُرُّ الأُلى ... هُمْ في حِمى المغني بُدُورٌ تَشغَفُ
ما معهدُ الدينِ الحنيفِ بعصرنا ... إلا ملاذٌ للعقولِ وَمقصَفُ
عينُ اللَّذاذَةِ، والنعيمُ بِجَنْبِهَا ... والحقُ فيها مُسْمَعٌ لا يُجْحَفُ

❁ ❁ ❁

الحامي الأغر

مِقْدَامُهَا عَبْدُ الْعَزيزِ أبُو الندى ... والشهمُ فيصَلُهُ الكريمُ الْمُنصِفُ
وَدُهَاتُهَا حُرَّاسُهَا رَهْطُ الوَفَا ... شمُّ الأنوف جَنَى نَدَاهُمْ يُقطَفُ
كاساتُها البَلُّورُ ملأى بالرجا ... للمدنَفينَ وثغُرها مُسْتَلْطَفُ
مهدُ الفَضائِل والتُّقى أبياتُها ... وبِغَرْسِهَا المُخْضَلِّ فيها، تُعرَفُ
هي نعمةُ الدنيا لأُمَّةِ أحْمَدِ ... في غُرْبَةٍ أرزاؤُها لاَ تَرْأَفُ
أرَجُ الوفاءِ يَفُوحُ في أرْجَائِهَا ... وشَذَى المعَارِفِ كَالنَّسَائِمِ يَخْطِفُ
هي لِلرَّشَادِ وللصلاحِ مَبَاءَةٌ ... والفكرُ فيها بالرَّفاءِ يُضَيِّفُ
كَرَمٌ على كَرَمٍ ومن كَرَمٍ لَهُ ... مجدُ الجدودِ مِنَ العُلا يَتَشَوَّفُ
رَفَعَتْ بها أيْدِي الإمَامِ صحيفةً ... لِلمجد فيها ذِكْرُه المُسْتَهْدَفُ

(١) الوطفاء: صفة للسحابة المسترخية الجوانب لكثرة مائها.
(٢) يتنطف: يقطر منه الماء، أو يسيل قليلاً قليلاً.

تِلك الفضائلُ كالعرائسِ في الحِمى ... ولَشدَّ مَا غنّى بِها المُسْتَأنِفُ
مَلِكٌ يُثيرُ حَماسَ أمةِ أحمدٍ ... ويضُمُّ من وَحَدَاتِهَا وَيؤَلِّفُ
ساقَ القَبَائِلَ للقبائلِ ضَاربًا ... للعِزِّ، واللَّهُ العزيزُ المُسْعِفُ
قد عانقَ النجدُ السهولَ وَصافَحَتْ ... قِمَمَ الجبَالِ تِهَامَةٌ والصَّفْصَفُ
أُمُّ القُرى تَحْنُو لِصَنْعَاءَ الحِمَى ... والشَّامُ نحوهما يَحِنُّ وَيَعْطِفُ
ومن الحجاز إلى العراق رسالةٌ ... تُحْدى بها عيسُ الْوفَاءِ وَتُصْرَفُ
حِزْبٌ لِحِزْبٍ نافرٌ مُتَدَافِعٌ ... مُتَرَابِطٌ متجاذبٌ مُتَحَلِّفُ
هزَّ الكريمُ بني الكرامِ بِخيفَةٍ ... فتسابَقوا نحو الْحَطيمِ وَعَرَّفُوا!..
اللَّهَ في شَرَفِ العُرُوبَةِ يا بني الـ ... ـوطن المقدس في السُّرى لا تَظْلُفُوا
اللَّهَ في ضَمِّ الشتاتِ فحولكم ... من كل أبْرَصَ بالضَّغِينَة يَدْلفُ
اللَّهَ في القرآنِ في الدين الذي ... بجلالَه سَادَ الجُدودُ وشُرِّفُوا
فأجابَهُ الأقيالُ من مُضَرٍ وَمِنْ ... شَيْبَانَ إنّا عصبةٌ لا نُخْلِفُ
لبيكَ يا عبدَ الْعَزِيزِ انْفِرْ بِنَا ... في القفر أو في الدار لا نُسْتَضْعَفُ
أقدمْ بنا صَرَدُ الحديد قلوبُنا ... إنا نخوض لظى الرَّدى ونخوِّفُ
أسيافنا مسلولةٌ، هبواتُنا ... مَبْلُوَّةٌ، طعناتُنَا لا تُسجَفُ
إيمانُنا باللَّه ذي أرواحُنا ... يوم الكِفاحِ شهيدةٌ تُتَخَطَّفُ
أنفاسُنا مُلِئَتْ هوىً وحرارةً ... من ضَوْئِها يُؤْتَى اليقينُ ويُكشفُ
وصدورُنا مشحونَةٌ بالصدقِ وَالْـ ... ـحَقُّ الصَّريح من الإهَانَةِ نَأنَفُ
وعقولُنا مرجوحةٌ بالدين والتَّـ ... ـوحيد مَا فينا حقيرٌ مُقرِفُ
يا أيها البَطَلُ العزيزُ اؤمرْ لَكَ الْـ ... ـقَوْلُ المُطاع إذا اسْتَشَاطَ الْمَوقِفُ
لا نَرْهَبُ الموتَ الزؤامَ إذا بَدَا الْـ ... ـهَوْلُ الشديدُ وللمهالك نَزحفُ
السُّمُّ في أسْيافنا والنارُ في ... يوم الخطوبِ بِعَزْمِنَا تُستَكْشَفُ

جيرانُنَا لهمُ الوَفَا، أعداؤُنَا — لهمُ الفَنَا، وضيوفنا رَغَدًا كُفُوا

نحمي الحِمَى بنفوسِنا ونذبُّ عن — أحواضِنَا والصدقُ مِنَّا يُعرَفُ

أبناؤُنا، أموالُنا ونساؤُنا — يوم الجهادِ إلى المفاخر تَهْتِفُ

***

طرق الرقي

ويلُمِّ داهيةٍ تطايرَ شرُّها — شرّيرةٍ بِذَوِي الرذائلِ تَعْصِفُ

ومصيبةُ الأخلاقِ لا يجتاحُها — إلا حكيمٌ حازمٌ مُسْتَخْصِفُ

طُرُقُ الرُّقيِّ إلى الأمامِ ثلاثةٌ — سيفٌ وخُلُقٌ كالرَّحيقِ وَمُصْحَفُ

وأعزُّ إنسانٍ رأيتُ جَمَالَهُ — شهْمٌ يَعُبُّ مِنَ الإباء ويرشفُ

مَرَحُ الحياةِ وجنَّةُ الدنيا له — مَضْمُونةٌ والعنفوانُ المُشْرِفُ

***

الفُرْسَانُ

قوم يُطيف عليهمُ كَفُّ العُلا — كأسَ الحياة، وكَفُّهُم يُستَوْكَفُ

يرمُونَ بالجزْلِ الوفيرِ بِذِمَّةٍ — معصومةٍ بالصدقِ لا تَتَخَلَّفُ

أمَّا الْوَفَاءُ فَإِنَّهُ مُسْتَخْلَفٌ — مِنْهُمْ لِجيلٍ شَمْلُهُ مُتَأَلِّفُ

شُمُّ المَعَاطِسِ لاَ يَرَوْنَ غضاضةً — من قولِ بُهتانٍ أَتَاهُ الأَضْعَفُ

سِمِّيرُهُمْ حلوُ الحديثِ معينُهُ — نبعٌ يفيضُ من الْكِتَابِ وَيُنْزَفُ

وصفاؤُهم صَفْوُ الكلام وإنهُ — لِلْمُصْطَفى يُنْمى الحديثُ الأَشْرَفُ

يَغْنَى الزمانُ وَذِكْرُهم مُتَعَطِّرٌ — ما باتَ في الأحياءِ عَيْنٌ تَطْرِفُ

مَنْ قُسٌّ؟ مَنْ سُحْبَانُ جنبَ جَنَابِهِمْ — مَنْ حَاتِمٌ؟.. مَنْ أَكْثَمٌ؟.. مَنْ أَحْنَفُ؟

نالُوا الوَثَارَةَ في الحياة وأخصَبَتْ — أوطانُهُم ما رَبَّعُوا أوْ خَرَّفُوا

يَحدُو بِمُتْرَفِ خُلْقِهِمْ حَادِي الهَنَا — وَهَنًا وليس بهم وضيعٌ مُتْرَفُ

عَيْنُ الحنانِ تَؤُمُّ من ربِّ الوَرَى — مرعاهُمُ وهو الخَصيبُ الأَكْثَفُ
لم يَسْتَنِيموا للمذلةِ لَحْظَةً — بالعزمِ والبأسِ الشَّديدِ تَلَفَّفُوا
فَهُمُ الكواكبُ نَيِّرَاتٌ في السَّمَا — لم يُخْفِهَا في الجَوِّ سِتْرٌ مُسْدَفُ

* * *

وَحَيُ النَّفْسِ

يَوْمٌ بِمَكَّةَ خَالِدٌ لاَ يَنْمَحِي — من لوحة الوجدانِ أو يَتَحَرَّفُ
فَلَطَالَمَا نادمتُ ذكرى ساعةٍ — فأخذتُ أبكِي الذِكْرِيَاتِ وَأَذْرِفُ
إني أطَعْتُ مَطَامِعِي وأخذتُ مِنْ — كَأْسِ الأَمَانِي في الْحَيَاةِ أُصَرِّفُ
هَيَّا إلى الإقدامِ لا الإحجامِ يَا — مَحْمُودُ غَامِرْ أيها المُتَوَقِّفُ
هذا ربيعُ العمرِ حسبُك نَوْرُهُ — شَمِّرْ به عن ساعدٍ لاَ يَضْعُفُ
اشربْ فكأسُك بالفُتُوَّةِ مُتْرَعٌ — عزمًا، وأقْدِمْ أيها المُتَخَلِّفُ
حَاشَا فتى العرب المُزَاةِ تقاعسٌ — وتقاعدٌ، وتَأَخُّرٌ، وَتَخَوُّفُ
شرفُ الدمِ القاني الزكِيِّ مَنِبَّةٌ — لِحَمَاسَةٍ يغْلِي بها المُتَأَنِّفُ
هَذِي الدماءُ وهذه الروحُ التي — هبطتْ بجسمِك روحُ مَنْ لاَ ينْحَفُ
فإلى الأمامِ إلى الأمامِ ألا تَرَى — في الأفْقِ غَادَتَكَ التي تستعطفُ
بادِرْ إليها كي تنالَ وِصَالَهَا — إن كُنتَ عن نِشدَانِها لاَ تَصْدِفُ
كُن في الحياة كشبل لَيْث عارمٍ — بالنفسِ في لجج المهالِكِ يَقْذِفُ
آباؤك الصيدُ القَساوِرُ مَهَّدُوا — لمناكَ دربًا فَاقْتَحِمْ يا أحْصَفُ
هذي يدُ الآباء جَادَتْ للعُلاَ — هَلاَّ بذلتَ الجهدَ يا مُتَعرِّفُ؟..
لا تحسبنَّ المجدَ بردًا أرقشًا — بل ذاك مجدٌ كَالظُّهُورِ مُزَيَّفُ
المجدُ ما فك القيودَ عن المَطَا[1] — من بعد ما قد كنتَ فيها تَرْسُفُ

---

(١) المَطَا: الظَّهْرُ.

المجدُ ما رفعَ النفوسَ إلى العُلاَ — هيا، ودع من يَدَّعِي وَيُسَوِّفُ
هذا الجميلُ فلا تكن ممن مشى — في اللؤمِ يُنكر للجميل ويُكْسِفُ
إني أُعيذُك يا فتى عدنان مِنْ — جَهْلٍ به أهل الشقاءِ تَوَقَّفُوا
فانشأ كريمًا في الحياة وَمُتْ كَذَا — فالذلُّ يُودِي بالنفوسِ وَيُتْلِفُ
الحرُّ يَبْسُمُ للمصائبِ ساخرًا — سارِ عَلى وِفق العُلاَ يَتَكَيَّفُ
دَرْبُ النجاحِ تحفه الأشواكُ لا الـ — أزهارُ يا من في المُضِيِّ يُجَدِّفُ
لا تحسبَنَّ المجدَ رقيةَ كَاهِنٍ — أو قَوْلَ حَبْرٍ بالدعاء يُسَفْسِفُ
لن تحظى بالمجد المؤثَّل والمنى — ما لم يكن للسعي فوقَك مُطْرَفُ
حَمِّلْ سَفينتك الشراعَ فهذه الـ — ريحُ الرخاءُ بحظنا تَتَصَرَّفُ
أقدمْ على بركات مَنَ بَرَكَاتُهُ — تحيي العظامَ وجُودُهُ مُسْتَعْطَفُ
بالعلمِ والإيمانِ والخُلُقِ الذي — لِصُرُوحِ عُبَّادِ الرَّذَائِلِ تَنْسِفُ
ما الراحةُ الكبرى عَدَتْكَ يَدُ الرَّدَى — إلاَّ العَزِيمَةُ وَالصِّرَاعُ الأَغْنَفُ
فاطمعْ وكنْ جَشِعًا لِعِلْمٍ نَافِعٍ — قد ذَلَّ من في عِلْمِهِ يَتَكَفَّفُ
من يُوقَ شُحَّ النَّفْسِ فهو أخو العُلاَ — قد خَابَ مَنْ يَومُ الفَخَار يُطَفِّفُ
هذي وُحَى الآمَالِ صارت قِصَّةً — موضوعُها بالأمنياتِ مُزَخْرَفُ
إنِّي طَلَبْتُ من المحال حقيقةً — وَعَجِبْتُ!.. أنّي لا أزال[1] أُطَوِّفُ
ما لي يَدَانِ تجاه محتومِ القَضَا — أمْرٌ جَرَى في اللوح لاَ يَتَخَلَّفُ
بين الرجا والخوفِ قلبي هَائِمٌ — هَيْهَاتَ!.. للمفقود لا أَتَأَسَّفُ
لَبِسَ الهوى قلبي وخَالَطَهُ الأسى — وثَوَى بمحرابِ الصَّبَابَةِ يَعْكِفُ
عَبَس الزَّمَانُ وما أرَانِي بِشْرَهُ — وَعَنَى بِطَعْنِي الشَّامِتُونَ وَأَسْرَفُوا

(١) الصحيح ما أزال ـ كما مر آنفًا.

الدُّمُوع!

إنّي أرى الأخبارَ عن وَطَني لَها … شأنٌ يمزق مُهجَتي وَيُعَنِّفُ
بالأمسِ طوفانٌ لربعي جارفٌ … واليومَ حَرٌّ كاللظى مُتَصَلِّفُ
أوّاهُ أهْلِي هل أصابَ بُيوتَكُمْ … أمرٌ يُزَعْزِعُ لي الضلوعَ وَيُجْحِفُ؟..
أمّاه! . هل لكِ في الحياة بقيةٌ … هل قلبُك الباكي الحزينُ مُدَنَّفُ
أمّاهُ! .. عفوًا هل أراكِ سُوَيْعَةً … إني عَلَى نفسي الأسيفَةِ مُسْرِفُ
أمّاهُ!! .. ما لي عن حنانك مَهْرَبٌ … يَا لَيْتَ عطفًا مِنْ لِقَاكِ.. يُخَفِّفُ
أمّاهُ! .. غادرني الطموحُ فريسةً … في غُرْبَةٍ ما لِي بها مَنْ يُنْصِفُ
أودعتُ ديجورَ الهموم حُشاشتي … وغدوتُ للدمع السخين أُكَفْكِفُ
أأُخَيَّ مَالَكَ كالحجارةِ صَامِتًا … وأخوكَ في لُجَجِ الخطوبِ مُكَتَّفُ
أختاهُ، يَا أُخْتَاهُ، يَا أُخْتَاهُ هَلْ … تَذْكُرْنَ مَحْمُودًا وَمَا يَتَكَلَّفُ
يا مَجْمَعَ الأَحْبَابِ في الوطنِ الذي … أبكيهِ هل فيكُمْ مُجيبٌ مُنَصِفُ
حَمَّلتَ بَاخِرة الْبَريدِ رَسائلي … فإذا الجوابُ تَغَافُلٌ وَتَحَيُّفُ
فكأنني أيوبُ في بلوائهِ … وكأنني في البين هَذا يُوسُفُ
وكأنني بين الشدائد يُونُسٌ … سُبْحَانَكَ اللّهُمَّ أَنْتَ الْمُسْعِفُ
أمسيتُ في الوادي السحيق مُلَوَّعًا … كالطيرِ مقصوصَ الجَنَاحِ يُرَفْرِفُ
الروح حيرى، والفؤادُ كأنه … طاحونُ نهرٍ في الفلاةِ يُدَفْدِفُ
أقضِي الليالي السودَ في نار الأسَى … قَلِقًا، وقلبي حائر مُتَخَوِّفُ
غَمَرَ المشيبُ الرأسَ واصطلحت على … جسمي السقومُ وَمَسَّنِي ما يُدنِفُ
حيران لا إلفٌ يَرُدُّ شَمَاتَتِي … شَهْمٌ وَلاَ نَجْدٌ أَرَى يُستَألَفُ
أصبحتُ مُتَكَفِئًا بِدَارِ مَذَلَّةٍ … صِفْرَ اليدين وفي الفؤاد تأنُّفُ
أرضٌ بها الجهلُ المهيضُ مخيّمٌ … وسُرَاتُها مستكبرٌ وَمُخَرِّفُ

وعلى الرؤوسِ عمائمٌ في جَوِّهَا   عَقْلُ الصَّدَى وهو الخَوَاءُ الأجْوَفُ
ومذاهبٌ وَمَسَالِكٌ وعجائبٌ   في دينهم وَمَلاَعِبٌ وَتَصَوُّفُ
وتصوُّفٌ قالوه ذاك تَلاَعُبٌ   ولديهمُ الدين الحنيف مُصَحَّفُ
مَرَجَ الوُشَاةُ وما رَعَوا أيْمَانَهُمْ   زُورًا وقولُهُم الهُراء الأَسْخَفُ
النفسُ ملأى بالإباء وشيمَتِي   رغم الهُمُومِ، تَجَمُّلٌ وَتَعَفُّفُ
وَأرى العِدَا سِيما الوَقَارِ ولم يُهِنْ   نَفْسِي لديهم حسرةٌ وَتَأَفُّفُ
ولقد شَرِبْتُ من الكؤوس أمَرَّهَا   ولَرُبَّمَا كَأسٌ تجيءُ وَتُرْدَفُ
وَلَرُبَّ يومٍ شمْسُهُ وهَّاجَةٌ   ولربَّ آخرَ ليلُه لا يُصْرَفُ
ما دَامَتِ الدنيا الفناءُ مَصِيرُها   فَمِنَ الحَمَاقَةِ زفرةٌ وَتَأَسُّفُ

***

ينبوع الرجاء

يا مُدْلِجًا يَدَعُ المَطِيَّ ضَوَامِرًا   هل شِمْتَ بَرْقًا من بعيدٍ يَخْطِفُ
هل شِمتَ برقًا من سَحَائِبِ فيصَلٍ   غُمِرَتْ به قِمَمُ الرُّبَا وَالْجَفْجَفُ(١)
يا سيدًا فَاحَ الندى في كَفِّهِ   كالمسكِ يَعْبَقُ في الْخُدُورِ وَيُعْرَفُ
لَثَمَتْ أنَامِلَكَ الكريمةَ غَادَةٌ   جَاءَتْكَ يَحْدُوهَا الرَّجَاءُ المُخْطِفُ
أفْرَغْتُ وِجْدَانِي وَكُلَّ عَوَاطِفِي   في كَأسِهَا الدُّرِّي وَهْيَ تُحَفْحِفُ(٢)
بِالطُّهْرِ مَيْسَمُهَا الحزينُ مُضَمَّخٌ   بِالْوَجْدِ ذَابَ فُؤَادُهَا الْمُتَلَهِّفُ
ألحاظُها مُضَرِيَّةٌ سِحْرِيَّةٌ   وإلى مَعَدٍّ أصلُها المُسْتَظْرَفُ
من عَالَمِ الأرواحِ لا مِنْ عَالَمِ الـ   أشْبَاحِ مَاسَتْ وَالرِّدَاءُ مُهَفْهَفُ
قد صَاغَها وحيُ الضمير بليلةٍ   لاحَتْ لَدَيَّ بِهَا الذُّرَا وَالأَجْرُفُ

(١) الجفجف: الوهدة من الأرض أو الأرض المرتفعة من الأضرار.
(٢) تُحَفْحِفُ: ضاقت معيشتها.

فَارَقْتُكُمْ سَبْعًا مِنَ الآلامِ في ... أرضٍ بِهَا فِتَنُ الدَّمَارِ تُصَيِّفُ
لَمْ يُلْهِنِي عَنْكَ البِعَادُ وَصَرْفُهُ ... إلا عَدُوٌّ بِالنَّمِيمَةِ يَهْرِفُ
طَعَنَ الظَّلومُ لنفسه بكرامتي ... وغدا يخطُّ بِمَطْعَنِي وَيُصَنِّفُ
لم يَرْقُبِ اللَّه القديرَ وَمَا خَشَى ... يَوْمًا به يُؤتَى الْجَزَاءُ وَيُكْشَفُ
حَسْبِي إِلَهُ الْعَرشِ وهو وكيلُنا ... مَا اغْتِيبَ عَبْدٌ أو أنَاب الْمُسْرِفُ
حَاشَا أباكَ سماعُ لَغو نميمةٍ ... فَمَغِبَّةُ البغي البلاءُ الأَحْيَفُ
حاشاكَ يا ابن إمام أمة أحمدٍ ... فَلأَنْتَ أكرم بعد ذاك وَأَشْرَفُ
يا سيدًا زرع الجميلَ جُدُودُهُ ... وعلَوْا بني الإنسانِ فيمَا أَسْلَفُوا
فَلأَنْتَ بالحسنى أحقُّ لَدَى الندى ... ولَدَيْك منها ما يُحبُّ ويُؤكفُ
آنَسْتُ في البلوى على رغم الأسَى ... بالصبرِ قلبًا بالهُمُوم يُغَلَّفُ
وإلَيْكَ بعدَ اللَّه مَزَّقتُ الدُّجَى ... سيرًا وشِعْرِي بالرَّجَاءِ مُفَوَّفُ[1]
لم أنس يومًا حول (جَرْوَلَ) لَيْلُهُ ... كالصُّبْحِ يشرِق من سَنَاكَ وَيُوجِفُ
يا حَبَّذَا الذِّكْرى إذا مَا نَادَمَتْ ... قلبي لِصَرْحِك والنشيدُ يَثقَّفُ
ما زلتُ أتلو من قَصيدَةِ فيصلٍ ... شُعَلاً تَثُورُ على الجَنَانِ وتُلحِفُ
يا نغمةَ الماضي بِمَكَّةَ خَلِّدي ... ذكراكِ ما لَبَّى الإلَهَ مُعَرِّفُ
إنِّي إذا ما اهتزَّ رُوحِي للعُلاَ ... ألفيتني أزجي النشيدَ وَأُتْحِفُ
وإذا الحجى متفجِّرٌ ينبوعُهُ ... وإذا اليَرَاعُ من اللطائف يَرْعُفُ
إنِّي سَبَرتُ من الزُّمرُّدِ دُرَّةً ... للعلم في جيدِ الْفَضِيلَةِ تُرْصَفُ
ومكثتُ أبرمُ في الدُّجَى[2] أسلاكَهَا ... وَطَفِقْتُ من وَرَقِ المَشاعِرِ أخْصِفُ

(١) مُفوَّف: مُزهِرٌ.

(٢) يرسم الشاعر كلمة «الدجا» بالألف الممدودة والصحيح أنها بالألف المقصورة؛ لأنَّ الدُّجى واحدها الدُّجيَةُ وهي الظُّلمة. والفعل منها بالألف الممدودة: دَجَا الليل أي أظلم.

أفنيتُ أيامَ الشباب لَدَى الهَوَى … وَلَدَيَّ من طُرَفِ التجارب مُتْحَفُ
وسَهرتُ للسحر الحلالِ منقبًا … سَحَرًا أُهيجُ به الكرامَ وأُطْرِفُ
شاطرتُ عشاقَ العلوم حِوَارَهُمْ … وَحَذَوْتُهُمْ ما فكروا أوْ صَنَّفُوا
وَلَدَيَّ مِنْ كَوْنِ الخيالِ أريكةٌ … ينجوُ بها العقلُ الصريحُ وَرَفْرَفُ
أدركْ بِرَبِّكَ بعد رَبِّكَ مُهْجَتِي الْـ … حَرّى، تذوبُ ونارُها تتعَسَّفُ
قد مَسَّنِي ضُرُّ الحَيَاةِ وَبُؤْسُهَا … والأُنْسُ عَنِّي نافرٌ مُتَحَرِّفُ
وَأمَضَّنِي شَظفُ الحياةِ وعيشُها … رَغمًا على أنفي شَجِيّ وَتَقَشُّفُ
لولاَ مُراقبةُ الإلَهِ وَخَوْفُهُ … لَجَعَلْتُ نفسي طعمةً تُتَخَطَّفُ
لولاَ الرجاءُ بِجَنَّةِ الرَّحْمَنِ في … دَارِ الْبَقَا لأتيتُ حَتْفِي أحْذِفُ

***

إلى الله وحدَهُ..!

رَبَّاهُ لا أرجُو لكشف الضُّرِّ عَنْ … قَلْبِي سِوَاكَ فَأَنْتَ أَنْتَ الأَرْأَفُ
وَإِلَيْكَ أفْزَعُ في الرخاءِ وفي الرَّدَى … لاَ هُمَّ رَحْمَتُكَ التي تَتَوَكَّفُ
لا هُمَّ قَسَّمْتَ الحُظُوظَ على الورَى … فاجْعَلْ لِجدَّةِ مَطْمَحِي مَا يُخْلِفُ
أفرغْ عَلَى المُضْطَرِّ رَحْمَتَك الَّتِي … هِيَ كُلُّ ما يرجو الغريبُ المُدْنَفُ
رَبَّاهُ إنَّ الوِزْرَ يَهْصُرُ أبْهُرِي … فالعفوُ منك لدى الإِسَاءَةِ يُعْرَفُ
رَبَّاهُ أنت مُسَبِّبُ الأَسْبَابِ إنِّي … حين أسألُكَ المَوَاهِبَ أُلْحِفُ
غفرانَكَ اللَّهُمَّ يَا مَنْ بِاسْمِكَ … الرَّحْمَنِ يَدْعُو عَبْدُكَ المُسْتَضْعَفُ
لاَ أَشْتَكِي إلاَّ إلَيْكَ وَإِنَّمَا … سَبَبٌ يحاوِلُهُ الفؤاد الْمُتْلَفُ

***

ابنتايَ..!

مَاوِيَّ، ليلى، كلُّنَا في غربةٍ … فتاكةٍ أمْوَاجُها تَتَكَنَّفُ

هَذَا عَزَائي فاصبرَا وتريَّثَا ... يومًا يجيء به الْبَريدُ وَيُتْحِفُ
أبُنيَّتيَّ إذا جَفَانِي فيصَلٌ ... فاللَّه أرحمُ بالعبادِ وَألْطَفُ
مَا عِنْدَ كُلٌ النَّاسِ فَانٍ كُلُّه ... وَاللَّه باقٍ بالوَرَى مُتَصَرِّفُ

(٢٤)
أحْدُوَّةُ الرُّوح

مهداة للإمام عبد العزيز آل سعود!

هذِي قصيدتِي التي تَتهلّلُ   شوقًا إليكَ، وبالمعانِي تَرْفُلُ
ناديتُ يومَ البينِ أطيافَ الحِمَى   عِشْرينَ عَامًا، والخطوبُ تُظَلِّلُ
كم ذا بكيْتُ مَرابِعِي مُتوجِّدًا   مُتحسّرًا، أرْنُو لأُفْقِكَ، أحْجِلُ
أنهيْتُ أيامَ الشبابِ وفي دَمي   صَوْتٌ يَحِنُّ إلى العُلا يَتَرَسَّلُ
فَلَشَدَّ مَا زَخَرَتْ بروحِي ثورةٌ   قُدْسِيةٌ للحقِّ لا تَتَزَلْزَلُ
آمنْتُ بالأقدارِ وهي بريئةٌ   مِنْ أنْ أخورَ وللمصائبِ مِعْوَلُ
فصدختُ لا ألْوِي على أحدٍ وفي   رُوحي نشيدٌ للسُّمُوِّ مُفَصَّلُ
نَبَرَاتُهُ وضَّاءةٌ وثَّابةٌ   في مَسْرحٍ يَبْغِي جَنَاهُ السُّفَّلُ
أسَمِعْتَ مني لفظةً مقلوبةً؟..   كَلاًّ!.. وها أنا بِالرَّجَا مُتَزَمِّلُ
أكْفَأتُ نَفْسي ثم رُحتُ لِمَطْمَحِي   مُتَصَاوِلاً، والهولُ مِنِّيَ أصْوَلُ
فعرجْتُ في مَرَحِ الحَياةِ تُذيْبُني الْـ   أنَّاتُ، أجْرِي دائبًا أتَنَقَّلُ
وَظَلِلتُ في جُنْحِ الظلامِ كجُنْدُبٍ   كُسِرَتْ له عند المسيرِ الأرْجُلُ!..

❋ ❋ ❋

رحماكِ رحمةَ من أسالَ بمنطِقي   الصوتَ الحنونَ، وللصُّرُوفِ تَحَوُّلُ
يَا مَنْ حَبَا الْبَرَّ الرَّؤُوفَ رِسَالَةً   تَغْنُو الشُّعُوبُ لَهَا ومنْها تَنْهَلُ
يَا مَنْ لِمَجْدِ جلالِكَ القُدُّوسِ قَدْ   خشعَتْ ملائكةُ السَّماءِ تُهَلِّلُ
يا مَنْ على أُمِّ الْقُرَى رَحَمَاتُهُ   سَحَّاءُ تهطلُ دائمًا تَتَنَزَّلُ

هَبْ لي أجَبَّارَ السماواتِ العُلاَ ... سببًا أزورُ به الرُّبُوعَ يُعَلِّلُ
أقضِي حياةَ النُّسكِ لاَ مُتَصَنِّعًا ... وَأَغُورُ في المَهْدَاةِ لاَ أتَعَمَّلُ

* * *

اللَّهُ أنْعَمَ!.. والخطوبُ جريئةٌ ... وَلَهَا عليَّ أكُفُّها وَالكَلْكَلُ
وأفاضَ لِي والصبحُ يَسْطَعُ مُشْرِقًا ... نُورًا يَجِيشُ شُعَاعُهُ المُسْتَفْحِلُ
سبحانَ مَنْ رفعَ السماءَ وَطَارَبِي ... فوقَ الْغَيَاهِبِ!.. والرُّعُودُ تُجَلْجِلُ
اللَّه أسْبَغَ لِلعُقولِ جَلاَلَهَا ... فَغَدَتْ لِمَسْتُورِ الْعُلُومِ تُحَلِّلُ
وَأَتَتْ بِمُعْجِزَةِ الْهَوَاءِ وَجَهَّزَتْ ... طَيَّارَةً في الجوِّ تَجْرِي تَرْحَلُ
مَخَرَتْ بِإنسانِ الحياةِ إلى العُلاَ ... كالبرقِ تصخبُ بالحديدِ تُهَرْوِلُ
بحبوحةُ الجوِّ الرهيبِ بها ارْتَقَى ... قومٌ إلى غاياتِهِمْ وَتَأَمَّلُوا
فيها وضَعْتُ بَنِيَّ تَرْنُو أُمُّهُمْ ... نحْوي فَتَبْسِمُ لِلْحَيَاةِ وَتَخْضِلُ[1]
فَأَطِلُّ واللُّججُ السحيقةُ لونُهَا ... كَاللَّيلِ يَقْصِفُ بالحُلُومِ وَيُذْهِلُ
أرْنُو إلَى الأُفُقِ البعيدِ مُسَبِّحًا ... وَأَمَامِيَ الشَّفَقُ البهيجُ يُخَيَّلُ
فإذا بأشواقِي إليكَ جريئةٌ ... تشْرِي دُجىً يَا أيُّهَا الْمُتَبَتِّلُ
ذا البدرُ يبْعَثُ هَالةً سِخْرِيَّةً ... فيها لأشواقِي مُنىً تَتَغَسَّلُ
والنجمُ مؤتَلِقٌ ومن إشعاعِهِ ... دَمْعِي السخيُّ عَلَى الْمَحَاجِرِ مُسْبَلُ
فَنَظَرْتُ صُبْحًا وَالكَرَى مُتَوَاثِبٌ ... عَنْ نَاظِرَيَّ وفي الجَوَانِح مِشْعَلُ
كَحَّلْتُ عينِي في الربوع بأُسْرَتِي ... فَأَخَذْتُ أَلْثُمُ لِلشِّفَاهِ أُقَبِّلُ
يومٌ به البُشْرَى تُغَرِّدُ لاَتَنِي ... تتلو اللقاءَ قصيدةً تَسْتَرْسِلُ
شاهدتُ في المرعَى الظباءَ ولم تزل ... بينَ الأسودِ العارمِينَ تَنَقَّلُ

(١) تخضل: تَنَدَّى وتنعم.

فـإذا بِـأَسْنِـمـةِ الـرمـالِ بـهـيـجـةُ الـ ... ـمَـرْعـى، بـأخـلاقِ الـعَـفَـافِ تـكَـلَّـلُ
وإذا بِـأَحْـلامِ الـرُّبَـى مُـضَـرِيَّـةٌ ... تـرنُـو بـهـا سُـودُ الـعـيـونِ وتَـحْـفِـلُ
بِـشْـرٌ يُـغَـرِّدُ لِـلِّـقَـاءِ فـيـرْعَـوي ... لِـسَـنَـائِـهِ الـمُـتَـحَـنِّـثُ الْـمَـتَـوَكِّـلُ

***

لَـبَّـيْـكَ!.. ديـكُ الـفجرِ صَاحَ مُـبَـكِّـرًا ... الـلَّـهُ أكْـبَـرُ!.. ثـم ظـل يُـحَـيْـعِـلُ
إنِـي لِـصَـوْتِـكَ مُـنْـصِـتٌ وكـأنَّ بِـي ... سِـحْـرَ الْـبَـيَـانِ جَـرَى بِـفـيـك يُـعَـسِّـلُ
أخْضَعْـتَـنِـي لـلحقِّ رُضْتَ شكـيـمَـتِـي ... فـجريـتُ شعـرًا في الـحِـمَـى أتَـسَـلْـسَـلُ
عَـاطَـيْـتَـنـي صِـدْقَ الـحـديـثِ وَإنـه ... مـن مـنـبـع الـذكـر الـحـيـكـمِ يُـسَـيَّـلُ
وأرَيْـتَـنِـي شـرفَ الـتـواضـعِ وهـو مِـنْ ... خُـلُـقِ الـنـبـيِّ الـمـصـطـفـى يُـتَـحَـصَّـلُ
لَـكَ فـي الـرِيَّـاضِ رِوَايَـةٌ تَـحْـدُو بِـهَـا ... زُمَـرُ الـفُـحُـولِ، ولـلـخُـلـودِ تُـسَـجَّـلُ
تـجـرِي عـلـى الأفـكـارِ رائـعـةَ الـضِّـيَـا ... وبِـهـا الـجـزيـرةُ كـلُّـهـا تَـتَـشـكَّـلُ

***

عـشـريـنَ عَـامًـا يـا إمَـامُ قـضـيـتُـهـا ... لِـلْـعِـلْـمِ والـدِّيـنِ الـصَّـحـيـحِ أُفَـصِّـلُ
نَـاضَـلْـتُ لـلـتـوحـيـدِ قـومًـا أوْغَـلُـوا ... فـي الـبـدعـةِ الـعـمـيـاءِ ثُـمَّ ضَـلَّـلُـوا
وصَـدَعْـتُ بـالـقـرآنِ أوهـامَ الألـى ... عَـاثُـوا بـأفـكـارِ الـورَى وَتَـسَـفَّـلُـوا
نَـسَّـقْـتُ مـن حِـكَـمِ الـنـبـيِّ رسـالـتِـي ... وأخَـذْتُ أُمْـلـي الـيَـافِـعِـيـنَ وَأجْـمِـلُ
وَبَـنَـيْـتُ لـلـقـرآنِ مـدرسـةً لَـهَـا ... فـي شَـرْقِ جَـاوَا عُـصْـبَـةٌ لا تُـخْـذَلُ
هـذا وربِّـك فـضـلُ ربِّـي إنَّـه الْـ ... ـبَـرُّ الـرحـيـمُ!.. ولُـطْـفُـهُ يَـتَـهَـطَّـلُ
قـالـوا: أوهَّـابـيٌّ هـذا الـحـيُّ لا ... تَـنْـطِـقْ!.. فـإنَّـك مُـبْـدِعٌ مُـتَـطَـفِّـلُ
مـا الـديـنُ والـتـوحـيـدَ إلا مـا أتَـى الـ ... آبـاءُ فـيـه، وَمَـا لِـقَـوْلِـكَ مَـحْـمَـلُ
فـتـلـوتُ آيـاتِ الـكـتـابِ رهـيـبـةً ... وبِـهـا اهـتَـدَى مـتـفـكِّـرٌ وَمُـغَـفَّـلُ
نـاقَـشْـتُـهُـمْ مـتـرفِّـقًـا مُـسْـتَـمْـنِـحًـا ... صَـفْـوَ الـحـديـثِ وصـفـوُهُ لا يُـجْـهَـلُ

لـي فـي مـوازيـن الـحـيـاةِ قـصـائـدٌ هَـذَّبْـتُـهَـا لِـلْـخَـلْـقِ لا تَـتَـبَـلْـبَـلُ
لـم أفْـتَـخِـرْ لـكـنَّ طِـيـبَ تَـحَـدُّثِـي بـعـطـاءِ مَـنْ بـرأ الـورَى أتَـمَـثَّـلُ
أنـا يـا إمـامَ الـمـسـلـمـيـنَ بِـمَـا تَـرَى أشـدُو وقـد شَـهِـدَتْ بـمـكـةَ جَـرْوَل
فـي الـكـوتِ والـدهـنـاءِ سـارتْ نَـغْـمَـتِـي تـجْـرِي بِـهَـا هُـوجُ الـرِّيـاحِ وَتَـنْـقُـلُ
أسْـمَـعْـتُ إنـشـادِي سُـعُـودًا فـي الـحـسـا وصـغـى بـجـنـبِ الـبَـيْـتِ شِـبْـلُـك فـيـصَـلُ
غـنـيـتُـكَ الـشـعـرَ الـكـريـمَ بِـرُوحِـي الْـ مُـضْـنَـى وَرَفْـرَفَ رُوحِـي الْـمُـتَـغَـزِّلُ
ألْـقَـاكَ فـي عَـذْبِ الـرجـاءِ وإنـنـي مـا زِلْـتُ أشـدو بـالـرجـاءِ وأرْفُـلُ
والـلَّـهِ يـا خـيـرَ الـمـلـوكِ وبَـنْـدَهُـمْ كـم ذا بـعـثْـتُ رسـائـلـي لـكَ تَـزْمُـلُ
فـإذا الـبـريـدُ جـوابُـهُ لَـمْ يَـرْعَ لِـي قـلـبًـا عـلـى مضَـضِ الأسـى يـتـمـلْـمَـلُ
أحـسـنْـتُ ظـنّـي والـخـطـوبُ مُـغَـيـرةٌ والـروحُ نـحـوَك يَـا إمَـامِـي مُـقْـبِـلُ
فـكـأنـنـي مُـلِّـكْـتُ تَـيْـجَـانَ الـوَرَى لَـمَّـا تَـكَـلَّـمَ يُـوسُـفُ الْـمُـتَـفَـضِّـلُ
فـطـربْـتُ لـلـشـيـخِ الـقِـنَـاعِـيِّ الـذي أذكَـى وأشـواقِـي إلـيـكَ تَـغَـلْـغَـلُ
فَـاشْـدُدْ رَجَـائِـي يـا كـريـمُ بِـمَـا تَـرَى وارحَـمْ أبَـا زَيْـدِ الَّـذِي يَـتَـأمَّـلُ
ارحَـمْ حـشـاشـتـه فَـدَيْـتُـك إنَّـهُ شـيـخٌ يَـصِـيـحُ الـوجـدُ فـيـه ويُـصْـقَـلُ
أدْرِكْـهُ يـا مـجـدَ الـمـلـوكِ وعـزَّهـم أدركْ مـحـمَّـدَ إنَّـه مـتـعـطِّـلُ
واسـمـعْ إمـامَ الـمـسـلـمـيـن رسـالـةً لابـن الـعَـمُـودِيِّ الـذي بـك يَـنْـبُـلُ
واسـمـعْ إمـامَ الـمـسـلـمـيـن قَـصـيـدَتِـي هـذي الـتـي فـيـهـا الـرجـاءُ الأنْـبَـلُ
أكْـبِـتْ فـديـتُـك كَـبْـتِـيَ الـدَّاوِي عَـلـى قـلـبـي بِـصُـنْـعِـكَ والـجـمـيـلُ يُـسَـجَّـلُ

✲ ✲ ✲

مـجـدٌ عـلـى مـجـدٍ ومـن مـجـدٍ لـه جَـرَسُ الـعـصـورِ لـدى الـحـيـاةِ يُـصَـلْـصَـلُ
ضـمَّـتْـكَ فـي قـلـبِ الـجـزيـرةِ أمـةٌ بـقـلـوبِـهـا وإلـى نِـدَائِـكَ عَـجَّـلُـوا
هَـبُّـوا ولـلـصـحـراءِ أسـحـارٌ بـهـا رَوْحُ الـخـلـودِ عـلـى الـنـفـوسِ يُـبَـلِّـلُ

هَبُّوا إلى المجدِ الفخيمِ وَروِّقُوا ... للرُّوحِ كاساتِ الهَوَى وَتَنَهَّلُوا
هَبُّوا بآيِ المعجزاتِ وحلِّقُوا ... في قُبةِ الأُفقِ السعيدِ وأوغِلُوا

***

ناديتَهم عبدَ العزيزِ وللرَّدى ... في الربعِ صِلٌّ[1] للشتاتِ وَخَيْعَلُ[2]
يا قومِ رُجْعى للكتابِ وإنه الـ ... ـحبْلُ المتينُ به السُّمُوُّ المُخْضِلُ[3]
أُغْدُوا وَرُوحُوا ضاربين لمطمحٍ ... فيه بدارِ الخُلْدِ شُيِّد مَعْقِلُ
ما للحُطامِ يروحُ في غَدَواتِكُمْ ... ويعودُ يَغْدُو في الرَّوَاحِ يُضَلِّلُ
هذي الوُحَى في أمةِ المَلْهَى لَهَا ... صرحٌ يؤسسهُ الوُضَّاعُ السُّفَّلُ
سَكِرَتْ بدنياها النُفوسُ وصَفَّحتْ ... عَيشَ الغُرُورِ، وَداؤها مُسْتَعْضَلُ
فَتَسَجَّل الذُّلُ المُهيضُ بسِفْرِها ... لطخاتِ جَهْلٍ للهوانِ تُكَمِّلُ
غَدْرٌ يُجَنُّ الغُولُ من ألحاظِهِ ... مُتَسَتِّرٌ تحت الثيابِ مُكَلْكَلُ
وجهٌ لِوَجْهِ نَاظِرانِ لَدَيْهِمَا ... لَمْسُ الحريرِ تَضِلُّ فيه الأَنْمُلُ
الْمَسْ بما تحتَ الأديمِ تَجِدْهُمَا ... شوكًا يُمزِّقُ أو حُسامًا يَقْصِلُ
ما للحُطامِ ومالكُمْ إنْ رُمْتُمُ ... كأسًا من التَّسْنيمِ أوْ تَتَغَسَّلُوا

***

ما كانَ مِنْ عَنَتِ الحياةِ وريبِها ... فوقَ الضَّوَامِرِ جَنَّةٌ تَسْتَقْبِلُ
الأنسُ في خوضِ الغُبارِ مُجاهدًا ... للحقِّ تَدْأبُ للعُلا وتُؤَثِّلُ
هذي الحياةُ، تمرُّ جسرٌ عابِرٌ ... والعمرُ فيها بالعناءِ مُحَنْظَلُ
دارُ الخلودِ هي الحياةُ حقيقةً ... وسفاسِفُ الدنيا جَحِيمٌ مُخْجِلُ

---

(١) الصِّلُ: الحيَّةُ الخبيثة، أو الدقيقة الصفراء.

(٢) الخَيْعلُ: الذئب.

(٣) المِخْضَل: المنجل.

انظُر إلى الرِّمم التي نَخِرَتْ لَهَا صوتٌ يُذَكِّرُ بالرَّحيلِ وَيَعْذِلُ
في كلِّ عظمٍ آيةٌ تحكي لَنا ما سوف نلقى بَعْدَمَا نَتَبَدَّلُ
يا لَيْتَ شِعْري هل يرى أهلُ الحِجَى خلْفَ الحجابِ السرَّ كيفَ يُمَثَّلُ
يَمْشِي بأشرطةٍ تَمُرّ روايَةً للعُمرِ فيها كلُّ شيءٍ يُغْزَلُ
وَيْلِي على مَنْ رامَ عزّا باذِخًا بثرائِهِ إنَّ الثَّراءَ مُحَوَّلُ
ابْغِ الثَّراءَ لِكَسْبِ مَحْمَدةٍ وكُنْ وَرِعًا يكفُّ أذاهُ لاَ يَتَخَطَّلُ
فلأنْتَ في الدنيا وما مُلِّكْتَ مِنْ مالٍ لربِّكَ أمْرُهُ وَالمَوْئِلُ
ما العِزُّ إلا أن ترى لك شِرْعَةً لِمُحَمَّدٍ تُنمى تَفِيضُ وَتَشْمُلُ
ما العزُّ إلا أن تَرَى لَكَ هَبْوَةً وَصَوارِمًا مَا تُنْضَى وَخيلاً تَصْهَلُ

❊ ❊ ❊

يا قومِ والتوحيدُ أسُّ العِزِّ إنْ أشْدَا بِهِ ذُو فَاقَةٍ أوَ مَيِّلُ
العزُّ يَا لَلْعِزِّ حَزمٌ رَاشِدٌ يَمْشي به بينَ الرجالِ الأرجَلُ
ما العزُّ إلا أنْ تكونوا أمةً مَزهوبَةَ الأطرافِ لا تُسْتَرْذَلُ
ما العزُّ إلا أنْ تكونوا كُمَّلاً بالخُلْقِ يَمْشِي بالزِّمَامِ الكُمَّلُ
ما العزُّ إلا أنْ يكونَ ذِمَارُكُمْ يُحْمى بِخُلْقٍ فَاضِلٍ وَيُكَلَّلُ
ما العزُّ إلا أنْ يكون لِعَرضِكُمْ بَابٌ يُسَدُّ عن العُيُونِ ويُقْفَلُ
ما العزُّ إلا أنْ يصونَ رُبُوعَكُم دينٌ يَسُودُ وأنْفُسٌ تَتَعَدَّلُ
ما العزُّ إلا أنْ تَقُومَ مَدَارِسٌ في كلِّ دارٍ للعلومِ تُفَصَّلُ
ما العزُّ إلا أنْ يحوطَ ثغورَكُمْ سُودُ الدَّوَارِعِ بالأُسُودِ تُؤَهَّلُ
ما العزُّ إلا أنْ يَكُونَ صَغيرُكُمْ شِبْلاً يُزَمْجِرُ في السُّرَى لا يَكْسَلُ
هَذَا وَأرجو اللَّهَ لي ولكمْ حمىً تَعْنُو له كُلُّ الشُّعُوبِ وَتَسْفُلُ

❊ ❊ ❊

أصْغَوْا.. وكُلُّهُمُ مَسامِعُ شُنِّفَتْ ... سِحْرًا، وكلٌّ عَابِدٌ مُتَنَفِّلُ
فمشوا على الدهناءِ حتى شَرَّقُوا ... نحو القطيفِ وللتحنثِ شَمَّلُوا
وتواثبوا للغرْبِ تُحْدَى عيسُهُمْ ... بالشوقِ يَزْخَرُ في القُرى ويُطَبِّلُ
نصبوا على الحرمين أعلامَ الهُدَى ... ولهمْ ظُبَاةٌ للضلالِ وَمِخْصَلُ[1]
حَثُّوْا غِرَاسَ الشَّوْكِ من أمِّ القُرى ... وأَتَوْا ليثْرِبَ زَائِرِينَ وَبَجَّلُوا
وَقَفُوا أمَامَ القَبْرِ وقفةَ عِبْرَةٍ ... عِشْقِيَّةٍ فيها الوُحى تَتَخَلَّلُ
أنشودةُ الأزمانِ تُتْلَى دَائِمًا ... ولجرْسِها دَمْعُ اللَّوَاحِظِ يُهْمَلُ
دارَتْ بها الأجيالُ ثمَّ تنكَّرَتْ ... لكنْ على رَغْمِ الخطوبِ تُرتَّلُ
خَشَعَتْ لها كلُّ العقولِ تذللاً ... وتهافتَتْ بِجَمَالِها تَتَوَسَّلُ
أصْغَتْ لها الأقطارُ وهي بِحيرَةٍ ... فتَنَبَّهَتْ بعدَ الرّقادِ تُوَلْوِلُ
زَفَرَتْ فكانَ زفيرُها مُتماوِجًا ... في الكونِ شَوْقًا للرّدى تَسْتَسْهِلُ
فَمَشَتْ على الأكْبَادِ تلتمِسُ الرَّجا ... مَرَحًا يُضيء وشُعَلَةً تَتَغَلْغَلُ
ضَاءَتْ بأحْمَدَ الأمينِ وحزْبِهِ ... يُمْنًا يُبَارِكُهُ القديرُ الأوَّلُ
أبدًا إلى يومِ القيامةِ نُورُها ... مُتَأَلِّقٌ لِذوي العقولِ يُغَرْبِلُ
أبدًا يَثُجُّ الخيرُ من يَنْبُوعِها ... سَحًا عُصَارَتُهُ الكَمَالُ الأكْمَلُ
بِجَمَالِهَا روحُ الحياةِ مُجَنَّحٌ ... أجْوَاؤُه النُّورُ السَّعِيدُ الأفْضَلُ
هذي رسالاتُ العُلا بمحمدٍ ... تُمْلَى وَتُمْلِي آيَها وَتُعَدِّلُ
ماذا يريدُ الفكرُ وهو محوَّمٌ ... ما دامَ في الدنيا الكتابُ المُنْزَلُ
هو للرقِيِّ وللهدايةِ راصِدٌ ... وبه الحَقَائِقُ دائمًا تَتَنَزَّلُ
رُجْعَى عبادَ اللّهِ للمجدِ الذي ... غَادَرْتُمُوهُ بأهلِ مَنْ لاَ يَعْقِلُ

(١) المِخْصَل: المنجل.

ذي الأرضُ تَنْتَظِرُ الحياةَ رِسالَةً تجري بنفحِ المِسْكِ أوْ تتسَبَّلُ
بسحائبٍ فوقَ الوجوهِ كأنَّها فيضٌ من الإحسانِ لاَ تتسَفَّلُ
وعمائمٍ فوقَ الجباهِ مضيئةٍ تَغْدُو بها بينَ الحُزُومِ الصُّهَّلُ
هذي الوُحَى!.. عبدَ العزيزِ ألهمْتَهَا وَبِمُهْجَتِي جُرْحٌ يَفُورُ وَدُمَّلُ
أبْكِي بدمعٍ من نجيعٍ في الْحَشَا وطنًا بِهِ ليلُ الْمَصَائِبِ أَلْيَلُ
وَمَرَابِعًا أمستْ ضَحَايا في الدُّنى يمشي بها الخسفُ اللئيمُ وَيَرْكُلُ
أَنا كَمْ بكيْتُ المسجدَ الأَقْصى وكَمْ ناجيْتُهُ وظُبَا الحُتُوفِ تُعَزْقِلُ
للَّهِ في الوطنِ الشهيدِ أفَضْتُهُ شِعْرًا يَسِيلُ الوجدُ فيه ويُرْسَلُ

* * *

لم يُغْرِني في ذي الحياة زَخَارِفٌ لكِنَّ روحي للحقائِقِ تَرْقُلُ[1]
اللَّهُ ربيّ!.. والكتابُ لرُوحِيَ الظـ مأى نعيمٌ وِرْدُهُ لاَ يَذْبُلُ
إنّي لأعْجَبُ كيْفَ ضَلّ الدربَ من يتلو الكتابَ وراحَ يَهْجُرُ يُهْمِلُ

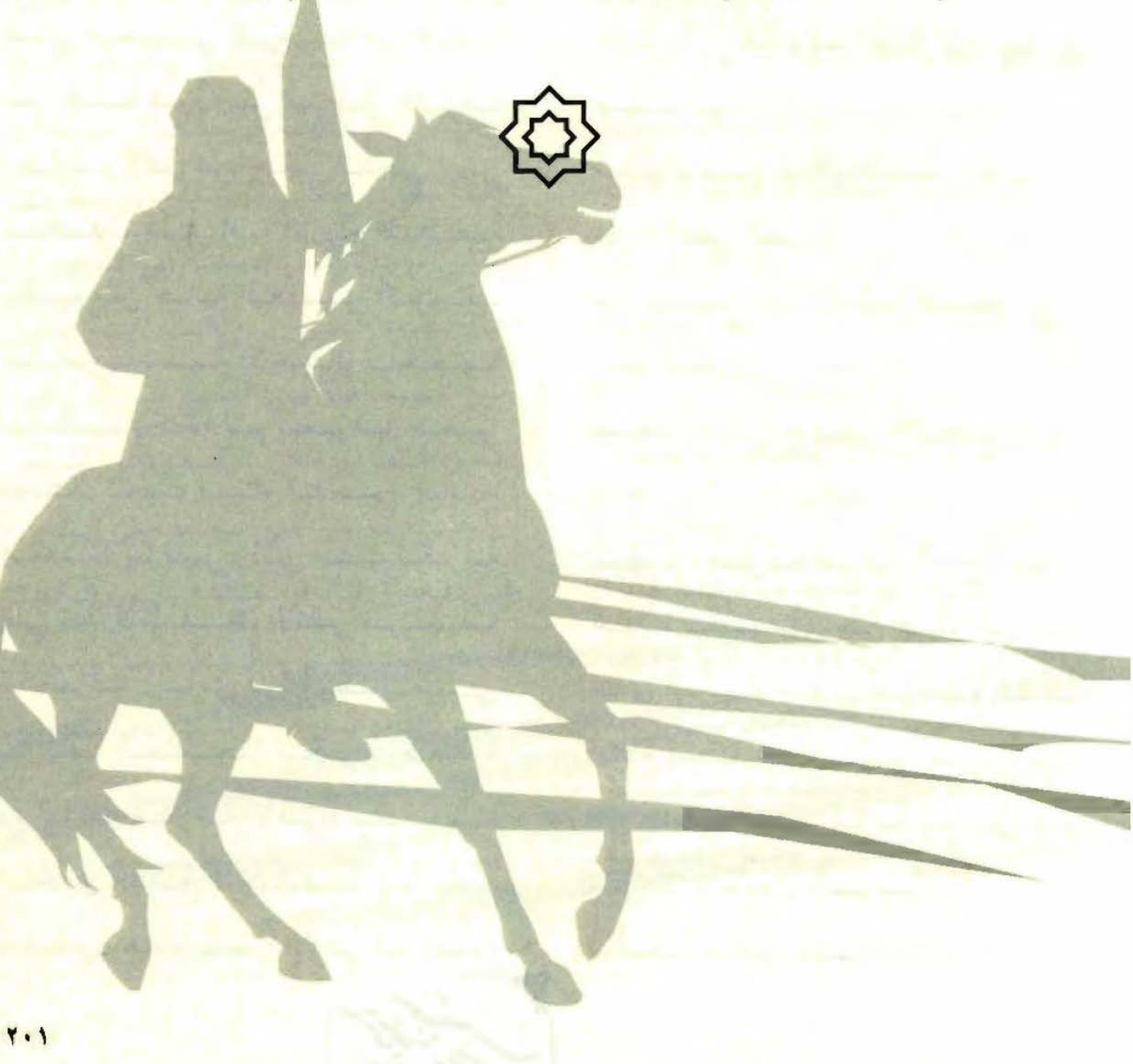
* * *

لَكَ يا إمامَ المسلمين أفضتُها شكْوَايَ بعدَ اللَّهِ يَا مُتَفَضِّلُ
طوَّفْتُ في الشرْقَيْنِ أبْغِي مَطْمَحًا فأتى المشيبُ وللمطامحِ مِنْخَلُ
فرجعْتُ صِفْرَ الكفِّ ألتمسُ الرَّجَا كنزُ العُصُورِ من الحِجَى أسْتَغْسِلُ
أما الحُطَامُ فلسْتُ من إخوانِهِ والكفُّ في مَغْنَايَ كَفٌّ أغْزَلُ
لا اليأسُ يَطْرُقنِي بطائفةِ الأَسَى أبدًا ونَشْرُ الهمِّ نَشْرٌ أجْدَلُ
هذي مَتَاعٌ للغرورِ وكُلُّنَا سَارٍ إلى دَارِ البَقَاءِ يُهَرْوِلُ
بُشرى وَعُمْرُ الخيرِ عُمْرٌ آخَرٌ لَمْ يَعْرُه مَسُّ الفَنَا أو يَخْضُلُ

---

(١) تَرْقُلُ: تُسرع.

نُوقِي إِلَيْكَ جَرِيئَةٌ وَثَّابَةٌ   والرُّوحُ في مَهْوَى حِمَاكَ مُكَبَّلُ
دَنِفٌ يُضَرْمُنِي الهُيَامُ وإنَّ لي   قلبًا على وضمِ الخُطُوبِ يُقَصَّلُ
أنا وَاقِفٌ بالبابِ أطرُقُه عَسَى   يَوْمٌ يَجِيءُ من الإلهِ مُحَجَّلُ
مِنْ حَافَةِ الصَّحْرَاءِ تَرْنُو مُقْلَتِي   حَيْرَى وموجُ الجَوْنِ خَلْفي يَهدِلُ
واللَّهُ أرْجُو أن يزيحَ كوامِنَ الـ   أدواءِ عن رُوحٍ به تَتَوَسَّلُ
وَأشِعَّةُ الصَّلَوَاتِ في سَبَحَاتِهَا   تَتْرَى يُشَاهِدُهَا النبيُّ الْمُرْسَلُ
لَثَمْتُهُ في مَغْنَاك رُوحِي وَالْهَوَى   يَدْعُوكَ!.. أقْبِلْ أيُّهَا المُتَبَتِّلُ



(٢٥)

خمسون عامًا

مهداة إلى الإمام عبد العزيز آل سعود بمناسبة مرور نصف قرن منذ تأسيس المملكة العربية السعودية إلى هذا اليوم، وهي أول قصيدة أجيب عليها بعد زمن طويل!

مواكبُ العزِّ بينَ القفْرِ والشَّجَرِ … تَتْرَى مرتلةً أنشودةَ القَدرِ
هذي مطيّتي الوجناءُ شاخصةً … حيرى!.. فأيُّهما أخْتَارُ مِنْ سَفَرِي؟
يا وَقفةً فوقَ تلِّ الرَّمْلِ اذْكُرُها … سَمَتْ بها نَحْوِ غَايَاتِ الْعُلاَ فِكَرِي
نظرْتُ والأفقُ في حِجْرِ الدُّجى ثَمِلٌ … نشوانَ بينَ ظِلاَلِ الفَجْرِ وَالسَّحَرِ
شاهدْتُ شَفَّافةَ الأرواحِ طائفةً … من مَرْقَصِ الغيبِ بينَ النَّجمِ وَالْقَمَرِ
تَعُبُّ من حَانَةِ العلياءِ أكؤسَها … من منبعٍ لم تَجُسْهُ فِتْنَةُ الْهَذَرِ
تَشْدُو بأغنيةِ الأجيالِ يَدْفَعُها … حبُّ المعالِي، وَحُبُّ الْمَجْدِ في مُضَرِ
تألَّقَتْ وِحدَةٌ لم يَعْرُها خَطَلٌ … صَخَّابَةُ الرُّوحِ بينَ الأَنْجُمِ الزُّهُرِ
تختالُ تحتَ ضِيَاءِ الشمسِ جَائِبَةً … مَرْعَى الأسُودِ بِرَهطِ الحُمَّسِ الغُرَرِ
هتفتْ! يا ليلُ زِدْنِي منكَ تَكْرُمَةً … سُهْدًا وطُلْ يا هَوَى الأَرْوَاحِ وَازْدَخِرِ
إني تذوقْتُ فيكَ الأنسَ مرتشفًا … عَذْبًا يُدَلِّهنِي مِنْ غيرِ مَا حَذَرِ
مَخَرْتُهُ وَبِوُدِّي لَوْ يُطَالِعُنِي … مَدَى الحياةِ جَمَالُ الرِّحْلَةِ النَّضِرِ
يا أيها المُضْجِرُ الجَوَّابُ معذرةً … صاحِ اسْتَفِقْ واستمعْ زُمَّارَةَ الْعِبَرِ
دعْ عَنكَ صارخةَ الأهواءِ مُلْتَمِسًا … في فجوةِ القَفْرِ ما يَشْتَدُّ مِنْ خَبَرِ
الحقُّ أبلجُ لا يَنْفَكُّ قائلُهُ … من أن يقولَ ولم يَزْوَرَّ أوْ يَجُرِ
خَمْسُونَ عَامًا بِعُمْرِ الأرضِ قد وَلَدَتْ … مُلْكًا تألَّقَ بالتيجانِ وَالسُّرُرِ

بَرَى لَهُ البطلُ الميمونُ أسْهُمَهُ   وَرَاحَ يُوقِظُ مَجْدًا ثُلَّ بِالغِيَرِ
يُكابِدُ الهولَ تحتَ الشمسِ مُبْتَهِجًا   والهولُ يَمْرَحُ تحتَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
شرٌّ تَأَبَّطَ شرًّا في الجزيرةِ مُذْ   عَشى بها مُهْلِكُ الأفواجِ وَالزُّمَرِ
لَمْ يَدْرِ عَجْلانُ ما يُخفي الزمانُ لَهُ   بِقَبْضَةِ الليثِ حتى سَاعَةِ الْخَطَرِ
فيالها طعنةً نجلاء صارمةً   تَقَصَّفَتْ بعدَها مَخدُودَةُ السُّمُرِ
السيفُ سَطَّرَ للتاريخِ قِصَّتَهُ   وظلَّ يَكْتُبُ سِفرًا رَائعَ الزُّبُرِ
باتَ الصِّرَاعُ بئيسًا في مرابِعِهِ   بينَ الخيامِ بِرَبْعِ العُرْبِ وَالدُّورِ
انْظُرْ إلى أمْسِكَ المفضوحِ كيفَ غدتْ   أقْيَالُهُ عِبَرًا شَتَّى لِمُعْتَبِرِ
ذِكراكَ في (روضةِ مهنًّا) مُجَلْجِلَةٌ   تَحْكِي البطولةَ درسًا غَيْرَ مُسْتَتِرِ
أعطى الدِنيَّةَ نفسًا طَالَما غَدَرَتْ   ذاكَ الذي رَاحَ في الصرعى بلا وَزَرِ
تَهَكَّمَ الدَّهرُ لما أن رآهُ عَلَى   تلكَ الرمالِ التي ضَمَّتْهُ في الْوَضَرِ(١)
والبَغْيُ آخِرُهُ ذُلٌّ وَتَهْلُكَةٌ   يا خيبةَ المرءِ من كِبْرٍ وَمِنْ بَطَرِ
تَهْوِي العُروشُ هُوِيّاً وَهْيَ في دَعَةٍ   مِنَ الْمَنَاعَةِ في لَمْحٍ مِنَ النَّظَرِ
كَمْ نائمٍ حولَهُ الثُّعْبَانُ مِنْطَوِيًا   على الشرورِ لدى الصَّفْرَاءِ وَالصُّفُرِ
ينامُ في الذهبِ الوَهَّاجِ مُلْتَحِفًا   والهَوْلُ يخزرُ في لَحْظٍ مِنَ الشَّرَرِ
رنَا أبُو مِرَّةَ العتريفُ مُنْتَهِزًا   في غَفْوَةِ الرُّوحِ نَفْثَ السُّمِ وَالكَدَرِ
وجاء للقصرِ في غربِ الجزيرة مَا   بَيْنَ الأَخاشِبِ بالتَّشويلِ والوِزرِ
فأَوْمَضَ البرقُ في الأقطارِ يَنْشُرُمَا   بينَ الدوائرِ شرًّا غَيْرَ مُنْتَظِرِ
طافُوا عليه بكاساتٍ مُرَطَّبَةٍ   لكنَّها رَشَحَتْ عن أقْبَحِ السِّيَرِ
وَحَجَّبَتْهُ الأفاعِي وهي رَاقِصَةٌ   رقصًا يُحَطِّمُ ما في النفسِ مِنْ أُصُرِ

(١) الوضر: الوسخ.

لهوُ الغرورِ ودارُ اللهْوِ قد خَدَعَا ... لَدَى مَغَانِيكَ أهلَ الْبَأْسِ وَالْخَطَرِ
تَرَنَّحَتْ في مجارِي الحادثاتِ لَدَى ... أرضِ الجزيرةِ سُودُ الأوْجُهِ النُّكُرِ
تَمَرَّغُوا بِنُفُوسٍ مِلْؤُها عَطَبٌ ... فَقُطِّعَتْ أَشْطُنُ الأرْحَامِ بِالنَّفَرِ
أعيذُ عَرْشًا تولَّى العدْلُ رِفَعَتَهُ ... مِنْ ظُلمةِ النفسِ أو مِنْ ضَلَّةِ الحجرِ
بَعْثٌ من اللَّهِ غشَّى الأرضَ لاَ عَجَبٌ ... فرحمةُ اللَّهِ تأتِي سَاعَةَ الْعُسُرِ
هَذَا عُزَيْزٌ نبيُّ اللَّهِ أيْقَظَهُ الْـ ... ـبَارِي وحولَ حِمَاهُ نُضْرَةُ الثَّمَرِ
هَبَّ الحِمَارُ وَجَاءَ الْحَقُّ مُشْتَمِلاً ... بُرْدًا من النُّورِ في لَمَّاعةِ الدُّرَرِ
فقالَ أعْلَمُ يَا رَبَّاهُ خَالِقَنَا ... بكلِ شيءٍ عليمٌ جِدُّ مُقْتَدِرِ
وذاكَ موسى كليمُ اللَّهِ أفْحَمَهُ ... في جَوْلَةِ الْعِلْمِ عِلْمُ السَّيِّدِ الخِضرِ
قَدْ هَللَّ الزمنُ الباكِي وقد بُعِثَتْ ... به نفوسٌ توَلَّتْ حُرْمَةَ الْوَطَرِ

***

عبدَ العزيزِ!.. جَزَاكَ اللَّهُ رَحْمَتَهُ ... لَمَّا اعْتَصَمْتَ بِحَبْلٍ غَيرِ مُنْبَتِرِ
قضيْتَ خَمْسينَ حَوْلاً بِالْجِهَادِ بِلاَ ... هُوَادَةٍ، دائبَ الآصالِ والبُكَرِ
بَنَيْتَ مُلْكَكَ والأقدارُ مُسْعِفَةٌ ... لما اعْتَصَمْتَ بحبلِ اللَّهِ ذِي الْمِرَرِ
لما تمسَّكْتَ بالفُرْقَانِ هَبَّ لَكَ الْـ ... ـفَوْزُ العظيمُ كَسَيْلٍ سَالَ مُنْحَدِرِ
مَضَيْتَ تصقلُ مِرْآةَ العُرُوبَةِ لَمْ ... تَهْجَعْ وَتَعْكِسُ فيها أجْمَلَ الصُّوَرِ
وطاوَعَتْكَ اللَّيَالِي في الربوعِ فَلَمْ ... يَخْذُلْكَ حَظٌّ أَتَى في يَوْمِكَ العَسِرِ

***

آمالُ قَوْمِكَ يا عبدَ العزيزِ لَهَا ... عرائسُ النُّورِ تَرْنُو مِنْ حِمَى الْخَفَرِ
هَيفَاءُ يَشْرُقُ فيها النورُ مُشْتَعِلاً ... تُخَاصِرُ الحقَّ بينَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
تَنْسَابُ في خَلَجَاتِ الرُّوحِ نَغْمَتُهَا ... وَتَنْفَحُ الأُنْسِ لِلْجِنَّانِ وَالْبَشَرِ
تُثِيرُ من معقلِ الحقِّ العظيمِ مُنىً ... تهتزُّ شَوْقًا على الأكبادِ في يُسُرِ

حِلْمٌ تَفجّرَ فيه الشَهْدُ مُنبَجِسًا ... مِن منبعٍ مُفْعَمٍ بالخَيْرِ وَالْخِيَرِ

حِلمٌ يُصَوِّرُ للفاروقِ أُهْبَتَهُ ... لحومةِ المجدِ في وثّابَةِ السُّطَرِ

بَعْثٌ عظيمٌ وقد كانتْ مَرَابِعُنَا ... تَسيرُ من سَقَرٍ طامٍ إلَى سَقَرِ

هَتَفْتَ: وَالصُّبحُ وضَّاحُ الجبينِ وَقَدْ ... أفحمْتَ بالكلمِ المعسولِ ذَا الضَّرَرِ

فكان يَومُك عيدَ العُربِ قاطبةً ... والمسلمين وما قولي بِمُسْتَتِرِ

أُمُّ الشعوبِ، تغذي الأرضَ ثَوْرَتُهَا ... في باحةِ المجدِ في الأزمانِ وَالْعُصُرِ

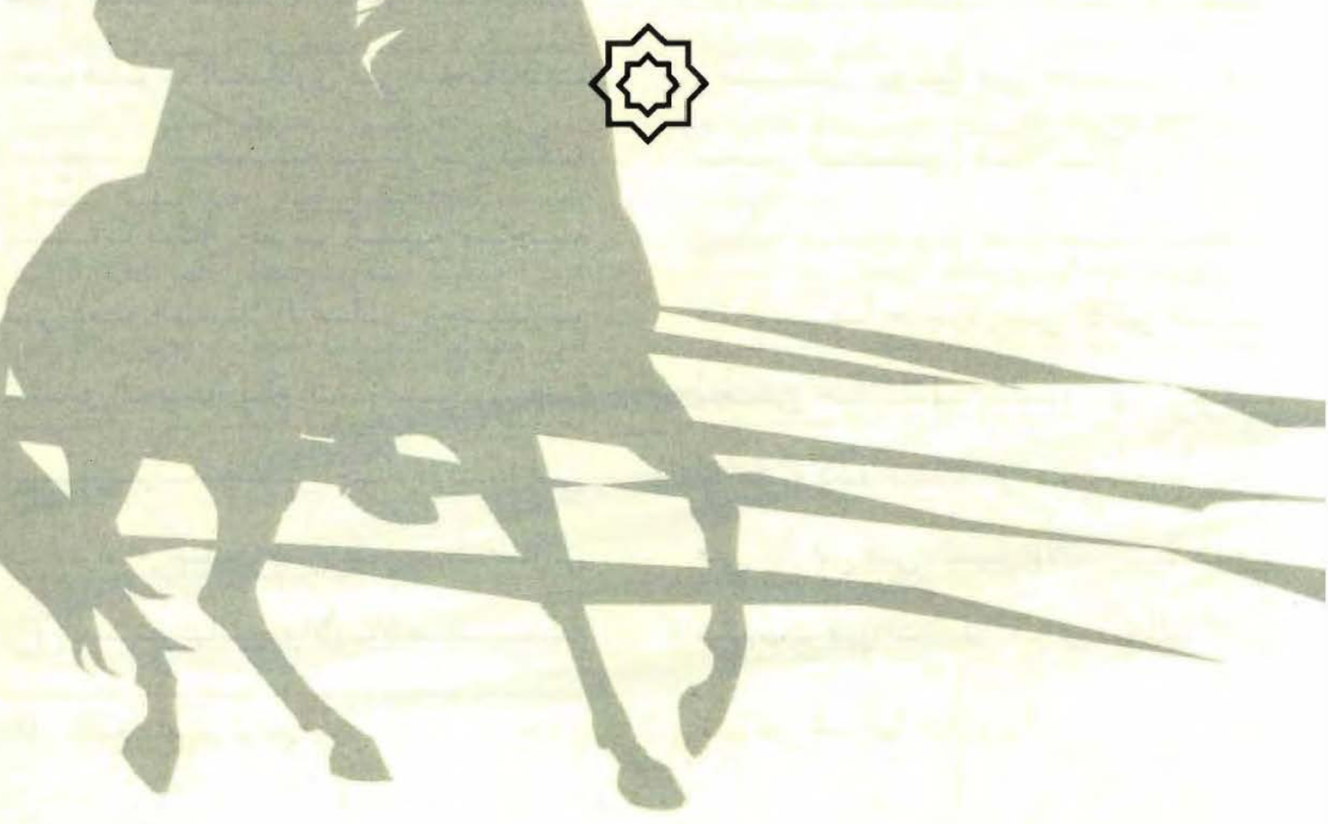
تَسْتَلْهِمُ الغيبَ أسفارَ الخلودِ وَفي ... صَخْرَائِهَا تتجلّى أرْوَعُ الْعِبَرِ

قصيدةُ المُثُلِ العُلْيَا يُرَدِّدُهَا ... عَبَاقِرُ العُرْبِ في حلٍّ وَفِي سَفَرِ

عِشْ راشِدًا بِأُسُودٍ أنْتَ سيدُهُم ... يَحْكِي الصَّفَاءُ بهم هَطَّالَةَ الْمَطَرِ

وانعَمْ بِعُمَرٍ له نورُ الهُدى مَثَلٌ ... وَاللّهُ عَوْنُكَ واسْلَمْ في حِمَى الظَّفَرِ

للمصطفى تَنْتَمِي الأخلاقُ أكرَمُهَا ... عليه صلى إلهُ الجِنِّ وَالبَشَرِ



(٢٦)

إلَى الفِرْدَوْسِ

مهداة إلى رمز الفضيلة والعفاف روح السيدة الراحلة إلى دار الخلود الأم نورة بنت عبد الرحمٰن آل سعود، أخت الإمام عبد العزيز!

إلى الخلودِ سرى بالعِفَّةِ القَدَرُ ... جَارٍ على لُجَّةٍ بالنُّورِ تَزْدَخِرُ
مَرَّتْ عَلَى الأَرْضِ مثلَ الطَّيْف مُشْتَمِلاً ... بُرْدًا تَشَعْشَعَ فيهِ تَلْمَعُ الدُّرَرُ
فَخَلَّفَتْ نفحةً في الأرضِ عَابِقَةً ... بالمسْكِ قد عُطِّرَتْ مِنْ نَفْحِهَا الدُّوَرُ
شَقَّتْ إلى البرزخِ الرَّنَّانِ مَهْيَعَهَا[1] ... بينَ العَرَائِسِ غَشَّى حُسْنَهَا الْخَفَرُ
بِنْتُ الأُبَاةِ، وأختُ العِزِّ سَارَ بِهَا ... فُلْكُ الْحَيَاةِ وَقَلْبُ الرَّبْعِ مُنْشَطِرُ
قد رَحَّبَتْ بجلالِ الحقِّ مهجتُها ... ورُوحُها لجمالِ الأُنسِ تَبْتَدِرُ
أَنَتْ قُلُوبُ العذارَى في مَخَادِعِهَا ... وَأَسْبَلَتْ لؤلؤًا من دمعِها الغُرَرُ
لِلصَّبْرِ شُعْلَتُه تبدو مُزَرْكَشَةً ... بَيْنَ الصُّدورِ فَلاَ يَأْسٌ وَلاَ هَذَرُ
تَنْسَابُ مثلَ خريرِ النبعِ سَاجِيَةً ... رَيَّانَةٌ مِلْؤُها التوحيدُ يَنْحَدِرُ
في ذِمَّةِ الملأ الأَعْلَى وجيرَتِهِ ... يا طيبَها جيرةً بينَ الأُلَى صَبَرُوا
تَشْدُو الحياةُ بِأمِّ المُحْسِنينَ فيا ... نُعْمَى خلائِقُها تَشْدُو بِهَا الْعُصُرُ
فما الرثاءُ لِمَنْ جاءَ الإلَهُ وفي ... يُمْنَاه ذِكْرٌ تَسَامَى فيحُهُ العَطِرُ
إنّ الرِّثاءَ على مَنْ ظَلَّ مُنْطَوِيًا ... في الأرضِ في ظُلَلِ الآثَامِ يَشْتَجِرُ
راعِ المصائرَ والأيامُ مقبلةٌ ... ما دُمْتَ في العيشِ هَذي دُونَك الْعِبَرُ

(١) المهيع: الطريق الواسع البيّن.

هذا وَليدٌ أتى للعيشِ مُبْتَسِمًا — وذاكَ تَحْتَ الثرى وَلّى بِمَنْ قُبِرُوا

يا زينةَ الأُمَّهاتِ الغيدِ مَفْخَرَةُ الْ — أجْيَالِ فيهَا تَغَنَّتْ هَذِهِ السُّطُرُ

طَوَّفْتِ في حَرَمِ الصَّحْرَاءِ نَاثِرةً — حُسْنَى تَرَقْرَقُ مِنْهَا الوَرْدُ يُعْتَصَرُ

غدوْتِ في الرحمةِ الكبْرى محجبةً — لم تبدُ في جنبِها الآصالُ والبُكَرُ

في عَالَمِ رائِعِ الفردوسِ رَوْنَقُهُ — مُشَعْشَعٌ أفيحُ الأَرْجَاءِ مُسْتَتِرُ

حَسْبُ الثَّرَاءِ من التقوى وبهجَتِهَا — كَنْزُ الْعَفَافِ بِدَارِ الْغَيْبِ مُدَّخَرُ

نَامي بمرقَدِكِ الخُلْدِي آمنةً — حيثُ النعيمُ فلا خَوْفٌ وَلاَ حَذَرُ

اللَّهُ كَرّمَ للإنسانِ رتبَتَهُ — ما زالَ في حومَةِ الإيمَانِ يَدَّكِرُ

فأنتِ أنتِ وقد عَمَّت مآثِرُكِ الْ — مَغْنَى تُمجّدُهَا الصَّحْرَاءُ وَالْحَضَرُ

يا أختَ رَابِعَةٍ! . . مَثْوَاكِ في دَعَةٍ — عند المهيمنِ بالأنوارِ مُزْدَهِرُ

تَشُجُّ فيهِ يَنَابِيعُ الرَّحيقِ لَهَا — صَوْتٌ تُصيخُ له الأَرْوَاحُ وَالفِكَرُ

تسمُو حقيقتُك الكبْرى وقد نَشَرَتْ — فوقَ البَسِيطةِ عُمْرًا بَعْدَهُ عُمُرُ

قَرْنُ الْبَعُوضةِ عُمْرُ الأرْضِ قيمَتُهُ — تَفْنَى فَتُعْقِبُهَا أعمَارُنَا الأُخَرُ

تَأَبَّدَ الرُّوحُ حَتَّى الْبَعْثِ مُنْطَلِقًا — في بَرْزَخٍ لَمْ تُحِطْ أسْرَارَهُ الزُّبُرُ

حَتَّى إذَا نَفَخَ النَاقُورَ صاحبُهُ — هَبَّتْ تُحَمْلِقُ مِنْ أجْدَاثِهَا الصُّوَرُ

فكنتِ إحدَى بناتِ النُّورِ نَاعمةً — في حُلَّةٍ لم تُخِطْ أجْزَاءَهَا الإِبَرُ

يهنيكِ يا مَثَلاً للقانتاتِ يُرى — في مربعِ العُربِ حَامَتْ حَوْلَهُ الزُّمَرُ

من كل ذاتِ خِمارٍ في فَضَائِلِها — يَرْتَدُّ دُونَ سَنَاهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

عبدَ العزيزِ أخا هَذَا الْجَلاَلِ ألاَ — صَبْرًا جميلاً عَدَاكَ الشَّرُّ وَالضَّرَرُ

مِنّي الْعَزَاءُ لأفْلاذِ الجزيرة في — طيبِ الثناءِ بِحَمْدِ اللَّهِ يَنْتَشِرُ

ثُمَّ السَّلامُ على قُطبِ الهُدَى عَطِرٌ — والشكرُ لِلَّهِ هَذَا الدَّمْعُ مُنْتَثِرُ

(٢٧)
أيام الكفاح

«أرسلت إلى الملك عبد العزيز في الرياض»

«مهداة إلى الملك عبد العزيز آل سعود بمناسبة ذكرى الكفاح».

نَظَرتَ للبيدِ والأرزاءُ تَلْتَهِمُ ... من ساحِلِ الْجَوْنِ فَاهتزَّتْ بك الهِمَمُ

غامرتَ منسربًا والنجمُ مُختَبِكٌ ... في قُبَّةِ الليلِ والأهوالُ تحتَدِمُ

يحدُو بِكَ العِزُّ شَدَّاءَ تَشُدُّ بِهِ ... حَبْلَ الرجاءِ وَحَبْلُ اليأسِ مُنْصَرِمُ

آمنْتَ بالفوزِ حتى قيلَ إنَّكَ في ... دارِ البُدَاةِ مَشَتْ أمْجادُكَ العُصُمُ

وَتَوَّجَتْكَ من العَليا عرائسُها ... تاجًا لآلِئُهُ الإيمانُ والشَّمَمُ

رَنَتْ لَهُ من خِيَامِ العُربِ أعيُنُهُمْ ... مكحولةً، وثغورُ الغيدِ تَبْتَسِمُ

فَجَرَّدوا العيسَ السَّميرَ[1] مُحتَسِبٌ ... تفيضُ من صدرِهِ الألحانُ وَالنَّغَمُ

يا قِصَّةً لَسْتُ أدري كيف أطرُقُهَا ... أيّانَ جئتَ وجدتَ النورَ يلتطِمُ

قصائدٌ تضحكُ الأوتارُ شادِيَةً ... على ترانيمِهَا والأنسُ مُنْسَجِمُ

صَرَخْتَ صرختَكَ الحُسْنى فَزَمْجَرَ مِنْ ... جَوَانِبِ التَّلَعَاتِ الشُّمُّ ذِي البُهَمُ

كَانَتْ وكانَ الرَّدى والعسفُ مرتبكٌ ... حيرانَ من حَوْلِهِ الأمجادُ تَنْحَطِمُ

فكانَ من صوتِكَ الشُّمَّيرِ[2] مُنْعِشَةٌ ... وطفاءُ هتّانةٌ فاضتْ بها القِمَمُ

وَسَبَّحَ الوطنُ الميمونُ مُرْتَجِزًا ... لِلّهِ، والظُّلمُ مَفْلُولٌ وَمُنْهَزِمُ

فَكُنْتَ أَوَّلَ من أسَّ الأساسَ لَدَى ... وِدْيَانِ خيفةَ والطاغوتُ مُنْفَصِمُ

---

(١) السَّمير: (بفتح السين): الذي لا ينام.

(٢) الشُّمَّير: المرتفع، من شمر الثوب رفعه. أو بمعنى المشمِّر: أي المُجِد.

طَهَّرْتَ ربعَكَ من أرجاسِ بائِقَةٍ ... كانَتْ تُغَلْغِلُ عَيْنَيْهَا وَتَخْتَرِمُ

بثورةٍ لم تزلْ ألحانُ هَزَّتِهَا ... تجيشُ تَسْمَعُهَا الأَجْيَالُ وَالأُمَمُ

وهكَذَا مَنْ يُسَدِّدْ خَطْوَه أبدًا ... يُدْرِكْ مُنَاه ولو حَاقَتْ بِه الظُّلَمُ

وطالبُ الحقِ مهما عزَّ مطلبُهُ ... تَذَلَّلَتْ لِخُطَاهُ في السُّرَى الزيَمُ

أرضيْتَ رَبَّكَ بالتقوى وعِفَّتِهَا ... وجِئْتَنَا بكتابِ اللَّهِ تَحْتَكِمُ

وَلَمْ تَزَلْ في ظِلالِ الحقِّ تَبْعَثُهُ ... بَعْثًا، وَيَشْهَدُ مِنْكَ الفِعْلُ والقَسَمُ

فلم تَنَمْ ودماءُ الجَوْرِ صَارِخَةٌ ... تعوي بكلِّ غَويٍّ جَاءَ يَنْتَقِمُ

عَالَجْتَهَا فَغَدَتْ كالنارِ خَامِدَةً ... بِحِكْمَةٍ أُفْرِغَتْ في طَيِّهَا الْحِكَمُ

نَاوَلْتَ مَعْسُولَةَ الآمالِ كلَّ فتىً ... منَّا فراحَ تُغَنِّينَا بِهِ الذِّمَمُ

جزيرةُ العُرْبِ والدّنيا تُخَازِرُهَا[1] ... مَا إنْ يَسُود بِهَا العِرْفَانُ وَالنُّظُمُ

فتحتَ أبوابَها للعِلْمِ يَسْبُرُهَا ... فَرَحَّبَ القَفْرُ والوِدْيَانُ والأَجَمُ

وصُنْتَهَا عن فجورٍ شَذَّ مَوْكِبُهُ ... بِمَهْيَعٍ فيهِ سُورُ الخُلْقِ يَنهَدِمُ

فَكُنْتَ أَوَّلَ بَانٍ للحضَارَةِ في ... عَرْضِ الصَّحَارَى التي لَمْ يَرْعَهَا الْقِدَمُ

عَذْرَاءُ لَقَّعَهَا التاريخُ فَانْحَسَرَتْ ... بِكْرًا كشمسِ الضُّحَى تَذْكُو وَتَضْطَرِمُ

أخلاقُ أبنائِها بينَ الورى مُثُلٌ ... عُلْيَا وفي طيِّها الأَخْلاَقُ تَنْعَجِمُ

وتحتَ تُرْبَتِهَا الخيراتُ زَاخِرَةٌ ... تَكَادُ تَنْشَقُّ لِلأيدي وَتَزْدَحِمُ

تَفَجَّرَتْ عَنْ يَنَابِيعِ الكنوزِ وقدْ ... سَرَتْ وَعَهْدُكَ فيها الكَوْثَرُ الشَّبِمُ

وكنتَ دونَكَ لم يُبْطِرْكَ منبجسًا ... نُضَارُهُ، لاَ وَلَمْ يَقْعُدْ بكَ الكَرَمُ

فأنتَ أنتَ على فِطْرِيِّ خِلْقَتِهِ ... مُسَدَّدُ الخطْو لَم تَعْثُرْ بِكَ الْقَدَمُ

لاَ زِلْتَ[2] تفتَحُ للغاياتِ مُغْلَقَهَا ... بالدِّينِ كيما يُرَى فيها وَيَلْتَئِمُ

---

(١) تُخازرها: تنظر إليها بمؤخرة عينيها.

(٢) الصحيح ما زلت كما مر آنفًا.

أَقَمْتَ لِلناسِ بُرْهَانًا عَلَى ثِقَةٍ   مُصَمِّمًا فَوَعَاهُ مَنْ بِهِ صَمَمُ
كَأَنَّنِي بِكَ والقرآنُ تَقْرَؤه   تَسيرُ في الأَرْضِ جَوَّابًا وَتَقْتَحِمُ
مَا كَانَ لِلدِّينِ وَالقرآنِ جِئْتَ بِه   مُجَرَّدًا وَعَدا هَذا لَهُ الرُّجُمُ
أَثْلَتَ لِلْبِرِّ دارًا أنْتَ سَيِّدُهَا   ذي العُربِ تَشْهَدُ والأَوْطَانُ وَالْعَجَمُ
فَمَا سَعَى بِكَ عُضْوٌ دُونَ مَا أَرَبٍ   إلاَّ وفيهِ من الإحسانِ مُلْتَزَمُ

* * *

أيامُ مُلْكِكَ إن شاءَ القديرُ لَهُ   هوامِشُ الخيرِ يَزْهُو فَوْقَهَا الْعَلَمُ
تمتدُّ بالبركاتِ الخُضْرِ ضاحيةً   يرنُو لها عَرَفاتُ الخيرِ وَالْحَرمُ
مُعَمِّرًا شَاكِرًا لِلّهِ في دَعَةٍ   مِنَ الْقُوَى لَمْ يَنَلْ مِنْ رُوحِكَ الْهَرَمُ
يا مُدْلجَ الوَهْنِ بَلِّغْهَا مُحَبَّرَةً   من شاعرٍ يَترنَّى وهو مُضْطَرِمُ
اقرىء تحيةَ وسنانِ الهوى زَخَرَتْ   مِنْ حَوْلِه في الرؤى الآرامُ وَالْغَنَمُ
عَبْدَ الْعَزيزِ اقبلنْهَا منكَ تَكْرُمَةً   تحيةً من فؤادٍ مَسَّهُ الأَلَمُ
تَأْتيكَ مِنِّي تَهَانِي الروحِ مُنشِدَةً   تُصغِي لَهَا الأَنْجُمُ الزَّهْرَاءُ وَالسُّدُمُ
نَحُثُّهَا مِنْ دُمَى الأنوارِ مُلْهَمَةً   تَسْري كَطَيْفِ الهَوَى لَمْ يَعْرُهَا نَدَمُ
هفَّتْ لذكرى جلوسٍ كُنْتَهُ مَلِكًا   وأنتَ من قِدَمٍ بالمُلْكِ مُلْتَثِمُ
فَلْيَحْمِكَ اللَّهُ في حِلٍّ وَمُرْتَحَلٍ   مَا فَتَّحَ الوردُ والنِّسْرِينُ وَالْعَنَمُ
ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى هَادِي الْوَرَى أبدًا   مَا فاضَ زَمْزَمُ أوْ مَا طَافَ مُسْتَلِمُ

فهرس المحتويات

تقديم ٥

المقدمة ٧

محمود شوقي الأيوبي: حياته وشعره وديوانه «الملاحم العربية» ١١

أولاً: حياة الأيوبي ١١

ثانيًا: دواوين الأيوبي ١٤

أ ـ الدواوين المطبوعة ١٤

ب ـ الدواوين المخطوطة ١٦

ملامح موضوعية ١٨

الملامح الفنية ٢٤

إعجاب النقاد ٢٧

ملحوظات على الديوان المخطوط ٢٩

ديوان الملاحم العربية ٣١

الإهداء ٣٣

١ ـ الوثبات ٥١

٢ ـ شذى الصحراء ٥٨

٣ ـ يوم الملحمة ٦٧

٤ ـ نشوة الأحساء ٧١

٥ ـ أريج الدهناء ٧٥

٦ ـ حول أبي قبيس ٨١

٧ ـ في مر الظهران ٨٤

٨ ـ يوم الظفر الأخير ٨٩

٩ ـ بعد الفطور ٩٢

١٠ ـ نسيم العيد ٩٦

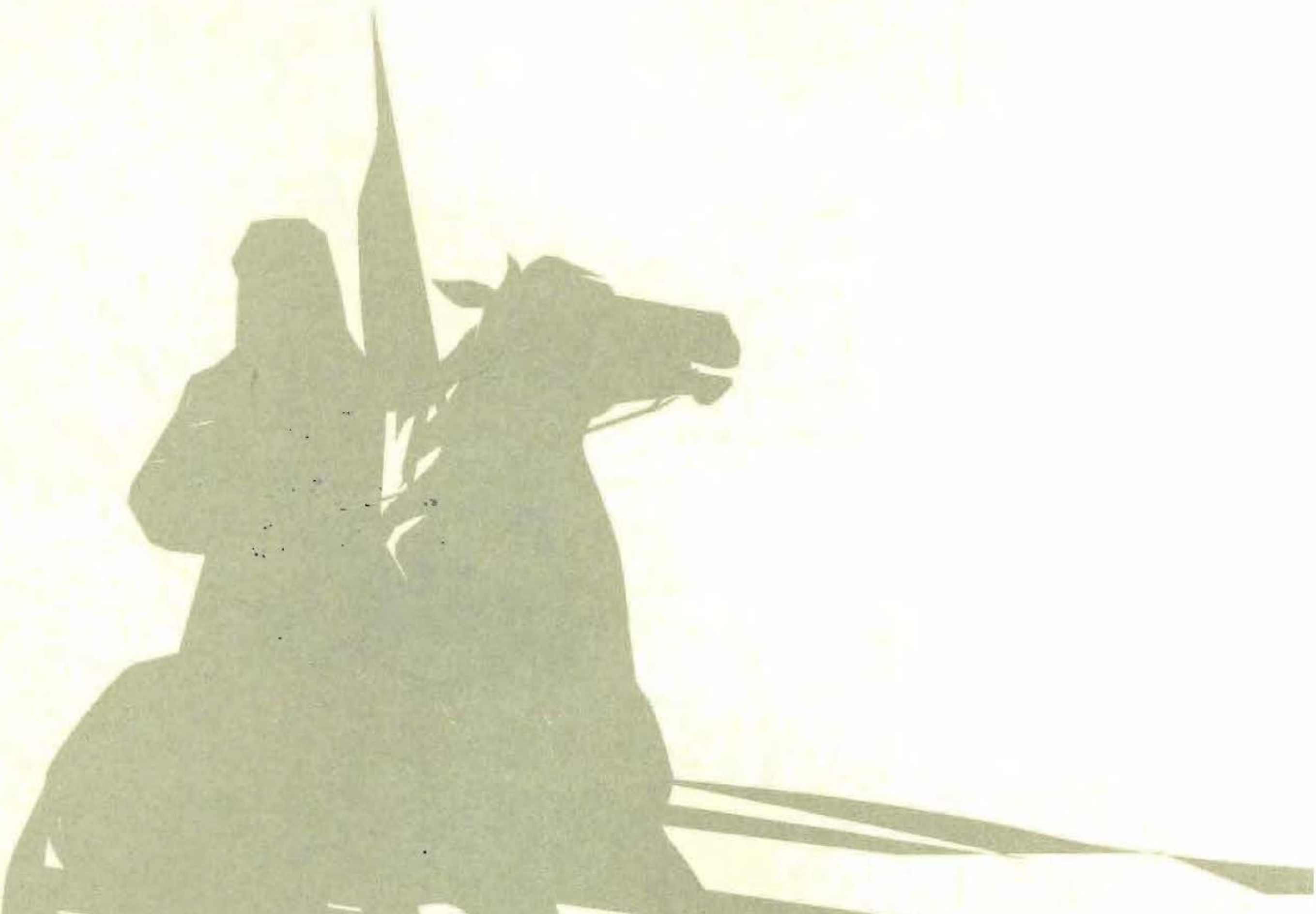
١١ ـ عفراء عشيرة بين مكة والطائف ١٠٠

١٢ ـ قبيل الحج ١٠٥

١٣ ـ فترة من الزمن ١١١

١٤ ـ تحت ظلال الحرم	١١٦
١٥ ـ ظلال التوحيد	١٢٣
١٦ ـ الملحمة اليتيمة... يوم الزينة «أمام جبل النور ودوين منى»	١٢٦
١٧ ـ التحايا والتهاني	١٣٤
١٨ ـ نجم البحرين	١٣٩
١٩ ـ مطمح الآمال	١٤٣
ملحمة الإمام.. مطمح الآمال.. «أم الشعوب»	١٤٣
صوت الجزيرة	١٤٤
العروبة	١٤٥
أبطال العرب	١٤٥
قومي العرب	١٤٦
الأقاويل	١٤٦
الفتنة	١٤٧
الرأي قبل العمل	١٤٧
واحرقتاه	١٤٨
الملك والشاعر في الرياض	١٤٨
بشائر الظفر	١٤٩
نهاية البغاة	١٤٩
الملكان يلتقيان	١٥٠
البطل في البحرين	١٥٠
الحق يعلو	١٥١
إلى الرياض	١٥١
إلى الحج	١٥١
رجاء	١٥٢
٢٠ ـ نشوة السَّحر حول البيت الحرام وتحت ظلال الكعبة المشرفة	١٥٣
صور الحياة	١٥٣
وجناء الهوىٰ	١٥٤
بحر الشدائد	١٥٦
وادي الأمل	١٥٦
هيفاء المجد	١٥٧

العناق الطهور ١٥٨
الحب الخالد ١٥٩
نشيد المجد ١٥٩
جمال العروبة ١٦٠
ينبوع الحقائق ١٦١
جوامع الكلم ١٦٢
حمئ الأبطال ١٦٢
مهبط الوحي ١٦٣
النشوة الخالية ١٦٣
٢١ ـ الكوكب الحائر **١٦٥**
٢٢ ـ العروس المهجورة **١٧٦**
٢٣ ـ اللؤلؤة المفقودة **١٨١**
الحوار ١٨٢
دار السلام ١٨٢
الحامي الأغر ١٨٣
طرق الرقيّ ١٨٥
الفرسان ١٨٥
وحي النفس ١٨٦
الدموع ١٨٨
ينبوع الرجاء ١٨٩
إلى الله وحده ١٩١
ابنتاي ١٩١
٢٤ ـ أحدوّة الروح **١٩٣**
٢٥ ـ خمسون عاماً **٢٠٢**
٢٦ ـ إلى الفردوس **٢٠٦**
٢٧ ـ أيام الكفاح **٢٠٨**



الإخراج و التنفيذ الطباعي
مؤسسة مرينا لخدمات الطباعة - الرياض - هاتف: ٤٧٦١٥٥١ - فاكس: ٤٧٣٠٧٦٧

هذا الكتاب

جمع الشاعر محمود شوقي الأيوبي مجموعة من القصائد التي نظمها في الملك عبدالعزيز، وذلك في ديوان مخطوط بعنوان(الملاحم العربية)، وكتبه بخطه الجميل، وأرسله الى الملك عبدالعزيز بعد عودة الشاعر من أندونيسيا، واستقراره في بلده الكويت. وقد تم جمعه ونسخه في عام١٣٧١هـ في الكويت. ويتضمن هذا الديوان الذي ينشر لأول مرة عدداً من القصائد في مدح الملك عبدالعزيز والأمير سعود والأمير فيصل، وذلك في سبع وعشرين ملحمة طويلة عبر فيها عن محبته للملك عبدالعزيز بإخلاص وتجرد، و عن إعجابه بإسلامه الصادق، وبطولته الفذة، وعروبته الأصلية، ومن ذلك قوله:

هو الإمام الحر مغوار الحمى   عبدالعزيز العبقري المرتضى

رقم الردمك: ٣-٣٣-٦٩٣-٩٩٦٠
ISBN: 9960-693-33-3
9 789960 693335